تحذير العبقري من محاضرات الخضري

أو

إفادة الأخيار ببراءة الأبرار

تأليف

العلامة المؤرخ الثقة الثبت الشيخ

محمد العربي التباني

المدرس بمدرسه الفلاح والحرم المكي

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

الطبعة الثانية
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

على ابن ابى طالب

كيف انتخب تناقضه فى الخلافة وتلونه وكذبه فى بيعة أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه

قال فى ص ٤٧ و ٤٨ - ٤ (لم تكن الظروف التى حصل فيها انتخاب على بن أبى طالب مشابهة لما كان عليه الحال فى انتخاب من قبله فانه عقب وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أعلام الصحابة بالمدينة فاختلفوا قليلا ثم ثابوا الى الجماعة وأجمع رأيهم على انتخاب أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، وعقب وفاة أبى بكر لم يكن ثم مجال للخلاف لأنه كان قد عهد إلى عمر فرأى المسلمون وجوب طاعته ، وعقب وفاة عمر كان قانون الشورى قد سن لهم فأصاب الانتخاب عثمان فكان عمر قد عهد إلى واحد من ستة يعينونه هم.وبين الحدود فى المخالف ، أما عند موت عثمان فلم يكن الأمر كذلك فالمدينة فيها جماعة الثوار على عثمان وهم قاتلوه.وهم أوزاع متفرقون من أمصار مختلفة لم يكن لهم ذكر إلا بهذه الثورة وليس عددهم بشىء أمام جنود الأمصار التى لم يكن لها اشتراك فى الجريمة . وأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كثير منهم من كان خارج المدينة ، ومنهم المرابطون فى الثغور ومنهم العمال ومنهم من كان مقيما بالمدينة ، كانت الكلمة العليا فى المدينة إذ ذاك بطبيعة الحال لهؤلاء العابثين الذين قتلوا الخليفة ولم يكن فى نظر جمهورهم أليق من على للخلافة فكلموه فى البيعة له فامتنع قليلا ثم أجاب إلى ذلك ، ويقول الكوفيون أول من بايعه الأشتر وكان من المهم عنده أن يبايعه طلحة والزبير لأنهما زميلاه فى الشورى وان تطلع إلى الخلافة أحد دونهما فهما ، روى الطبرى عن الزهرى انه دعاهما الى البيعة

فتلكأ طلحة فقام مالك الأشتر وسل سيفه وقال والله لتبايعن أو لأضربن به مابين عينيك فبايعه وبايعه الزبير ، وروى ان عليا قال لهما ان أحببتما أن تبايعانى وإن أحببتما بايعتكما فقالا بل نبايعك وقالا بعد ذلك إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا وقد عرفنا انه لم يكن ليبايعنا ، وجىء بسعد بن أبى وقاص ليبايع فقال له لا أبايع حتى يبايع الناس والله ما عليك منى بأس ، قال خلوا سبيله ، وجىء بعبد الله بن عمر ليبايع فقال لا أبايع حتى يبايع الناس قال أئتنى بحميل قال لا أرى حميلا قال الاشتر خل عنى أضرب عنقه قال على دعوه أنا حميله انك ما علمت لسىء الخلق صغيرا أو كبيرا . وتخلف من الأنصار جمع منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وكان هؤلاء عثمانية يميلون إلى عثمان ، وهرب قوم من أهل المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليا ، ولم يبايعه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبه ، وبايعه من عدا هؤلاء من أهل المدينة إلا من فر ولحق بالشام اه) .

أقول : كلامه هذا كله محاولة فاشلة لابطال خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه مشتمل على تناقض وتخبط وكذب كثير فى بيعته رضى الله تعالى عنه . يثبت عقد الامامة عند جميع أهل الحق بأحد أمرين . إما ببيعة من تعتبر بيعته من أهل الحل والعقد ، ولا يشترط بيعة جميعهم ولا عدد محدود بل يكفى بيعة جماعة من العلماء أو جماعة من أهل الرأى والتدبير بل يكفى عندهم الواحد ممن ذكر . فاذا بايع انعقدت به الخلافة للمبايع والدليل قول عمر لأبى عبيدة رضى الله تعالى عنهما يوم السقيفة أبسط يدك أبايعك . فقال أتقول هذا وأبو بكر حى . فبايع أبا بكر ولم يتوقف أبو بكر حتى يصل الخبر الى من كان حول المدينة من المسلمين كبنى أسلم وغفار وجهينة ولا الى أهل مكة والطائف وجوائى بالبحرين فينتخبوه مع المنتخبين له من المهاجرين والأنصار أو ينتخبوا غيره مثلا ولم ينكر عليه أحد من هؤلاء لما بلغتهم

بيعته فدل هذا لما قاله أهل الحق فى عقد البيعة للامام ، وبايع عبد الرحمن ابن عوف عثمان فتبعه بقية أهل الشورى وغيرهم ولم ينكر عليه أحد من أهل الأمصار العظيمة النائية عن المدينة (والمملكة الاسلامية إذ ذاك واسعة) لما بلغتهم بيعته ، فدل هذا أيضا لما قاله أهل الحق فى عقد البيعة للامام ، وإما باستخلاف الخليفة إياه كما فعل أبو بكر حيث استخلف عمر رضى الله تعالى عنهما واجماع الصحابة على خلافته بذلك إجماع على صحة الاستخلاف . وعلى هذا فقوله (لم تكن الظروف التى حصل فيها انتخاب على مشابهة لما كان عليه الحال فى انتخاب من كان قبله) ، وقوله أيضا (أما عند موت عثمان فلم يكن الأمر كذلك إلى آخر الهراء) واضح البطلان ، وقوله (فانه عقب وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى قوله وأجمع رأيهم على انتخاب أبى بكر) اعتراف منه بالاجماع على خلافة الصديق ونقض وهدم لما بناه سابقا فى بيعته من الخطل وقد أبطلته مفصلا . وقوله (وعقب وفاة أبى بكر لم يكن ثم مجال للخلاف لأنه كان قد عهد إلى عمر فرأى المسلمون وجوب طاعته صوابه أجمع الصحابة على صحة استخلاف أبى بكر ، وقوله (وعقب وفاة عمر كان قانون الشورى قد سن لهم) اعتراف بالسنة العمرية ، وقوله (فأصاب الانتخاب عثمان) صوابه عين عمر ستة الشورى للخلافة فكل واحد منهم صالح لها عنده وعهد إلى واحد منهم يعينه بقيتهم مع أهل المدينة فتنازل عنها سعد والزبير وعبد الرحمن وهم أهل الحل والعقد لعثمان وعلى فانحصرت فيهما وتقلد ابن عوف تولية من انتخبه أهل المدينة منهما فرجح الأكثرون تقديم عثمان على على ، وقد قدم طلحة من غيبته بعد بيعة عثمان فرضى وبايعه ، فكل من عثمان وعلى منتخب للخلافة من عمر ومن إخوانهما أهل الشورى ومن أهل المدينة فخلافة عثمان بمقتضى هـذا مجمع عليها ، وخلافة على وأفضليته على بقية الصحابة بعد عثمان بهذا المقتضى مجمع عليهما أيضا وقد تقدم تقرير هذا فى بحث الخلافة وعلى هذا فلا معنى لقوله (فكأن عمر قد عهد إلى واحد

من ستة يعينونه هم) يعني الستة وكان الصواب أن يقول بالجزم قد انتخب عمر ستة من أعيان الصحابة للخلافة وعهد إلى واحد منهم يعينه أهل الحل والعقد.فعين ثلاثة من رجال الشورى سعد والزبير وعبد الرحمن بتنازلهم عنها عثمان وعلياً وعينهما لها أيضا بعدهم أهل المدينة والأكثرون منهم رجحوا تقديم عثمان على علي ، فبيعة علي انعقدت له من عمر إجمالا وإرشاداً وتعيينا بقوله : ان ولوها الأجلح يسلك بهم الطريق المستقيم يعني عليا فقال له ابنه فما منعك أن تقدم عليا قال أكره أن أحملها حياً وميتا خرجه النسائي ، وفي رواية لله درهم ان ولوها الاصيلع كيف يحملهم على الحق وان كان السيف على عنقه ، قال محمد بن كعب فقلت أتعلم ذلك منه ولا توليه فقال إن أتركهم فقد تركهم من هو خير مني خرجه القلعي ، وتعيينا حكما وقوة من رجال الشورى وأهل المدينة وبعد وفاة عثمان انعقدت له تحقيقا وفعلا وبهذا وبما قررته في عقد الامامة عند أهل الحق ظهر بطلان قوله (أما عند موت عثمان فلم يكن الأمر كذلك الى قوله كانت الكلمة العليا في المدينة) فان خلاصته اشتراطه في صحة عقد الخلافة مبايعة جميع المسلمين للخليفة ولم يتوفر هذا الشرط في زعمه في بيعة علي لأن جنود الأمصار لم يبايعوه وثوارهم الذين قتلوا عثمان وبايعوه ليس عددهم بشيء أمام تلك الجنود الهائلة وأهل المدينة فرق منهم ومنهم أي لم يبايعوه كلهم ، وهذا الشرط باطل لم يقله مسلم ويلزم منه عدم صحة خلافة الصديق والفاروق وذي النورين لان الصديق لم يبايعه إلا أهل المدينة فقط ولم يبايعه أهل مكة وأهل الطائف وأهل جواثى بالبحرين ومن ثبت على الاسلام من اعراب المدينة جهينة وغفار وأسلم ، والفاروق لم يبايعه أيضا إلا أهل المدينة فقط فلم يبايعه أهل اليمن وتلك الجنود الهائلة التي كانت بالعراق وبالشام للفتح ، وعثمان لم يبايعه أيضا الا أهل المدينة فقط فلم يبايعه أهل الامصار العظيمة إذ ذاك اليمن والعراق والشام ومصر . فان قيل بيعة الصديق تامة بجمع عليها لان تلك البلدان المذكورة لما بلغتهم بيعته سكتوا

ورضوا به وكذلك خلافة الفاروق لأن أهل اليمن وتلك الجنود الهائلة التى كانت فى الفتوح لما بلغهم رضا أهل المدينة باستخلاف الصديق له رضواهم به أيضا ، وكذلك بيعة أهل المدينة لعثمان لما بلغت أهل الأمصار العظيمة رضوا به . قلت وكذلك بيعة على لما بلغت الأمصار رضوا به كلهم إلا معاوية وأهل الشام على انه كذب على التاريخ المنقول عن أهل المدينة . وأهل الأمصار أيضا . قال الحافظ ابن عبد البر فى استيعابه : اجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار وتخلف عن بيعته منهم نفر فلم يهجهم ولم يكرههم وسئل عنهم فقال أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل ، وتخلف عن بيعته معاوية ومن معه فى جماعة أهل الشام اه . وقال ابن جرير مصدراً به خلافته دخل على المسجد فدخل المهاجرون والانصار فبايعوه ثم بايعه الناس اه . وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة لم يزل بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم متصدياً لنشر العلم والفتيا فلما قتل عثمان بايعه الناس . وقال السيوطى فى تاريخ الخلفاء . قال ابن سعد : بويع على بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان بها من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وقال ابن الأثير فى كامله : فبايعه الناس ، وقول ابن عبد البر (وتخلف عن بيعته معاوية ومن معه فى جماعة أهل الشام) دليل على ان جميع الامصار بايعته سواهم وسوى شرذمة من المصريين ، وأل فى الناس فى كلام ابن جرير وابن حجر وابن الاثير للجنس فيحمل على العموم إلا المستثنين فى كلام ابن عبد البر ولا يقدح امتناع معاوية عن مبايعته فى الاجماع على خلافته كما لم يقدح فى الاجماع على خلافة الصديق امتناع سيد الخزرج سعد بن عبادة عن مبايعته على ان معاوية معترف بأن عليا أحق بالامامة وأفضل منه وإنما حجته فى الامتناع من بيعته طلبه تسليم الموجودين من قتلة عثمان فى جيشه اليه ليقتص منهم ، وفى شرح المقاصد عن بعض المتكلمين : أن الاجماع انعقد على ذلك ، ووجه انعقاده فى زمن الشورى على انها له أو لعثمان وهذا إجماع على انه لولا عثمان لكانت لعلى فحين خرج عثمان بقتله من البين بقى لعلى

إجماعا ومن ثم قال أمام الحرمين ولا اكتراث بقول من قال لاإجماع على امامة على فان الامامة لم تجحد له وانما هاجت الفتنة لامور أخرى ، فتقرر بهذا انه يتعلق بعلى رضى الله تعالى عنه ثلاث اجماعات عند أهل الحق : الاجماع على خلافته ، والاجماع على انه أفضل الصحابة بعد عثمان ، والاجماع على انه مصيب فى اجتهاده فى حروبه ومقاتلوه من الصحابة مخطئون فى اجتهادهم .

الاحاديث والاثار الدالة على خلافة امير المؤمنين

على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

قد وردت أحاديث وآثار عن عمر وغيره تدل على صحة خلافة على رضى تعالى عنه فمن ذلك ما رواه الامام أحمد فى مسنده بسند جيد عن على رضى الله تعالى عنه قال قيل (١) يارسول الله من نؤمر بعدك (قال إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة ، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا أميناً لا يخاف فى الله لومة لائم ، وإن تؤمروا عليا وما أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الصراط المستقيم) ومنها (٢) حديث سفينة مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه الائمة أحمد بن حنبل وأبو داود والترمذى والنسائى وأبو يعلى وابن حبان قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه (الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك) أى تتصل وتستمر على سنن النبوة هذه المدة وأل فى الخلافة للكمال فلا ينا فى مجىء خلافة على سنن النبوة بعد هذه لكنها ليست متصلة ، وقد اتفق العلماء على أنها تمت بمدة الحسن بن على ثلاثين . (٣) ومنها حديث عمار المشهور (تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) . (٤) وأحاديث الخوارج الصحيحة فى رواية (هم شرار متى يقتلهم خيار أمتى) وفى حديث (هم شر الخلق والخليقة) . (٥) وأخرج الترمذى وأبو يعلى عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (رحم الله أبا

بكر زوجنى ابنته وحملنى إلى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله لما رآه يعذب فى الله وما نفعنى مال فى الاسلام ما نفعنى مال أبى بكر،رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا لقد تركه الحق وما له من صديق ، رحم الله عثمان تستحييه الملائكة وجهز جيش العسرة وزاد فى مسجدنا حتى وسعنا ، رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار) .

(٦) وروى الامام أحمد وأبو يعلى والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله،فقال أبو بكر أنا هو يا رسول قال لا ، فقال عمر أنا هو يارسول الله قال لا ولكنه خاصف النعل) وكان قد أعطى علياً نعله يخصفه. (٧) وأخرج الامام أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعلى (أنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله) ، (٨) وأخرج الامام أحمد والبزار بسند حسن من حديث أبى رافع أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه(أنه سيكون بينك وبين عائشة أمر قال فأنا أشقاهم يا رسول الله قال لا ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها)، (٩) وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضى الله تعالى عنها فقال (انظرى يا حميراء أن لا تكونى أنت ثم التفت إلى على فقال إن وليت من أمرها شيئا فارفق بها) . (١٠) وأخرج البزار وأبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا (أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت) . (١١) وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى عن أبى الأسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال له على أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (تقاتله وأنت له

ظالم) فمضى الزبير منصرفاً ، وفى رواية أبى يعلى والبيهقى فقال الزبير بلى ولكن نسيت.وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال حين طعن وأوصى (إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيم) يعنى عليا أخرجه أبو عمر بن عبد البر . وعن عمرو بن ميمون قال كنت عند عمر إذ ولى الستة الأمر فلما جاوزوا أتبعهم بصره ثم قال(لان وليتم هذا الأجلح ليركبن بكم الطريق) يعنى علياً أخرجه ابن الضحاك ، وفى لفظ(إن ولوها ألاصيلع يحملهم على الحق وإن كان السيف على عنقه) أخرجه القلعى ، وأخرج البزار بسند جيد عن زيد بن وهب قال كنا عند حذيفة فقال(كيف أنتم وقد خرج أهل دينكم يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف قالوا فماذا تأمرنا قال انظروا إلى الفرقة التى تدعو إلى أمر على فالزموها فانها على الحق) وعن حارثة بن مضرب قال حججت مع عمر وكان الحادى يحدو(إن الأمير بعده عثمان)، فحججت مع عثمان فكان الحادى يحدو (إن الأمير بعده على) ، أخرجه البغوى فى معجمه.وعن فضالة بن أبى فضالة الانصارى قال خرجت مع أبى إلى ينبع عائداً لعلى بن أبى طالب فقال له يا أبا الحسن ما يقيمك بهذا البلد إن أصابك أجلك لم يلك إلا أعراب جهينة فلو احتملت إلى المدينة فأصابك أجلك وليك أصحابك فصلوا عليك فقال يا أبا فضالة(ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عهد إلى أن لاأموت حتى أؤمر ثم تخضب هذه « يعنى لحيته » من هذه « يعنى ناصيته » ، أخرجه الامام أحمد فى المناقب وأبو حاتم ثم قال وقتل أبو فضالة مع على بصفين،وخرجه الملاء فى سيرته وأخرجه ابن الضحاك وقال بعد قوله عائدا لعلى وكان مريضا ولم يقل حتى أؤمر . وروى الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف باسناده إلى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال ما آسى على شىء الا على أن لا أكون قاتلت الفئة الباغية . ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب فى ترجمة على وعن عمر بن خاقان قال قال لى الأحنف بن قيس لقيت الزبير فقلت له ما تأمرنى به وترضاه لى . قال آمرك بعلى بن أبى طالب قلت أتأمرنى به وترضاه لى قال نعم أخرجه الحضرمى .

كلام الامام الباقلانى

فى إمامة على رضى الله عنه فى كتابه التمهيد

قال (فان قال قائل ما الدليل على إثبات إمامة على وأنه اهل لما قام به وأسند اليه ومستحق لامامة الأمة ، قيل له : الدليل على ذلك كمال خلال الفضل فيه واجتماعها له لأنه من السابقين الأولين وممن كثر بلاؤه وجهاده فى سبيل الله وعظم غناؤه فى الاسلام.وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع ماله من القرابة الخاصة وتزويج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياه بنته وكريمته فاطمة رضى الله تعالى عنها وما روى فيه من الفضائل المشهورة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « وسرد منها جملة وافرة » ثم قال هذا مع ما ظهر من إعظام كافة الصحابة له واطباقهم على علمه وفضله وثاقب فهمه ورأيه وفقه نفسه وقول مثل عمر فيه (لولا على لهلك عمر) وكثرة مطابقتهم له فى الاحكام وسماع قوله فى الحلال والحرام ثم ماظهر من فقهه وعلمه فى قتال أهل القبلة من استدعائهم ومناظرتهم وترك مبادأتهم والنبذ اليهم قبل نصب الحرب معهم وندائه (لا تبدؤوهم با لحرب حتى يبدؤوكم ولا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح ولا يكبس بيت ولا تهج امرأة) ، وفى رواية أخرى (ولا يكسر بيت) ورده رحالات القوم اليهم وترك اغتنام أموالهم وكثرة تعريفه وندائه على ما حصل فى قبضته من أموالهم وكثرة الامر لابن عباس وغيره بقبول شهادة أهل البصرة وصفين إذا اختلطوا ووضعت الحرب أوزارها والصلاة خلفهم ، وقوله لمن سأل عن ذلك(ليس فى الصلاة والعدالة اختلفنا وانما اختلفنا فى اقامة حد من الحدود فصلوا خلفهم وأقبلوا شهادة العدول منهم) الى غير ذلك مما سنه من حرب المسلمين حتى قال جلة أهل العلم لولا حرب على لمن خالفه لما عرفت السنة فى قتال أهل القبلة ، هذا مع ما علم من شجاعته وغنائه واحاطته علما بتدبير الجيوش واقامة الحدود والحروب وقوله ظاهرا من غير رد من أحد حفظ عليه (ان قريشا تقول:(ان ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا رأى له فى الحرب .

لله أبوهم ومن ذا يكون أبصر بها منى وأشد لها مراسا والله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا اليوم قد ذرفت على الستين ولكن لا إمرة لمن لا يطاع) وكثرة ما ظهر منه من مناظرته لاهل البصرة وصفين وحروراء والنهروان ولطيف ما احتج به وأبان عن نفسه ، وفضل رأيه ، وانه على الواضحة فى سائر ما أتاه مما أنكروه ، وقد بسطنا ذلك ضربا من البسط فى كتاب مناقب الأئمة وببعض هذه الخصال ، ودون هذه الفضائل ، يصلح للخلافة ويستحق الامامة فبان بماذكرناه انه حقيق بما نظر فيه وتولاه اه) .

تلونه وتناقضه وتمسكه بالاقوال الباطلة

فى بيعة على رضى الله تعالى عنه

ظهر للقراء فيما كتبته كثرة تناقضه وتلونه فى محاضراته كما ظهر من استقرائى لما كتبه فى على رضى الله تعالى عنه من تاريخ ابن جرير انه إذا وجد فيه قولين أو أقوالا أحدها أقرب إلى الحق فيه فانه لا يعرج عليه وان كان صحيحا بل يتمسك بالآخر أوالاخرى مادام فيها الحط من كرامة على ويزيد عليها لتدعيم البهتان هواه وتقدم قريبا ان ابن جرير صدر خلافة على ببيعة المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير له بالمسجد ، وثنى أيضاً باسناده إلى أبى بشير العابدى بما ملخصه انه كان بالمدينة حين قتل عثمان وان المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير أتوا علياً ليبايعوه فامتنع فاختلفوا اليه مرارا ثم بايعهم أخيراً بعد الحاح شديد منهم عليه . هذا الذى صدر به ابن جرير هو الحق الذى عليه أهل الحق قاطبة ، وقد أعرض عنه المحاضر وتمسك بعده بأقوال باطلة . فقوله (كانت الكلمة العليا فى المدينة إذ ذاك بطبيعة الحال الى قوله ويقول الكوفيون) تلون و تناقض فى بيعته وبيانه انه قال سابقا فى بحث الخلافة (لذلك لما جاء دور على قام جماعة من أهل المدينة والثوار من الآفاق فبايعوه بالخلافة وهو بالمدينة ولم يؤخذ فى ذلك رأى غيرهم من المسلمين فى الحواضر الاسلامية كأن أهل المدينة

وحدهم هم الذين ينتهى اليهم أمر انتخاب الخلفاء وليس لغيرهم معهم رأى) وقد بينت تناقضه فى هـذا الكلام وأقول هنا أيضا انه قال قام جماعة من أهل المدينة والثوار ثم قال بعده كأن أهل المدينة وحدهم الى آخر الهراء ولا يخفى ان جماعة من أهل المدينة بمن التبعيضية يناقض كأن أهل المدينـة وحدهم بأل الجنسية الاستغراقية كما دل عليها بقية كلامه فهذا يدل على انهم كلهم بايعوه وذاك يدل على ان المبايع له بعض منهم وعطف الثوار على جماعة من أهل المدينة يدل على انهم مشاركون لجماعة من أهل المدينـة ليست لهم سيطرة عليهم وهنا جعل الكلمة العليا فى المدينة بطبيعة الحال لهم على أهل المدينة جميعاً فهل يمكن ترقيع هذا التلون والتناقض . وقوله (فـكلموه فى البيعة له فامتنع قليلا ثم أجاب الى ذلك) باطل يكذبه رواية أبى بشير العابدى التى ذكرتها . وقوله (ويقول الـكوفيون الى قوله وتخلف من الأنصار جمع) كله أقوال باطلة وسـعد بن أبى وقاص وعبـد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم بايعوه وانما تحرجوا عن قتال المسلمين وقد صح عن سعد وابن عمر انهما ندما عن تخلفهما عن نصرته لمـا قتل عمار وقد تقدم عن ابن عمر انه قال ما آسى على شيء إلا على أن لا أكون قاتلت الفئة الباغية . قال الباقلانى فى تمهيده (فان قال قائل : فاذا كانت امامة على من الصحة والثبوت بحيث وصفتم ، فما تقولون فى تأخر سعد بن أبى وقاص.وسعيد بن زيد وعبد الله ابن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وسلامة بن وقش وغير هؤلاء ممن يكثر عددهم ، وقعودهم عن نصرته والدخول فى طاعته ، قيل لهم ليس فى جميع القاعدين ممن أسميناه أو أضربنا عن ذكره من طعن فى إمامته واعتقد فسادها . وانمـا قعدوا عن نصرته على حرب المسلمين لتخوفهم من ذلك وتجنب الاثم فيه وظنهم موافقة العصيان فى طاعته فى هـــذا الفعل ، فلذلك احتجوا عليـه فى القعود ورووا له فى الأخبار ، وقال منهم قائل (لا أقاتل حتى تأتينى بسيف له لسان يعرف المؤمن من الـكافر ويقول : (هذا مؤمن وهذا كافر فاقتله) ولم يقل إنك لست بامام واجب الطاعة ،

وقال له محمد بن مسلمة بعد مراجعته ومعارضته (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عهد الى : إذا وقعت فتنة بين المسلمين ، أن أكسر سيفى وأتخذ مكانه سيفا من خشب) . وفى خبر آخر (أن أغمد سيفى وأمتسك فى بيتى حتى تأتينى ميتة ماضية أو يد خاطئة ، فاحذر ياعلى لا تكن انت تلك اليد الخاطئة) ولم يقل له لست بامام مفروض الطاعة ، وكذلك قال أسامة بن زيد (قد علمت ياعلى انك لو دخلت بطن أسد لدخلت معك فيه ، ولكن لا مواساة فى النار ، ولم يقل : انك لست بامام ، وانما خاف من قتل المسلمين . وليس هذا من القدح فى الامامة بسبيل اه) .

قال العلماء الأخبار التى تمسك بها فى اجتهاده من تخلف عن نصرة أمير المؤمنين على كلها أخبار آحاد وقائع أحوال خاصة لا تعارض الدليل القطعى الدال على جواز قتال المسلمين . قال الله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله﴾ فعدم مبايعة من أكثر تعدادهم له لو صح فيهم كلهم لا يؤثر شيئاً فى خلافته لأنهم محجوجون باجماع أهل الحل والعقد على بيعته وجمهور الأمة الاسلامية .

وقوله (وهرب قوم من أهل المدينة إلى الشام ولم يبايعوا علياً) شنشنته المعتادة التى لا تجوز إلا على البسطاء ألا سمى لنا ولو واحداً من هؤلاء القوم الفارين إلى الشام إن كان صحيحاً .

اعادة افترائه على على فى ترجمته وتخبطه فيها

قال فى ص ٤٩ ج ٢ ـ ترجمته على ـ (هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف وهو ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وشقيق والده ، وأمه فاطمة بنت أسد . ولد قبل الهجرة باحدى وعشرين سنة ولما أرسل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كان على مراهقاً وكان مقيما مع الرسول فى بيته تخفيفاً على أبيه فكان من أول من أجاب إلى الاسلام وكان له

الشرف العظيم بمبياته موضع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة أن ترك مكة مهاجرا حتى لا يرتاب المترصدون فى وجوده ببيته ثم هاجر بعد أن أدى الودائع التى أمر أن يسلمها لأهلها،وبعد الهجرة زوجه عليه الصلاة والسلام بنته فاطمة ، وحضر كل مشاهده عليه الصلاة والسلام ما عدا غزوة تبوك فان الرسول خلفه فيها على أهله وكان له الأثر المحمود والمقام الذى لا يجهل فى جميع الغزوات وكان شجاعا يخوض الغمرات ولا يبالى بشدة ، وكان يكتب لرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولما لحق الرسـول عليه الصلاة والسلام بربه كان على يرى فى نفسه أنه أحق بالخلافة ممن عداه وكان يظن أن الناس لا يعدلون به غيره لماله من شرف القربى والصهر ولكن المسلمين رضوا أبا بكر للخلافة فلم يبايع الا بعد أن ماتت فاطمة كما قيل ، ولما عهد أبو بكر لعمر رضى الله عنهما ورضى به المسلمون بايع معهم إلا أنه كان بدون ريب يرى أنه أحق بالأمر من عمر كما كان أحق من أبى بكر وكان فى عهد عمر كالمستشار يستشيره عمر كثيراً فى الأحكام الشرعية ، ولما عهد عمر إلى الشورى دخل معهم وكان يغلب على ظنه أن تكون الأغلبية له إلا أنها لم تصادفه وصرفت عنه إلى عثمان فرضى وبايع ولم تكن علاقته بعثمان فى آخر حياته حسنة الظاهر حتى إن اسمه استعمل للتغرير بالناس حتى يهيجوا على خليفتهم وحتى خاطبه بعض أهل مصر قائلا إن لم تقم معنا فلم كتبت الينا ولكن تبرأ من أن يكون كتب وحلف على ذلك : ولما انتهى أمر عثمان بويع بالخلافة على نحو ما فصلنا قبل ذلك بعد قتل عثمان بخمس ليال ا هـ) .

أقول صواب قوله ابن عبد المطلب بن عبد مناف ، ابن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . ولا يصح قوله ولد قبل الهجرة باحدى وعشرين سنة ، قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : ولد قبل البعثه بعشر سنين على الصحيح ، مع قوله بعده ولما أرسل الرسول عليه السلام كان على مراهقا ، على كلا القولين فعلى قوله يكون سنه عند بعثة الرسول ثمان سنين ، وعلى

ما صححه ابن حجر يكون سنه عندها عشر سنين ولا يسمى ابن ثمان أو عشر سنين مراهقا ، وقوله ولما لحق الرسول بربه كان على يرى فى نفسه أنه أحق بالخلافة ممن عداه ، فرية بلا مرية وطعن مكرر تقدم أبطاله فى بحث الخلافة وقوله (وكان يظن أن الناس لا يعدلون به غيره لما له من شرف القدر والصهر) فرية ثانية . وقوله (فلم يبايع إلا بعد أن ماتت فاطمة رضى الله تعالى عنها كما قيل) غير صحيح ، والصحيح أنه بايع فى ثانى يوم السقيفة وقد تقدم تقريره فى بحث الخلافة . وقوله : (ولما عهد أبو بكر لعمر ورضى به المسلمون بايع معهم إلا أنه كان بدون ريب يرى أنه أحق بالأمر من عمر كما كان أحق من أبى بكر) فرية ثالثة عليه وعلى التاريخ الاسلامى بدون ريب ، تقدم فى بحث الخلافة نقل أئمة الرواية عنه النقل المتواترة تفضيله الشيخين وعثمان على نفسه، وقوله (من فضلنى على أبى بكر وعمر جلدته حد الفرية) وثناؤه عليهما الثناء العظيم ، وتقويم قوله(وكان فى عهد عمر كالمستشار يستشيره عمر كثيرا فى الأحكام الشرعية) كان مفتياً يستفتيه عمر كثيرا فى معضلات المسائل الشرعيه ومستشاراً عظيما فى الامور السياسية المدلهمة حمله على هذا التعبير الجانف سوء اعتقاده فيه، بأنه لا يعرف السياسة وإنما يعرف الاحكام الشرعية فقط، وقد هذى بهذا كثيرا سابقاً ولاحقا .

وقوله أيضا ر كالمستشار) يقتضى أن عمر يستشيره قليلا، وقوله بعده(يستشيره عمر كثيراً) يناقضه أما كون عمر يستفتيه كثيرا فى المسائل الشرعية العويصة فأمر لا يحتاج إلى دليل ، فالصحابة وهو فى مقدمتهم والتابعون معترفون له بذلك . أخرج الامام البخارى فى التفسير وأبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال عمر (أقضانا على واقرؤنا أبى) ، وأخرج ابن سعد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال عمر بن الخطاب (على أقضانا) واصل هذا ما رواه الحاكم وابن ماجه والترمذى والبزار من طرق عن على أحسنها رواية البزار، أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال يا رسول الله بعثتنى أقضى بينهم وأنا شاب لا أدرى ما القضاء فضرب رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صدره وقال (اللهم أهده وثبت لسانه) قال فو الذى فلق الحبة ما شككت فى قضاء بين اثنين ، وأخرج ابن سعد أيضا عن عن سعيد بن المسيب قال كان عمر بن الخطاب يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن يعنى علياً ، وأخرج عنه أيضا قال لم يكن أحد من الصحابة يقول سلونى الا على . واخرج أيضا عن ابن عباس قال إذا حدثنا ثقة عن على الفتيا لانعدوها أى لا نتجاوزها . واخرج الحاكم عن ابن مسعود قال أقضى أهل المدينة على . وعن أبى سعيد الخدرى سمع عمر يقول لعلى وقد سأله عن شيء فأجابه: (أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن) وعن يحي ابن عقيل قال كان عمر يقول لعلى إذا سأله ففرج عنه (لا أبقانى الله بعدك يا على) أخرجها ابن السمان وسيأتى فى صفته الافاضة فى هذا الشق بسرد مسائل منه . وأما كونه عالما بالأمور السياسية المدلهمة فلا أدل عليه من كون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أمره على تبليغه عنه أوامر شرعه إلى جميع العرب وتلاوته عليهم أوائل سورة براءة ، وقال عليه الصلاة والسلام لا يبلغ عنى إلا رجل من أهل بيتى ، ولا أدل عليه أيضا من كونه عليه الصلاة والسلام بعثه إلى اليمن قائدا فاسلمت همدان كلها وكثير من أهل اليمن على يديه بدون حرب ، فالطاعن فيه بانه جاهل بالسياسة طاعن فى الرسول الأعظم الذى ولاه هذه الأمور الجسيمة وهو لا يعرفها ، والفاروق الذى كان عنده كالمستشار يستشيره كثيرا فى الأحكام الشرعية كان يستشيره أيضا كثيرا فى الأمور السياسيه العظيمة فقد ذكر ابن جرير الذى يعتمد عليه فى الأباطيل فقط وابن الأثير فى كامله. أن فارس لما تجمعوا بنهاوند فى جمع عظيم لحرب المسلمين جمع عمر الناس واستشارهم فى المسير اليهم بنفسه فاشار عليه عامة النـــاس بذلك وبعض رجال الشورى أيضا كما قيل فأعاد عمر استشارة الناس فقام اليه على رضى الله تعالى عنه فقال أما بعد يا أمير المؤمنين فانك أن اشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم وإنك إن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت

الحبشة الى ذراريهم وانك ان أشخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات أقرر هؤلاء فى أمصارهم واكتب الى أهل البصرة فليفترقوا ثلاث فرق فرقة فى حرمهم وذراريهم وفرقة فى أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مدداً لهم. إن الاعاجم إن ينظرا اليك غداً قالوا هذا امير المؤمنين أمير العرب واصلها فكان ذلك اشد لكلبهم عليك وأما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره ، وأما عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر ، فقال عمر هذا هو الرأى كنت أحب أن أتابع عليه اه . من ابن الاثير بالحرف .

وقوله:(ولما عهد عمر الى الشورى دخل معهم) يشعر بأنه أدخل نفسه فى الشورى ولم يعهد اليه عمر معهم . وقوله وكان يغلب على ظنه أن تكون الاغلبية له ، افتراء عليه وعلى التاريخ الاسلامى وحكم على ضميره . وقوله: ولم تكن علاقته بعثمان فى آخر حياته حسنة الظاهر ، افتراء عليه وعلى التاريخ الاسلامى وقوله : حتى ان اسمه استعمل للتغرير بالناس، تقدم أبطاله بأن رجال الفتنة فى الامصار زوروا كتبا على لسان أمهات المؤمنين واعيان من الصحابة فى الاستغاثة بهم من ظلم عثمان فلم يختص رضى الله تعالى عنه اذاً باستعمال اسمه للتغرير بالناس وعلى تقدير اختصاصه بذلك دون ما ذكرنا.فأى عاقل يلومه على استعمال مروجى الفتنة المغررين بالناس اسمه فى ذلك وتفصيله فى قوله:(ولما انتهى أمر عثمان بويع بالخلافة على نحو ما فصلنا قبل ذلك) فاسد قد أبطلته بالبراهين .

قال فى ص ٥٠ ج ٢ (ولما أراد على الذهاب الى بيته قال له السبئية فيما قيل :

خذها اليك واحذرن أبا حسن　　　انا نمر الامر إمرار الرسن
صولة اقوام كأشداد السفن　　　بمشرفيات كغدران اللبن

ونطعن الملك بلـين كالشطن حتى يمرن على غير عنن

فقال على وذكر ما كان

أنى عجزت عجزة لا أعتذر سوف أكيس بعدها واستمر

أرفع من ذيلى ما كنت أجر وأجمع الأمر الشتيت المنتشر

ان لم يشاغبنى العجول المنتصر أو يتركونى والسلاح يبتدر

ولما تمت البيعة جاءه جماعة من الصحابة وقالوا له إنا قد اشترطنا إقامة الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركوا فى دم هذا الرجل واحلوا بأنفسهم ، فقال لهم انى لست أجهل ما تعلمون ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت اليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومنكم ما شاءوا فهل ترون موضعا لقدرة على شىء مما تريدون قالوا لا ، قال فلا والله فلا أرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله إن هذا الأمر أمر جاهلية وإن لهولاء القوم مادة وذلك إن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدا إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور : فرقة ترى ما ترون وفرقة مالا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق فاهدأوا عنى وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا — واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج وإنما هيجه على ذلك هرب بنى امية وتفرق القوم وبعضهم يقول والله إن ازداد الامر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الاشرار لترك هذا إلى ما قال على . أمثل وبعضهم يقول نقضى الذى علينا ولا نؤخره والله إن علياً لمستغن برأيه وامره عنا لانراه الاسيكون على قريش اشد من غيره اه.

أقول هذا الكلام كله أباطيل رواها ابن جرير عن بطل الأكاذيب سيف بن عمر عن اناس مجهولين كعادته . فقوله (ولما أراد على الذهاب الى بيته الى قوله ولما تمت البيعة) كذب وما أشد سرعة تناقضه فى قوله (قالت السبيئة فيما قيل) ملبساً على القراء بنقده وتورعه حاكياً له بصيغة التمريض الدالة على ان شعر الثوار وجواب على لهم ضعيف عنده وقد قال قريباً (كانت الكلمة العليا فى المدينة إذ ذاك بطبيعة الحال لهؤلاء العابثين الذين

قتلوا الخليفة ولم يكن فى نظر جمهورهم أليق من على للخلافة فكلموه فى البيعة له الخ هرائه) ، فما باله نقضه هنا بتضعيف قولهم وهو مبنى عليه وانغماسه فى الأباطيل جعله يتناقض فيها كثيراً ولا يشعر بذلك . وقوله (ولما تمت البيعة جاءه جماعة من الصحابة وقالوا له انا قد اشترطنا إقامة الحدود الى قوله واشتد على قريش) باطل رواية فاسد دراية . أما بطلانه رواية فمن ثلاثة أوجه . (الأول) راويه راوى الأباطيل المتضاربة عن المجاهيل سيف بن عمر ، (الثانى) لم يشترط أهل الحل والعقد المبايعون لأبى بكر والمبايعون للفاروق والمبايعون لذى النورين إقامة الحدود فى مبايعتهم لهم . (الثالث) لم يقل أحد من علماء الاسـلام الذين عرفوا الامامة وشرحوها شرحاً وافياً أن الامامة لا تنعقد للامام من أهل الحل والعقد إلا بشرط إقامته الحدود ، وأما فساده دراية فمن عشرة أوجه . الأول : لا يخلوا حيدرة رضى الله تعالى عنه على هذا الهراء من أمرين : عـدم صلاحيته للامامة ، وصلاحيته لها ، فعلى عدم صلاحيته لها لايحل لأهل الحل والعقد مبايعة من لايصلح للامامة ولا يحل لهم أيضاً اشتراط اقامة الحدود على من ليس أهلا للامامة ، فمبايعتهم له واشتراطهم عليه ما ذكر (والحالة هذه) عبث بكرامة الأمة وحاشا ساداتها من العبث بكرامتها . الثانى : إقامة الحدود فرض فرضه الله على الامام كما فرض عليه الصلاة والصوم وجميع أركان الاسلام فاشتراط إقامتها عليه جهل بالدين وتحصيل حاصل وعبث أيضاً وقد أعاذ الله وبرأ سادات المسلمين من هذا كله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ وعليه فلا يليق (وهو الوجه الثالث) صدور الجهل بفرائض الله من عامة الناس فكيف بساداتهم ، وعليه فلا يعقل (وهو الوجه الرابع) قبول على رضى الله عنه لهذا الجهل لو صح صدوره منهم (الوجه الخامس): طلب أخذ القصاص من قاتلى عثمان رضى الله تعالى عنه حق لأولاده خاصة ، وعليه (وهو الوجه السادس) فالمقطوع به تاريخاً ان هؤلاء الثوار (وعددهم نحو ثلاثة آلاف) حاصروا أمير المؤمنين عثمان

حتى قتل والذى دخل عليه الدار منهم وقتله واحد من ثلاثة مصريين فقيل هو كنانة بن بشر التجيبي وقيل هو سودان بن حمران وقيل الغافقي (الوجه السابع) تقتل الجماعة بالواحد عند جمهور العلماء بشرط تمالئهم على قتله وعليه (وهو الوجه الثامن) فمن يستطيع أن يحقق ان جميع الثوار الذين حاصروا عثمان رضي الله تعالى عنه كانوا كلهم متفقين على قتله ولا يعلم مقاصدهم جميعا فى هذه الكارثه إلا علام الغيوب . (التاسع) جل هؤلاء المحاصرين له رضي الله تعالى عنه غير معينين والوصول الى معرفة كل واحد منهم باسمه وعينه إذ ذاك مستحيل عادة (العاشر) قال القرطبي فى تفسير سورة البقرة ما نصه : اتفق أئمة الفتوى على انه لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد حقه دون السلطان وليس للناس أن يقتص بعضهم من بعض ، وانما ذلك للسلطان أو من نصبه السلطان لذلك ، ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدى الناس بعضهم عن بعض اه .

قال الامام الباقلانى فى تمهيده : (وأما روى من قولهم « بايعناك على أن تقتل قتلة عثمان » فانه مما يبعد أن يكون صحيحا ، لان الاتفاق من على ومنهما – يعنى طلحة والزبير – على خطأ فى الدين ، وذلك ما يجب نفيه عنهم ما أمكن ووجد اليه السبيل ، وذلك ان عقد الامامة لرجل على أن يقتل الجماعة بالواحد لا محالة خطأ لا يجوز ، لانه متعبد فى ذلك باجتهاده والعمل على رأيه ، وقد يؤدى الامام اجتهاده إلى أن لا يقتل الجماعة بالواحد وذلك رأى كثير من الفقهاء ، وقد يكون ممن يرى ذلك ثم يرجع عنه إلى اجتهاد ثان ، فعقد الامر له على أن لا يقيم الحد إلا على مذهب من مذاهب المسلمين مخصوص فاسد باطل ممن عقده ورضى به ، وليس يجوز أن ينسب الى على وطلحة والزبير خطأ مقطوع بفساده من جهة أخبار الآحاد التى لا يجب العلم بصحتها ، وعلى انه إذا ثبت ان عليا ممن يرى قتل الجماعة بالواحد لم يجز ان يقتل جميع قتلة عثمان إلا بأن تقوم البينة على القتلة بأعيانهم ، وبأن يحضر أولياء الدم مجلسه ويطلبوا بدم أبيهم ووليهم ، ولا يكونوا فى

حكم من يعتقد أنهم بغاة عليه وممن لا يجب استخراج حق لهم دون أن يدخلوا فى الطاعة ويرجعوا عن البغى ، وبأن يؤدى الامام اجتهاده الى أن قتل قتلة عثمان لا يؤدى إلى هرج عظيم وفساد شديد قد يكون فيه مثل قتل عثمان أو أعظم منه ، وان تأخير إقامة الحد إلى وقت إمكانه وتقصى الحق فيه أولى وأصلح للامة وألم لشعثهم وأنفى للفساد والتهمة عنهم ، هذه أمور كلها تلزم الامام فى إقامة الحدود واستخراج الحقوق ، وليس لأحد أن يعقد الامامة لرجل من المسلمين بشريطة تعجيل إقامة حد من حدود الله والعمل فيه برأى الرعية ولا للمعقود له أن يدخل فى الامامة بهذا الشرط فوجب إطراح هذه الرواية ، لو صحت ولو كانا قد بايعا على هذه الشريطة فقبل هو ذلك لكان هذا خطأ منهم ، غير انه لم يكن بقادح فى صحة امامته لأن العقد له قد تقدم هذا العقد الثانى وهذه الشريطة لا معتبر بها لأن الغلط فى هذا من الامام الثابتة امامته ليس بفسق يوجب خلعه وسقوط فرض طاعته عند أحد اه .) وقال أيضاً : (وقد كان على رضى الله تعالى عنه مدفوعاً الى أمر عظيم من قتلة عثمان والمطالبين بدمه والمنكرين لقتله فكان لا يمكنه إقامة القود والحد على قوم قتلوا رجلا لا يعرفهم بأعيانهم وإن كان يعلم انهم تحت كنفه ومختلطون بالبرآء من أهل عسكره ، من حيث لا يمكنه تمييزهم والوصول الى معرفة أعيانهم . ولا أن يقيد للولى ، وهم أهل حرب له ، وغير مطالبين بالدم لأحد بعينه ، ولا مقيمين بينة على ذلك ولا حصل لهم إقرار ولا اعتراف من أحد بالقتل على وجه يصح مثله ويمكن العمل به ، وكانت الحامية من أصحابه مثل مالك الاشتر النخعى وابن بديل ابن ورقاء وابن سبأ ومحمد بن أبى بكر والغافقى وغيرهم ممن يرى رأيهم يكثرون الطعن على عثمان والمقالة فيه والبراءة منه وممن تولاه . وكان على كرم الله وجهه لا يمكنه أن ينتقم منهم ويجرد القول فى لعن قاتل عثمان والبراءة منه والأمر باقصائهم وأخراجهم من العسكر لتمالئهم وتضافرهم وخوفه من إفساد الامر عليه والقدح فيه ، ولا يلتحم ولا يلتئم ولا يمكنه

التصويب لقتل عثمان واظهار الرضا به ، لعلمه بأنه قتل مظلوماً وتبريه من قتله ، وانه لو قال ذلك اشتد نفور الناس عنه وكوشف واعتقد بذلك الضلال وظن السامعون انه رأيه فى عثمان ، وهو برىء من ذلك ، وكان إذا سئل عنه أورد الكلام المحتمل وتغلغل إلى لطيف التأويل والرفق بالفريقين وكانوا إذا سمعوا منه الكلام المحتمل ورأوا قتلته مختلطين بعسكره ظنوا انه مؤثر لما جرى وانه متمكن من إقامة الحد وأخذ القصاص لأوليائه وانه متحيف لهم ، وان كان بريئا من ذلك ، فيصير ظاهر اختلاط القوم بعسكره وما يسمع من محتملات أقاويله طريقاً لاجتهاد المحارب المطالب له بدم عثمان والقاعد عنه لموضع ظنهم به ماهو بعيد عنه ، فلا يبعد أن يكون المحارب له والقاعد عنه مصيباً فيما فعله لأجل هذه الشبهة ، فيزول الاثم عمن قصد هذا المقصد ، ولم يطلب بقتاله وقعوده عنه الخذلان للامامة والفتنة والتهاون بالقصة وحب النهب والغارة وأخذ ما ليس له ، وقد روى ان عليا رضى الله عنه قال بالبصرة (والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله ، ولكن الله قتل عثمان وأنا معه) وهذا محتمل فظن قوم انه خدعهم وانه قد أخبر عن نفسه انه قتله بقوله (وأنا معه) وليس ذلك كذلك لأنه أراد به انه أماته ويميتنى معه لأنه قد حلف وهو الصادق انه ماقتله ولا مالأ على قتله . وروى انه سئل عن قتل عثمان مرة : فقال : (والله ما ساءنى ذلك ولا سرنى) فصار هذا أيضاً طريقاً لتأويل الفريقين عليه غير الحق ، وهو إنما أراد بقوله : (ماساءنى مطالبة من يطالب بدمه واجتهاده فى ذلك لطلبه له من بابه ووجهه (ولا سرنى) قتل من قتله وكيف يسره ذلك ولا يسوءه وهو يقول : (اللهم العن قتلة عثمان فى البر والبحر) فيقول التأويل عليه أراد بقوله (اللهم العنهم) ان كانوا مستحقين للعن وكان عثمان غير مستحق للقتل ، ليرضى العامة بذلك ، وإلا فهو الذى سبب قتله وألب عليه ، وكان ذلك من غرضه لظلم عثمان وغصبه الأمر . وسئل فيما حكى دفعة أخرى عن دم عثمان فقال : (ان دم عثمان فى جمجمتى هذه) فقال أهل الحق انه أراد ان دمه

فى عنقى ولازم لى وواجب على حتى أقيد به وأقتل قتلته ، متى قامت البينة عليهم بأعيانهم وأمكن أخذ الحق منهم . وقال آخرون : لا بل أراد انه هو الذى قتله وأمر بذلك ودعا اليه وكذلك كان يجب عليه ، فكل هذه الأقاويل مع اختلاط القتلة بأهل عسكره وكونهم تحت رايته ليسوغ التأويل للمحارب له والقاعد عنه عند يقينه وتشككه وكان على رضى الله تعالى عنه أبصر وأعلم بما يعرض لهم من الشبهات وكان يبرئهم من المآثم فلا يجبر القاعد عنه على الحرب علماً منه بما سبق الى وهمه مما هو برىء منه . وقد روى ان عليا رضى الله تعالى عنه قام فى الناس خطيباً عند مسيره الى البصرة فقال : (أيها الناس املكوا أنفسكم وكفوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء فانهم إخوانكم واصبروا على مانا بكم فان المخصوم من خصم اليوم)وسار على تعبئته وانه قام فيهم مقاما آخر فقال : (لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم فانكم بحمد الله على حجة ، وإذا قاتلتموهم فغلبتموهم فلا تجهزوا على جريحهم ، وإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، فاذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً الا باذن ولا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما تجدونه فى عسكرهم) يعنى من سلاح خزائن السلطان فانه قد بين ذلك وفسره فى كلام آخر قد ذكرناه فى غير هذا الكتاب (ولا تهيجوا امرأة وان شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم وصلحاءكم ، فانهن ضعاف القوى والأنفس والعقول ، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن مشركات) وهذا يدل على انهن عنده غير مشركات وان رأين حربه وانهن مع هذه الحال مؤمنات . وكذلك قوله (فانهم إخوانكم) يدل على انهم مسلمون ليسوا بكفار ولا فساق أيضا ولان مثل هذا الاطلاق يقتضى المساواة عنده فى الرتبة والمنزلة الدينية اه) وقوله (واشتد على قريش إلى آخر الهراء) كله أباطيل .

ابطال طعنه فيه من جهة عزل العمال وكذبه

على التاريخ وجهله به

قال فى ص ٥١ ج ٢ — اول اعمال على - (راى على ان يكون اول اعماله عزل جميع ولاة عثمان قبل ان تصل اليه بيعة اهل الامصار وقد حذره عاقبة ذلك المغيرة بن شعبة اولا وابن عباس ثانيا فأبى ذلك اباء تاما كأنه قد وقر فى نفسه ان هؤلاء العمال لا يصلحون لان يلوا شيئاً من امر المسلمين وإن الابقاء على واحد منهم يوما كاملا نقص فى دينه ولو كان الامر قد استتب وبايعه اهل الامصار لما كان فى عزل الولاة شىء لان الخليفة هو الذى يعطى الولاة سلطانهم فهو حر فى اختيار عماله ولكن هذه السرعة الغريبة لم تفهم مع انه قبل ان يؤخر الحد على قتلة عثمان حتى يهدأ الناس مع أن هذا حد من حدود الله، فرق العمال على الامصار فأرسل عثمان بن حنيف إلى البصرة ، وعمارة بن شهاب إلى الكوفه وعبيد الله ابن عباس إلى اليمن ، وقيس بن سعد بن عبادة إلى مصر ، وسهل بن حنيف إلى الشام . فأما سهل فانه خرج حتى أتى تبوك فلقيته خيل فسألوه من أنت فقال أمير على الشام فقالوا إن كان عثمان بعثك فحيهلا وإن كان غيره بعثك فارجع ، قال أو ما سمعتم بالذى كان ، قالوا بلى ، فرجع إلى على . وأما قيس بن سعد فانه سار حتى أتى مصر فافترق عليه أهلها فرقاً. فرقة دخلت فى الجماعة وكانوا معه . وفرقة وقفت واعتزلت إلى خربتى وقالوا ان قتل قتلة عثمان فنحن معكم وإلا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا. وفرقة قالوا نحن مع على ما لم يقد اخواننا وهم فى ذلك مع الجماعة . وأما عثمان بن حنيف فانه سار حتى البصرة ، وكان أهلها فرقا كأهل مصر . وأما عمارة فانه سار حتى إذا كان بزبالة لقيه طليحة ابن خويلد الأسدى وقد كان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه فطلع عليه عمارة فقال له ارجع فان القوم لا يريدون بأميرهم بدلا فان

أبيت ضربت عنقك فرجع عمارة . وانطلق عبيد الله بن عباس الى اليمن فجمع يعلى كل شيء من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته الى مكة فقدمها بالمال اه) .

أقول هذا الكلام المتعلق بعزل على للعمال وإشارة المغيرة بن شعبة عليه أولا بابقائهم ثم ثانيا بعزلهم واشارة ابن عباس عليه أيضا بابقائهم وقوله له فى المغيرة نصحك فى الأولى وغشك فى الثانية ، كله رواية ابن جرير عن بطل الأباطيل سيف بن عمر وفيها من التضارب ماسأبطله بحول الله بالبراهين وقد زاد عليها المحاضر افتراءه على حيدرة وسوءأدبه معه فى التعبير وجهله بالتاريخ الصحيح . الصحابة رضى الله عنهم كلهم مسددون فى اعتقادهم وأعمالهم بشهادة الله لهم بذلك فى كتابه العزيز فى آيات كثيرة تقدم ذكرها وشهادة رسوله لهم أيضا بذلك فى أحاديث كثيرة تقدم بعضها منها قوله عليه الصلاة والسلام خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ومنها (وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا ما أنا عليه وأصحابى) فكيف بالخلفاء الراشدين المهديين الذين حث عليه الصلاة والسلام على اتباع سنتهم فقال من حديث طويل : (وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح ، ورابع الخلفاء وأفضل الأمة الاسلامية بعد الثلاثة، وباب مدينة العلم فى الدرجة الأولى من مجتهدى علمائهم مسدد مصيب فى جميع أعماله فلا ينتقده الا شانىء زائغ أو جاهل غبي محقب دينه وضميره غيره . لم تردع هذا المحاضر عن الطعن فى الصحابة بالوقاحة والجهل آيات القرآن المشيدة بفضائلهم ، ولم تردعه الأحاديث المستفيضة عنه عليه الصلاة والسلام فى مناقبهم ، ولم يتأدب بآداب العلم والعلماء الذين هم على سنن الأنبياء ، وللعلم وقار يحجز صاحبه عن الهمز واللمز والوقاحة والاستهزاء وغيرها من الأخلاق الذميمة التى ليست من

أخلاق العلماء ويقبح أشد القبح اطلاقها على مطلق المؤمنين فكيف بالصحابة رضوان الله تعالى عليهم. قالت بنو اسرائيل لموسى كليم الله عليه الصلاة والسلام ﴿ اتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ يعنى عليه الصلاة والسلام ان الهزء من أخلاق الجاهلين لذلك استعاذ بالله منه ، قد تقدم نقلى لكلامه فى كتابه الذى ألفه فى أصول الفقه فى تقديسه لابى اسحق الشاطبى فى موافقاته وزعمه انه لم ير من كتب من الأصوليين فى حكمة التشريع مثل كتابته وان شيخه محمد عبده لما زارهم بالسودان حثه على مطالعة الموافقات وقد نص الشيخ الذى قدسه أبو اسحق الشاطبى فى موافقاته فى كتاب الاجتهاد على ان الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين من هذه الامة هى التى على ما عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه والى القراء كلامه قال ما نصه : (المسألة التاسعة) فيعرض فيه أن يعتقد فى صاحبه أو يعتقد هو فى نفسه انه من أهل الاجتهاد وان قوله معتدبه وتكون مخالفته تارة فى جزئى وهو أخف وتارة فى كلى من كليات الشريعة وأصولها العامة كانت من أصول الاعتقادات أو الاعمال . فتراه آخذا ببعض جزئياتها فى هدم كلياتها حتى يصير منها الى ماظهر له ببادئ رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا راجع رجوع الافتقار اليها ولا مسلم لما روى عنه فى فهمها ولا راجع الى الله ورسوله فى أمرها كما قال تعالى ﴿ فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ الآية ويكون الحامل على ذلك بعض الاهواء الكامنة فى النفوس الحاملة على ترك الاهتداء بالدليل الواضح واطراح النصفة . والاعتراف بالعجز فيما لم يصل اليه علم الناظر ، ويعين على هذا الجهل بمقاصد الشريعة ، وتوهم بلوغ درجة الاجتهاد باستعجال نتيجة الطلب فان العاقل قلما يخاطر بنفسه فى اقتحام المهالك مع العلم بأنه مخاطر ، وأصل هذا القسم مذكور فى قوله تعالى ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ﴾ الآية ، وفى الصحيح ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ هذه ثم قال ﴿ فاذا رأيتم الذين يتبعون

ما تشابه منــــه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ﴾ والتشابه في القرآن لا يختص بما نص عليــــه العلماء من الامور الالهية الموهمة للتشبيه ، ولا العبارات المجملة ولا ما يتعلق بالناسخ والمنسوخ ولا غيرذلك مما يذكرون ، بل هو من جملة ما يدخل تحت مقتضى الآية إذ لا دليل على الحصر وإنما يذكرون من ذلك ما يذكرون على عادتهم فى القصدإلى مجرد التمثيل ببعض الأمثلة الداخلة تحت النصوص الشرعية ، فان الشريعة إذا كان فيها أصل مطرد فى أكثرها مقرر واضح فى معظمها ثم جاء بعض المواضع فيها مما يقتضى ظاهره مخالفة ما اطرد. فذلك من المعدود فى المتشابهات التى يتقى اتباعها ، لأن اتباعها مفض إلى ظهور معارضة بينها وبين الأصول المقررة والقواعد المطردة فاذا اعتمد على الأصول وأرجأ أمر النوادر ووكلت إلى عالمها أوردت إلى أصولها فلا ضرر على المكلف المجتهد ولا تعارض فى حقه ودل على ذلك قوله تعالى ﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب ﴾ فجعل المحكم وهو الواضح المعنى الذى لا إشكال فيــــه ولا اشتباه. هو الام والاصل المرجوع اليه ، ثم قال ﴿ وأخر متشابهات ﴾ يريد وليست بأم ولا معظم فهى إذاً قلائل ثم أخبر ان اتباع المتشابه منها شأن أهل الزيغ والضلال عن الحق والميل عن الجادة ، وأما الراسخون فى العلم فليسوا كذلك وما ذاك إلا باتباعهم أم الكتاب وتركهم الاتباع للمتشابه ، وأم الكتاب يعم ما هو من الاصول الاعتقادية أو العملية . إذ لم يخص الكتاب ذلك ولا السنة بل ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعـالى عنـه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة) . وفى حديث الترمذى تفسير هـذا باسناد غريب عن غير أبى هريرة فقال فى حديثه (وإن بنى اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين كلهم فى النار إلا ملة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى) والذى عليه النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم ظاهر فى الاصول الاعتقادية والعملية على الجملة لم يخص من ذلك شيء دون شيء ، وفى أبى داود (وان هـــذه الملة ستفترق على ثـلاث وسبعين . ثنتان وسبعون فى النـار وواحـدة فى الجنـة وهى الجماعة) وهى بمعنى الرواية التى قبلها ، وقـد روى ما يبين هذا المعنى ذكره ابن عبد البر بسند لم يرضه وإن كان غـيره قد هون الامر فيـــه انه قال (ستفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة الذين يقيسون الأمـور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال) فهذا نص على دخول الاصول العملية تحت قوله (ما أنا عليه وأصحابى) وهو ظاهر فان المخالف فى أصل من أصول الشريعة العملية لا يقصر عن المخالف فى أصل من الأصول الاعتقادية فى هدم القواعد الشرعية اهـ ج ٤ ص ٩٨ و٩٩) . فقوله (رأى على أن يكون أول أعماله الى قوله وقد حذره عاقبة ذلك المغيرة) صحيح وغير صحيح فبدء أعماله رضى الله تعالى عنه بتوليته العمال على الامصار صحيح وهو امام مجتهد له ان يعزل جميع عمال عثمان إذا رآى المصلحة فى ذلك ، وقد ولى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المعصوم زياد بن لبيد البياضى على حضرموت وكندة والعلاء بن الحضرمى على البحرين فعزلهما الخليفتان بعده. العلاء عزله عمر. وزياد عزله الصديق . وقد ولى أبو بكر القائدين العظيمين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة فكان عزلهما مع كفاءتهما أول اعمال عمر ، وولى الفاروق على مصر عمرو بن العاص وعلى حمص عمير بن سعد الانصارى فقاما بعملهما أحسن قيـــام فعزلهما ذو النورين ، وولى على مصر ابن أبى سرح وضم حمص الى معاوية فهل ينتقد عاقل الصـديق والفاروق وذا النورين فى عزلهم هؤلاء العمال الأكفاء ، ان لكل وقت أحوالا وتغيرات تطرأ تحمل اللاحق على مالا يراه السابق من الاجتهاد وكلهم مصيبون ، وغير صحيح فى قوله : (أول أعماله عزل جميع ولاة عثمان) فان العزل لم يتحقق إلا فى معاوية وأبى موسى الاشعرى على انه أقر أبا موسى على الكوفة . قال ابن كثير وكتب أبو موسى

الى على بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم ، وعبد الله بن عامر أمير البصرة. قال ابن الاثير فى كامله خرج منها ولم يول عثمان عليها أحداً ، أى قبل قتل عثمان وقال ابن حجر فى الاصابة خرج منها بعد قتل عثمان وقدم مكة وانضم الى طلحة والزبير وحضر معهم وقعة الجمل ، ويعلى بن أمية أمير اليمن أخذ مال جباية اليمن وقدم مكة بعد قتل عثمان وانضم الى طلحة والزبير ، حضر معهم وقعة الجمل ، وابن أبى سرح عامل مصر وفد على عثمان واستناب ابن عمه عليها فلما رجع اليها وجد ابن أبى حذيفة تغلب عليها فطرده عنها فذهب الى الرملة ومكث بها حتى مات فتحقق أن أميرى اليمن والبصرة عزلا انفسهما وأمير مصر عزله المتغلب عليها ابن أبى حذيفة ، وهذا أوضح فى التاريخ من الشمس . وعزل حيدرة لمعاوية الذى انتقده به الجاهلون وعدوه من أعظم ذنوبه إنما كان لاستبداده على الخليفة عثمان واقتطاعه الامور دون أمره خصوصا آخر حياته وقد كان أشد هيبة لعمر من يرفأ غلامه كما قاله على لعثمان فى محاورة جرت بينهما فاعترف عثمان بذلك، ذكرها ابن الأثير فى كامله ، ولأجله عزل عمر خالدا لأنه فى اجتهاده كان يقتطع الامور بدون اذن الخليفة أبى بكر ، فعزل على رضى الله عنه لمعاوية مثل عزل عمر رضى الله تعالى عنه لخالد وقد كان عمر يلح على أبى بكر فى عزله فلا يقبل منه ، واحتجاجهم بأن عمر ولاه وعثمان أقره وزاده هذا المحاضر بأن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولاه وأبو بكر أيضاً وقد تقدم ابطاله جهل فادح بالدين والتاريخ معا يلزم منه أن يكون كل عامل ولاه الفاروق مقدساً فى جميع أعماله لايسوغ عزله ، ويلزم منه أيضا أن يكون عمر فى انتقاء العمال وتهذيبهم خيرا من الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يتفوه بهذا من له مسكة من دين وعقل ، وقد تقدم عزل العمرين لزياد بن لبيد والعلاء بن الحضرمى مع كون الرسول ولاهما وقد ولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبا موسى الاشعرى على تهامة اليمن ثم ولاه عمر ثم عزله وولاه عثمان ، وقد ولى عليه الصلاة والسلام الوليد

ابن عقبة على صدقة بنى المصطلق فرجع اليه قبل أن يصلهم وأخبره إنهم ارتدوا عن الاسلام ومنعوا الزكاة ظنا منه لما خرجوا لملاقاته أنهم يريدون قتله لما كان بينه وبينهم فى الجاهلية من الإحن فكاد بذلك يهلك حيا من المسلمين بريئين - لولا حكمته عليه الصلاة والسلام وبسببه نزل قوله تعالى﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾الآية وفى الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام أمر رجلا من الازد على الصدقة يقال له ابن اللتبية فلما قدم حاسبه عليه الصلاة والسلام فأبقى شيئا عنده من المال وقال هذا لكم وهذا أهدى لى فغضب عليه الصلاة والسلام وقال على المنبر : (أيها الناس مابال الرجل منكم نرسله على مال الله فيقول هذا لكم وهذا أهدى لى الا جلس فى بيت أمه حتى ينظر هل يهدى له) وثبت أيضا أنه عليه الصلاة والسلام أرسل خالد بن الوليد يوم الفتح فى سرية إلى بنى جذيمة فقتل منهم ناسا لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ظنا منه انهم مشركون فبلغه عليه الصلاة والسلام فأرسل اليهم دياتهم مع على بن أبى طالب ورفع يديه إلى السماء وقال (اللهم إنى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد) وثبت أنه عليه الصلاة والسلام استعمل عبد الله بن سعد بن أبى سرح على كتابة الوحى التى هى أعظم الأعمال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة وصار يقول للمشركين إن محمدا يسمع كلامى فاكتب له ماأريد ، وغير صحيح أيضا قوله (قبل أن تصل اليه بيعة أهل الامصار) فان تولية الامام العمال على الامصار غير مشروط بوصول بيعة أهلها له عند جميع المسلمين، فمتى بايع أهل الحل والعقد أى خليفة لزمت بيعته جميع البلدان النائية عن مركز خلافته عند جميع العقلاء وقد تقدم شرحه فى بحث الخلافة ولو كانت تولية الخليفة العمال على الامصار متوقفة على وصول بيعة أهلها له ماتمت بيعة الصديق لأنه تصرف بارسال بعث أسامة ومحاربة المرتدين قبل وصول بيعة أهل مكة والطائف وجوانى ، وكذلك الفاروق فانه افتتح خلافته بعزل خالد بن الوليد وتولية أبى عبيدة بن الجراح قائدا عاما على جيوش المسلمين بالشام قبل وصول

بيعة أهل اليمن وجيوش المسلمين بالشام والعراق اليه. وكذلك ذو النورين تصرف فى أمور المسلمين قبل وصول بيعة الامصار اليه ، وبهذا ظهر بطلان كلامة : وقوله (وقد حذره عاقبة ذلك المغيرة بن شعبة إلى قوله كأنه قد وقر فى نفسه) باطل من سبعة أوجه (الاول) : انه رواية سيف بن عمر وقد حكاه كله ابن الاثير فى كامله بصيغة التمريض (قيل) . (الثانى) : قد عد هذا الذى يجمع بين الاباطيل المتناقضة المغيرة بن شعبة فى الذين لم يبايعوا حيدرة تقليداً لابن جرير الذى روى ذلك أيضا عن أناس مجهولين ، فكيف تعقل نصيحة من لم يبايعه له . (الثالث) : الجمع بين نصيحة على أولا وغشه ثانيا لا يصدر من أى صحابى كان فكيف بالمغيرة الذى هو من أفاضلهم إذ ليس الغش من أخلاق المسلمين، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « من غشنا فليس منا » . (الرابع) على تقدير صحة هذا الهراء لم امتاز المغيرة ابن شعبة بنصيحته من دون الصحابة . (الخامس) على تقدير صحته أيضا هل كان المغيرة بن شعبة مستشارا خاصا للخلفاء قبله حتى يلام على عدم قبول نصيحته الجواب التاريخى لا . (السادس) المغيرة بن شعبة قال لأمير المؤمنين على فى هذه النصيحة الموضوعة عليهما كما فى كامل ابن الأثير (إن لك حق الطاعة والنصيحة وأنت بقية الناس الخ الهراء) فهل تعقل طاعته له وهو لم يبايعه . (السابع) ابن جرير قال أشار عليه وابن الأثير قال نصحه والمحاضر زاد فى طنبور هذا الباطل عليهما نغمة وهى التحذير قال (وقد حذره عاقبة ذلك المغيرة بن شعبة أولا وابن عباس ثانيا) فافترى على الصحابيين الجليلين المغيرة بن شعبة وابن عباس رضى الله تعالى عنهما افتراء زائدا على افتراء واضع الاقصوصة عليهما وعلى حيدرة . وقوله : (كأنه قد وقر فى نفسه الى قوله ولو كان الأمر قد استتب) وقاحة وسفاهة ، وقوله (ولو كان الأمر قد استتب الى قوله لأن الخليفة) فاسد لأن الأمر قد استتب بمبايعة جل الامصار . وقوله (لأن الخليفة هو الذى يعطى الولاة الى قوله ولكن هذه السرعة) اعتراف منه بحرية الخليفة فى تصرفاته

باجتهاده . وقوله (ولكن هذه السرعة الغريبة لم تفهم) ، صحيح فيه وفى أشباهه،أما الذين سلمت قلوبهم من الزيغ فقد علموا وفهموا أن هذه السرعة هى سرعة الفاروق فى عزل خالد بعينها التى عمى عنها وأبصر هذه لنصبه لحيدرة وقوله (مع انه قبل أن يؤخر الحد على قتلة عثمان حتى يهدأ الناس) يقتضى ان علياً أراد أن يبادر بأخذ القصاص من قتلة عثمان ولكن الناس طلبوا منه أن يؤخره فقبل منهم وهو فاسد مناقض لما قدمه قريباً وهو قوله (ولما تمت البيعة جاءه جماعة من الصحابة وقالوا له إنا قد اشترطنا اقامة الحدود الى آخر الهراء) الذى أخذه من ابن جرير وابطلته فما أشد سرعة تناقضه ، وانقسام أهل مصر على ثلاث فرق الذى قلد فيه ابن جرير الراوى له هذا عن سيف بن عمر وشعيب وجماعة مجهولين على أميرها لعلى قيس بن سعد ابن عبادة فى قوله (وأما قيس بن سعد الى قوله وأما عثمان بن حنيف) غير صحيح وكذلك قوله (وأما عثمان بن حنيف فانه سار حتى البصرة وكان أهلها فرقا كاهل مصر) فأهل المصرين انقسم كل منهم الى طائفتين فقط : قال ابن كثير فى بدايته مانصه (وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور وقالت طائفة لانبايع حتى نقتل قتلة عثمان وكذلك أهل البصرة ، على أنه غير صحيح فى أهل البصرة فقد بايعوه كلهم وقوله (وأما عمارة بن شهاب الى قوله وانطلق عبيد الله بن عباس) صحيح فى رجوع عمارة بن شهاب الى على وغير صحيح فى كون طليحة بن خويلد الأسدى هو الذى رده فان طليحة مات فى خلافة عمر ، قال ابن كثير فى بدايته استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النعمان بن مقرن وعمرو بن معدى كرب ، وقال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى آخر كتاب الانبياء فى ذكر طليحة ، انه تاب ومات على الاسلام على الصحيح فى خلافة عمر ، وبهذا ظهر بطلان هذه الاسطورة الموضوعة على طليحة وعمارة المقلد فيها لابن جرير الراوى لها عن شعيب وسيف والمجاهيل ، والمتعين فى رجوع عمارة تاريخاً هو كتابة أبى موسى الى أمير

المؤمنين على بطاعة اهل الكوفة ومبايعتهم له قبل أن يصل اليها عمارة فأقره على عليها فلا حاجة إذاً الى عمارة وقد تقدم نقله عن ابن كثير فى بدايته .

وقوله (وانطلق عبيد الله بن عباس الى اليمن فجمع يعلى كل شىء من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته الى مكة فقدمها بالمال) فيه تناقض ظاهر فى قوله فجمع يعلى كل شىء من الجباية وتركه وخرج بذلك إذ ترك مال الجباية باليمن.مناقض لخروجه به وخروجه به وقدومه مكة به ينافى تركه باليمن . وحيث تحققنا تقليده لابن جرير فى الأباطيل والمحالات والمتناقضات فهذا الهذيان بنصه مذكور فى ابن جرير وتقويمه فى كامل ابن الأثير هكذا (فجمع يعلى بن منية كل شىء من الجباية وخرج به الى مكة فقدمها بالمال اه .

افتراؤه ايضا على خلافة على وعليه

وعلى معاوية وأبطاله

قال فى آخر ص ٥١ وأول ص ٥٢ ـ اضطراب الحبل ـ اضطرب الحبل فى جميع الامصار الكبرى الاسلامية ففى الشام كان الامير معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية كان أميراً على الشام فى عهد عمر وعثمان وكان محبوباً من أهله فلما وقع اليهم مقتل عثمان واستخلاف على لم يرض أن يدخل فى بيعته لاسباب . (١) انه يتهم عليا بشىء من أمر عثمان ، (٢) انه آوى قتلته فى جيشه ، (٣) انه كان بين الرجلين نفور أدى إلى أن علياً يرى من أول واجباته عزل معاوية عن امارة الشام وليس ذلك من السهل على رجل اعتاد الامارة والعزة ، نعم ليس من السهل أن يدخل مختاراً فى بيعة نتيجتها إذلاله والاستهانة به وكيف يختار ذلك وهو محاط بجند يفضلونه على أنفسهم ويرونه أليق للامارة عليهم ولم ير لعلى بيعة توجب عليه طاعة يضطر اليها اضطراراً اه) .

أقول : اشتمل هذا الكلام على فريتين . الاولى قوله اضطرب الحبل

فى جميع الامصار الكبرى الاسلامية أى حبل الامة الاسلامية . الثانية قوله انه كان بين الرجلين نفور الخ فقوله اضطرب الحبل كذب مكشوف فلم يقل أى مؤرخ مسلم ولو ناصبيا ان حبل الامة الاسلامية اضطرب فى جميع الامصار الكبرى لاقبل بيعة حيدرة ولا بعدها وقد تقدم نقلى عن أئمة الرواية الاثبات بيعة جميع الامصار الكبرى لامير المؤمنين على ماعدا الشام وهذا بمافيه من المدن والقرى مصر واحد عند جميع المؤرخين لاأمصار، ولا يستحي هذا المحاضر من كثرة الافتراء لمحاولة الحط من مقام أبى الحسن ورفعة مقام معاوية والجناية على التاريخ الاسلامى . فقوله فى معاوية لم يرض أن يدخل فى بيعته لاسباب (١) (انه يتهم علياً بشىء من أمر عثمان) غير صحيح عنه هذا فى التاريخ . وقوله (٢) (انه آوى قتلته فى جيشه) هو السبب الوحيد فقط فى امتناعه عن مبايعته ولكن تقويمه ، مطالبة على بتسليمهم اليه ليقتص منهم . وقوله (٣) (انه كان بين الرجلين نفور الى آخر الهراء) افتراء عليهما رضى الله عنهما على انه لو ثبت لا يكون عذراً مسوغاً لمعاوية شذوذه عن جماعة المسلمين. وقوله (أدى عليا إلى قوله عن امارة الشام) تقدم الجواب بأن مبادرة أمير المؤمنين بعزل معاوية مثل مبادرة الفاروق بعزل خالد فى أول أعماله عن قيادة جيوش المسلمين لاستبداده على الخليفة أبى بكر بأعمال يراها عمر من وظيفة أبى بكر ، وهكذا كان على يرى معاوية يستبد على الخليفة عثمان، بما هو من وظيفته على ان خالداً أفضل من معاوية وأعظم أعمالا فى الاسلام منه ، والنفور الذى بين خالد والفاروق أقرب إلى الثبوت من النفور المفترى على على ومعاوية ولم يكن النفور الذى بين الفاروق وخالد واعتياده قيادة الجيوش التى جعلها له الصديق الأكبر وعزته الاسلامية القرشية المخزومية وقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيه : (خالد سيف من سيوف الله صبه الله تعالى على الكفار) رواه أبو يعلى وابن عساكر مسوغا له التمرد على الفاروق بل سلم ورضى وصار فرداً من عسكر المسلمين يخضع لرئيسه وصارت له بعد عزله مكانة ومحبة عند الفاروق سطرهما التاريخ .

وقوله وليس ذلك من السهل إلى قوله وكيف يختار ذلك ، فاسد لأن اعتياد شخص للامارة لا يوجب على من ولاه ولا على غيره إبقاءه فيها إذا رآى المصلحة فى عزله وقد عزل الفاروق سعد بن أبى وقاص وعثمان بن مظعون وخالداً وقد اعتادوا الامارة والعزة وكلهم من أهل السابقة إلى الاسلام ومن صميم قريش وكل واحد منهم أفضل من معاوية وكفء لما أسند اليه فهذا الهذيان الذى نسبه لمعاوية تعصباً له وهو اعتياده للامارة وعزته وإذلال على له واستهانته به إذا بايعه مختاراً . كله افتراء محض عليه لم يدعه معاوية لنفسه ولو ادعاه (برأه الله من ذلك) بأن قال لعلى لا أبايعك مختاراً لأنك تذلنى وتهيننى بعد مبايعتك ولا أقبل عزلك لأنى اعتدت الامارة والعزة لكان نقصا فى دينه وعقله الراجح فهذا الكلام الذى قصد به مدح معاوية هو ذم له عند العقلاء. والعزة التى افتراها عليه ان كانت بالاسلام فالمسلمون كلهم يشاركونه فيها ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ ، وإن كانت بغيره فهو برىء منها ولا أقبح ولا أشد افتراء من طعنه فى حيدرة الحليم الكريم الموصوف فى كلام الله تعالى هو وغيره من الصحابة بالأوصاف الكاملة ، بأنه يذل ابن عمه ويهينه إذا بايعه مختارا .

وقوله وكيف يختار ذلك الى قوله أليق للامارة عليهم ، فاسد أيضا لانه حكم على ضمائر جميع أهل الشام بأنهم يفضلون معاوية على أنفسهم ويرونه أليق للامارة عليهم ولو كان هذا الحكم الفاسد على خواصهم ورؤسائهم لكان كافيا فى الافتراء لان العامة بمعزل عن التفضيل والرؤية المزعومين لأنهم تابعون لرؤسائهم وهؤلاء سيأتى ماينقض زعمه هذا فيهم فى وقعة صفين . وقوله ولم ير لعلى بيعة الخ هذيان مكرر على معاوية .

المحاضرة التاسعة والعشرون

(طعنه فى على وطلحة والزبير وعائشة والجواب عنه مطنبا)

قال فى ص ٥٩ ج ٢ طاعناً فى على والزبير وطلحة وعائشة رضى الله تعالى عنهم بسبب وقعة الجمل (هكذا انتهت هذه الموقعة التى سهلت على المسلمين فيما بعد أن يقف بعضهم بأزاء بعض محاربين يستحل كل دم الآخر بعد أن كان ذلك الموقف فى نظرهم عظيما مهيبا ، لايمكننا أن نبرر عمل الفريقين المتحاربين من كل الوجوه فان طلحة والزبير وعائشة خرجوا كما يقولون للمطالبة بدم عثمان الذى سفك حراما من غير ترة ولا ذنب يوجب ذلك ولانرى كيف فهموا أن ذلك ممكن من غير أن يكون للمسلمين إمام يرجع اليه الأمر فى تحقيق هذه القضية وإقامة الحد على من يستحقه ، إن إعطاء الحق للأفراد فى أن يتجمعوا لاقامة حد قصر الامام فى إقامته أو اتهم بالهوادة فيه مفسدة للنظام الذى أسس عليه الاسلام وإذا كانوا لايرون لامامة على صحة فقد كان المفهوم دعوة أهل الحل والعقد من كبار المسلمين أولا للنظر فى أمر الخلافة واعطائها لمن يرضاه الناس ثم ينظرون بعد ذلك فى إقامة الحد ولكنهم قاموا بصفتهم أفراداً من كبار الأمة ودعوا الناس إلى أمرهم من غير أن يكون لهم إمام يرجعون إليه ولاندرى كيف غاب كل ذلك عنهم مع سابقتهم وفضلهم ولكنهم يقولون إن الفتن إذا أقبلت تشابهت وإذا أدبرت تبينت ولم يكن عند على بن أبى طالب من الأناة مايمكنه من المصابرة حتى يلتئم هذا الصدع أحسن مما كان حقيقة أن أولئك الشياطين الذين لايريدون بالأمة خيراً أعجلوه وأنشبوا الحرب حتى اشتبه الأمر على الفريقين كليهما ولكن هذا عيب كبير فى قيادة الجيوش أن يكون الرئيس بحيث يمكن فرقة من جيشه أن تعجله عن النظر فيما هو قادم عليه ، وأن من الخطأ العظيم أن يستعين على بمثل هذه الفرقة السبئية ويجعلها تأوى إلى جنده فى الوقت الذى يطالب الناس فيه من كل جهة بالقصاص من قتلة

عثمان فانهم بالضرورة لايحسن فى نظرهم أن يتفق على ذلك الناس لأن الاتفاق انما يقع على رؤوسهم فانهم يبذلون كل جهدهم فى تضييق المسالك على كل من يريد الاصلاح حفظا لأنفسهم على أن مجرد وجودهم فى جيشه كاف لأن تحوم الظنون حول اشتراكه فى الدم المسفوح وان كان هو ينكر ذلك إنكاراً تاماً وهو عندنا الصادق فى قوله ، والنتيجة أن تبعة هذه الحرب يتحملها كل من الفريقين وتبين للناس أنه لا يكفى لبراءة الانسان من الفعل أن لا يكون قد فعله بل يجب أن يبتعد عما يحدث الريبة وليس يكفى الرئيس لتقوية مركزه أن يكون عنده من القوة مايغلب به من خرج عليه من قومه بل يجب مع هذا أن يكون عنده من حسن الحيلة والأناة مايعيد الخارج عليه إلى حظيرته والكى لا يكون إلا آخر الدواء اه) .

أقول : اشتمل هذا الهراء على طعن كثير فى سادات المسلمين على وطلحة والزبير وعائشة رضى الله تعالى عنهم وعلى كذب على التاريخ وتكذيب له وخيانة فى نقله .

فقوله (هكذا انتهت هذه الموقعة التى سهلت على المسلمين إلى قوله مهيبا) طعن صريح فى هؤلاء السادة بأنهم فى رأيه أول من سن هذه السنة السيئة وهى محاربة المسلمين بعضهم بعضا وسهل على المسلمين دخول بابها فيما بعد متحاربين يستحل كل دم الآخر ، ولم يكتف بفاتحة هذا الطعن والافتراء عليهم بل زاد عليه افتراء أعظم وأفظع منه وهو حكمه على قلوبهم وقلوب كل طائفتين مسلمتين تقاتلتا بأنهم يستحل كل منهم دم الآخر وهو طعن فى القرآن المتواتر الذى عدلهم وأثنى عليهم وتكذيب لله فى تعديله لهم وتسميته لهم جميعا بالمؤمنين وتسفيه لأمره تعالى بالاصلاح بينهما وقتال الباغية منهما فى قوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله﴾ فسماهما المؤمنين مع كون إحداهما باغية ، وطائفتان نكرة تعم كل طائفة مؤمنة ، وقد أمرنا تعالى بالاصلاح بينهما ان أمكن ، وأوجب علينا وجوبا كفائياً قتال الباغية

منهما مع المبغى عليها إن لم يمكن ولابد أن يتحقق فى الوجود حكم ماأمرنا به ، وقد وجد فى زمنه عليه الصلاة والسلام وبعده وأوله وقعة الجمل ، قال القاضى الامام الحافظ أبو بكر بن العربى فى أحكامه فى تفسيرها بعد ذكره أربعة أقوال فى سبب نزولها مانصه : والآية تقتضى جميع ماروى لعمومها ومالم يرو فلا يصح تخصيصه ببعض الأحوال دون بعض ، ثم قال (المسألة الرابعة) هذه الآية هى الأصل فى قتال المسلمين والعمدة فى حرب المتأولين وعليها عول الصحابة واليها لجأ الاعيان من أهل الملة واياها عنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (تقتل عماراً الفئة الباغية) وقوله فى شأن الخوارج (يخرجون على خير فرقة من الناس أو على حين فرقة) والرواية الأولى أصح لقوله (تقتلهم أدنى الطائفتين الى الحق)، وكان الذى قتلهم على بن أبى طالب ومن معه فتقرر عند علماء المسلمين وثبت بدليل الدين أن عليا رضى الله تعالى عنه كان إماماً وان كل من خرج عليه باغ وأن قتاله واجب حتى يفىء الى الحق وينقاد الى الصلح ، لأن عثمان رضى الله تعالى عنه قتل والصحابة برءاء من دمه لأنه منع من قتال من ثار عليه وقال لا أكون أول من خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى أمته بالقتل فصبر على البلاء واستسلم للمحنة وفدى بنفسه الأمة. ثم لم يمكن ترك الناس سدى فعرضت الأمة على باقى الصحابة الذين ذكرهم عمر فى الشورى وتدافعوا وكان على أحق بها وأهلها فقبلها حوطة على الأمة أن تسفك دماؤها بالتهارج والباطل ويتخرق أمرها الى مالا يتحصل وربما تغير الدين وانقض عمود الاسلام فلما بويع له طلب أهل الشام فى شرط البيعة التمكين من قتلة عثمان وأخذ القود منهم فقال لهم على ادخلوا فى البيعة واطلبوا الحق تصلوا اليه فقالوا لا تستحق بيعة وقتلة عثمان معك فتراهم صباحا ومساء فكان على فى ذلك أسد رأيا وأصوب قولا لأن علياً لو تعاطى القود منهم لتعصبت لهم قبائل وصارت حرباً ثالثة فانتظر بهم أن يستوثق الامن وتنعقد البيعة العامة ويقطع الطلب من الأولياء فى مجلس الحكم فيجرى القضاء بالحق ولا خلاف بين الأمة انه

يجوز للامام تأخير القصاص إذا أدى ذلك الى اثارة الفتنة وتشتيت الكلمة وكذلك جرى لطلحة والزبير فانهما ماخلعا عليا عن ولاية ولااعتراضاعليه فى ديانة وانما رأيا ان البداءة بقتل أصحاب عثمان أولى فيبقى هو على رأيه لم يزعزعه عما رآى (وهو كان الصواب) كلامهما ولا ان يؤثر فيه قولهما وكذلك كان كل واحد منهما يثنى على صاحبه ويشهد له بالجنة ويذكر مناقبه ولو كان الأمر على خلاف هذا لتبرأ كل واحد من صاحبه فلم يكن تقاتل القوم على دنيا ولا بغياً بينهم فى العقائد وانما كان اختلافاً فى اجتهاد فلذلك كان جميعهم فى الجنة اه .

وقال أيضاً (المسألة الخامسة) قوله ﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ أمر الله بالقتال وهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن البعض الباقين لذلك تخلف قوم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم عن هذه المقامات كسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وصوب ذلك على بن أبى طالب لهم واعتذر اليه كل واحد منهم بعذر قبله منه ويروى أن معاوية لما أفضى اليه الأمر عاتب سعداً على مافعل وقال له لم تكن ممن أصلح بين الفئتين حين اقتتلا ولا ممن قاتل الفئة الباغية ، فقال له سعد ندمت على تركى قتال الفئة الباغية ، فتبين انه ليس على الكل درك فيما فعل وانما كان تصرفاً بحكم الاجتهاد وإعمالا بما اقتضاه الشرع اه .

وقال أيضاً (المسألة السادسة) ان الله سبحانه أمر بالصلح قبل القتال وعين القتال عند البغى فعمل على بمقتضى حاله فانه قاتل الباغية التى أرادت الاستبداد على الامام ونقض مارآى من الاجتهاد والتحيز عن دار النبوة ومقر الخلافة بفئة تطلب ماليس لها طلبه إلا بشرطه من حضور مجلس الحكم والقيام بالحجة على الخصم ولو فعلوا ذلك ولم يقد على منهم مااحتاجوا الى مجاذبة فان الكافة كانت تخلعه والله قد حفظه من ذلك وصانه .

وقال فى (المسألة السابعة)وقد قال لسان الأمة (يعنى أبا بكر الباقلانى) ان حكمة الله فى قتال الصحابة التعرف منهم لأحكام قتال التأويل اذا كانت

أحكام قتال التنزيل قد عرفت على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفعله .

وقال أيضاً (المسألة الثامنة) قوله ﴿ فان بغت إحداهما ﴾ بناء بغى فى لسان العرب الطلب قال الله تعالى ﴿ ذلك ما كنا نبغى ﴾ ووقع التعبير به ههنا عمن يبتغى مالا ينبغى على عادة اللغة فى تخصيصه ببعض متعلقاته وهو الذى يخرج عن الامام يبغى خلعه أو يمنع من الدخول فى طاعة له أو يمنع حقاً يوجبه عليه بتأويل فان جحده فهو مرتد وقد قاتل الصديق رضى الله تعالى عنه البغاة والمرتدين فأما البغاة فهم الذين منعوا الزكاة بتأويل ظنا منهم انها سقطت بموت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وأما المرتدون فهم الذين أنكروا وجوبها وخرجوا عن دين الاسلام بدعوى نبوة غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والذى قاتل على طائفة أبوا الدخول فى بيعته وهم أهل الشام وطائفة خلعته وهم أهل النهروان ، وأما أصحاب الجمل فانما خرجوا يطلبون الاصلاح بين الفرقتين وكان من حق الجميع أن يصلوا اليه ويجلسوا بين يديه يطالبوه بما رأوا أنه عليه . فلما تركوا ذلك بأجمعهم صاروا بغاة بجملتهم فتناولت هذه الآية جميعهم اه . وقال القرطبي فى تفسيرها (فى هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الامام أو على أحد من المسلمين ، وعلى فساد قول من منع من قتال المؤمنين واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام (قتال المؤمن كفر) ولو كان قتال المؤمن الباغى كفراً لكان الله تعالى قد أمر بالكفر تعالى الله عن ذلك. وقد قاتل الصديق رضى الله تعالى عنه من تمسك بالاسلام وامتنع من الزكاة ثم قال وقال الطبرى لو كان الواجب فى كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل لما أقيم حد ولا أبطل باطل ، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ماحرم الله عليهم من أموال المسلمين وسبى نسائهم وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم ، ويكف المسلمين أيديهم عنهم وذلك مخالف لقوله عليه الصلاة والسلام (خذوا على أيدى سفهائكم) اه .

لم تقع وقعة الجمل من الصحابة قصدا
وإنما أثارها الثائرون على عثمان رضى الله عنه

لما بلغ أمير المؤمنين علياً ذهاب طلحة والزبير وعائشة رضى الله تعالى عنهم من مكة إلى البصرة ذهب إلى العراق لتلافى أمرهم وقد كانوا وصلوا اليها فافترق أهلها على ثلاث فرق فرقة معهم وفرقة عليهم وفرقة اعتزلتهم فقتلوا كثيراً من ثوارها الذين حضروا قتل عثمان ونزعوا عامل على عليها وتغلبوا عليها فذهب اليهم أمير المؤمنين مع ماانضم اليه من أهل الكوفة وبعث اليهم قبـــل مسيره القائد المحنك الصحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى يدعوهم إلى الألفة والجماعة فذهب إلى البصرة فبدأ بأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقال أى أماه ماأقدمك هـذا البلد ، فقالت أى بنى الاصلاح بين الناس فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها فحضرا ، فقال القعقاع إنى سألت أم المؤمنين ماأقدمها فقالت إنما جئت للاصلاح بين الناس فقالا ونحن كذلك ، قال ماوجه هذا الاصلاح وعلى أى شىء يكون فوالله لئن عرفناه لنصطلحن ولئن أنكرناه لانصطلحن ، قالا قتلة عثمان فان هذا إن ترك كان تركا للقرآن ، فقال قتلتما قتلته من أهل البصرة ، وأنتم قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم. قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف فان تركتموهم وقعتم فيما تقولون ، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذى حذرتم وقويتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون ، وإن أنتم منعتم مضر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لهـــذا الحدث العظيم والذنب الكبير . فقالت عائشة فماذا تقول أنت ، قال أقول إن هذا الأمر دواؤه التسكين فاذا سكن اختلجوا فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثأر ، وإن أبيتم إلا مكابرة هـذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر

وذهاب هذا الملك فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير كما كنتم ولاتعرضونا للبلاء فتتعرضوا له فيصرعنا وإياكم وايم الله إنى لأقول هذا القول وأدعوكم اليه وإنى لخائف أن لايتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التى قل متاعها ونزل بها مانزل فان هذا الأمر الذى حدث أمر ليس يقدر وليس كقتل الرجل الرجل ولاالنفر الرجل ولاالقبيلة الرجل ، قالوا قد أصبت وأحسنت فارجع فان قدم على وهو على مثل رأيك صاح هذا الأمر ، فرجع إلى على فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح وأقبلت وفود أهل البصرة نحو على بذى قار قبل رجوع القعقاع لينظروا مارأى إخوانهم من أهل الكوفة على أى حال نهضوا اليهم ، وليعلموهم أن الذى عليه رأيهم الاصلاح ولا يخطر لهم قتالهم على بال ، فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقالتهم وأدخلوهم على على فأخبروهم بخبرهم اه . قلت دل كلام البطل السياسى القعقاع بن عمرو على أن الذين أرادوا أخذ القصاص من قتلة عثمان معجلا قبل توطيد مركز الخلافة استفزوا جميع قبائل العرب ضدهم حمية لاخوانهم فما من قبيلة إلا وقد حضر منها حصار عثمان شخص أو أشخاص ، وقد أرسلت عائشة رضى الله تعالى عنها إلى على تعلمه أنها إنما جاءت للصلح ففرح هؤلاء وهؤلاء وقام على رضى الله عنه فى الناس خطيبا فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها وذكر الاسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة وإن الله جمعهم بعد نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على الخليفة أبى بكر ثم بعده على عمر بن الخطاب ثم على عثمان ثم حدث هذا الحدث الذى جره على الأمة أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله بها عليه ، وعلى الفضيلة التى من الله بها وأرادوا رد الاسلام والأشياء على أدبارها والله بالغ أمره ، ثم قال ألا إنى مرتحل غداً فارتحلوا ولا يرتحل معى أحد أعان على قتل عثمان بشىء من أمور الناس ، فلما قال هذا اجتمع رؤساؤهم وتشاوروا وهم فى ألفين وخمسمائة ليس فيهم صحابى فقالوا قد قال على ماسمعتم ، غداً يجمع عليكم

الناس ، والقوم كلهم يريدونكم فكيف بكم وعددكم قليل فى كثرتهم فان كان قد اصطلح معهم فانما اصطلحوا على دمائنا فقال لهم ابن السوداء بعد تفنيده رأيين لهم.ياقوم إن عزكم فى خلطة الناس فاذا التقى الناس فأنشبوا الحرب بينهم ولا تدعوهم يجتمعون.فمن أنتم معه لايجد بداً من أن يمتنع .

قال الباقلانى ، وقد روى أن الأعور بن أبان المنقرى وكان من أماثل أصحاب على رضى الله تعالى عنه قام اليه فى مسيره الى البصرة فقال : يا أمير المؤمنين علام تقدمنا فقال على الاصلاح واطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الأمة ويضع حربهم وقد أجابوا ، قال فان لم يجيبوا قال تركناهم ماتركونا قال فان لم يتركونا قال دفعناهم عن أنفسنا ، قال فهل لهم مثل ماعليهم من هذا قال نعم . وقام اليه أبو سلامة الدالانى فقال يا أمير المؤمنين أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا به من هذا الدم «يعنى دم عثمان» إن كانوا أرادوا الله بذلك قال على نعم ، قال وترى لك حجة بتأخيرك ذلك قال نعم إن الشىء إذا كان لايدرك فالحكم فيه أحوط وأعود نفعاً ، قال فما حالنا وحالهم ان ابتلينا بقتال غداً ، قال انى أرجو أن لا يقتل أحد نقى قلبه منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة .

وروى أيضا ان مالك بن جندب الفهرى قام اليه فى هذا المسير فقال (ما أنت صانع يا أمير المؤمنين إذا لقيت هؤلاء القوم ، قال قد بان لنا ولهم ان الصلاح والكف أحوط ، فان تابعوا فذلك وان أبوا الا القتال فصدع لا يلتئم ، قال فاذا ابتلينا بذلك فما حال قتلانا وقتلاهم ، قال من أراد الله نفعه ذلك وكان بمنجاة ، وهذا أيضا كالاول فى التصريح بترك تأثيمهم، وأقصى أحوالهم عنده أن يكونوا قد أخطأوا خطأ لا يبلغون به الاثم اهـ. وقال على رضى الله عنه فى خطبة له : أيها الناس امسكوا عن هؤلاء القوم أيديكم وألسنتكم واياكم أن يسبقونا غداً فان المخصوم غداً مخصوم اليوم . وخرج على وطلحة والزبير فتوافقوا فلم يروا أمرا أمثل من الصلح ووضع الحرب فافترقوا على ذلك ، وأرسل على الى رؤساء أصحابه وطلحة

والزبير الى رؤساء أصحابهما بذلك فباتوا بليلة لم يبيتوا مثلها للعافية التى أشرفوا عليها والصلح وبات الثوار على عثمان بشر ليلة وقد أشرفوا على الهلكة وقد أشار قبل هذا بعض خواص طلحة والزبير عليهما بانتهاز الفرصة من على ، فقالا ان هذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن ويكون فيه سنة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد زعم قوم انه لا يجوز تحريكه وهم على ومن معه ، وقلنا نحن انه لا ينبغى لنا أن نتركه ولا نؤخره . وقد قال على : ترك هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه ، وقد كاد يتبين لنا وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بأعمها منفعة .

وقال أبو الجرباء للزبير قبل يوم الصلح وهو من خواصهما ان الرأى أن تبعث ألف فارس إلى على قبل أن يوافى إليه أصحابه فقال : إنا لنعرف أمور الحرب ولكنهم أهل دعوتنا وهذا أمر حدث لم يكن قبل اليوم من لم يلق الله فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة وقد فارقنا وفدهم على أمر وانا أرجو أن يتم لنا الصلح فابشروا واصبروا ، وقد ترك الزبير رضى الله عنه جيشه وانصرف راجعاً إلى المدينة لما نادى أصحاب على فقال لهم أفيكم عمار بن ياسر قالوا نعم فأغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية ، وللحديث الذى ذكره به على وهو ما أخرجه أبو يعلى عن أبي جرو المازنى والبيهق والحاكم وصححه عن أبي الأسود الديلى قال كل من الديلى والمازنى شهدت الزبير خرج يريد علياً فقال له على أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : تقاتله وأنت ظالم له ، فقال الزبير بلى ولكن نسيت فانصرف فتبعه عمرو بن جرموز فقتله بوادى السباع غيلة وهو نائم وجاء إلى على متقربا بذلك فبشره بالنار للحديث الذى أخرجه أحمد والترمذى وغيرهما وصححه الحاكم (بشروا قاتل ابن صفية بالنار) ، فلما كان السحر نهض الثوار منفذين لما اتفقوا عليه فرمى من كان منهم فى جيش على جيش طلحة وعائشة ورمى من كان منهم فى جيشهما جيش على فأنشبوا الحرب بين

الطائفتين فقامت كل واحدة منهما مدافعة عن نفسها ظانة ان صاحبتها غدرت ونقضت الصلح .

قال الامام القاضى أبو بكر الباقلانى فى تمهيده : وقال جلة من أهل العلم ان الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة على الحرب بل فجأة وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه ان الفريق الآخر قد غدر به ، لأن الأمر قد كان انتظم بينهم ، وتم الصلح والتفرق على الرضا فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم والاحاطة بهم فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين ويبدؤا بالحرب سحرة فى العسكرين ويختلطوا ويصيح الفريق الذى فى عسكر على غدر طلحة والزبير ويصيح الفريق الآخر الذى فى عسكر طلحة والزبير غدر على ، فتم لهم ذلك على مادبروه ونشبت الحرب فكان كل فريق منهم دافعاً لمكروه عن نفسه ومانعاً من الاشاطة بدمه وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى ، إذ وقع . والامتناع منهم على هذا السبيل فهذا هو الصحيح المشهور وإليه نميل وبه نقول اه .

قال ابن الأثير فى كامله فى وقعة الجمل كان من رأيهم جميعاً فى تلك الفتنة أن لا يقتتلوا حتى يبدؤا يطلبون بذلك الحجة وأن لا يقتلوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلباً اه . وقد أخرج ابن أبى شيبة وسعيد بن منصور والبيهقى ان عليا كرم الله وجهه قال لأصحابه يوم الجمل لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ، وفى رواية انه أمر مناديه ينادى لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح ولا يؤخذ أسير ومن أغلق بابا أمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، وفى أخرى ولا يقتل مقبل إلا إن صال ولم يمكن دفعه إلا بقتله ولا مدبر. ولا يستحل فرج ولا يفتح باب ولا يستحل مال اه ، ومن سنة حيدرة هذه فى قتال أهل القبلة أخذ أئمة الاجتهاد المتبوعون أحكام البغاة ، وتلهف على رضى الله تعالى عنه على قتل جيش طلحة وعائشة وخصوصا على طلحة لما مر به وهو صريع فقال لهفى عليك يا أبا محمد إنا لله وإنا

إليه راجعون والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاصرعى أنت والله كما قال الشاعر :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه   اذا ماهو استغنى ويبعده الفقر

ونزل على عن دابته وأجلسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحم عليه ويقول ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. أخرجه الفضائلى . وقد ثبت فى التاريخ الصحيح أن مروان بن الحكم هو الذى قتل طلحة رضى الله تعالى عنه . قال الحافظ بن حجر فى فتحه فى كتاب الفضائل ج ٧ قتل طلحة يوم الجمل رمى بسهم جاء من طرق كثيرة . ان مروان بن الحكم رماه فأصاب ركبته فلم يزل الدم ينزف منها حتى مات . وذكر فى ترجمته فى الاصابة من أخرجه من أئمة الرواية. فقال رواه ابن عساكر من طرق متعددة وأبو القاسم البغوى بسند صحيح ويعقوب بن سفيان بسند صحيح وعبد الحميد بن صالح والطبرانى اه .

وقد صلى على على القتلى من أهل البصرة والكوفة وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء وأمر فدفنت الأطراف فى قبر عظيم ، وجمع ما كان فى العسكر من شيء وبعث به الى مسجد البصرة وقال من عرف شيئاً فليأخذه الا سلاحاً كان فى الخزائن عليه سمة السلطان ، ورد أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها الى المدينة مكرمة وكانت رضى الله تعالى عنها نذرت الحج ذلك العام قبل الفتنة فلم تر التخلف عن نذرها فقتل أمير المؤمنين عثمان وجاء طلحة والزبير وهى بمكة وشكى الناس اليها ماصاروا اليه من عظيم الفتنة والتهارج فخرجت الى البصرة والجمل قاصدة الاصلاح بين الناس لمنزلتها وحرمتها عند المسلمين والاصلاح لا ينافى أمر الله لها ولبقية أمهات المؤمنين بالقرار فى بيوتهن فانها مقتدية بقوله تعالى ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ﴾ وبقوله ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ﴾ والأمر بالاصلاح مخاطب به جميع الناس الذكر والأنثى

الحر والعبد، وخرجت فى ثلاثين امرأة قرنهن على بها حتى أوصلوها الى المدينة برة تقية مجتهدة مصيبة مثابة فيما تأولت مأجورة فيما فعلت. وقد أخرج ابن أبى شيبة بسنده الى على كرم الله وجهه انه سئل يوم الجمل عن أهل الجمل المقاتلين له أمشركون هم. فقال من الشرك فروا، قيل أمنافقون هم. قال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا، قيل فما هم. قال اخواننا بغوا علينا اه. وبما تقرر ظهر للقراء واضحاً أن المحاضر كذب على التاريخ الاسلامى والعلم وكذبه وخان فى نقله فى هرائه هذا كله. وافترى على المؤمنين فى قوله (يستحل كل دم الآخر) وفجر فى حكمه عليهم.

حكمه على هؤلاء السادة

بأنهم ليسوا بررة فى هذه الحرب

فى قوله (لا يمكننا أن نبرر عمل الفريقين المتحاربين من كل الوجوه) يعنى انهم بررة من بعض الوجوه وفجرة من بعضها وهو حكم جمع فيه بين المتناقضين لأنه لا واسطة بين البررة والفجرة فهم فى هذه الحرب إما أن يكونوا أبراراً، وإما أن يكونوا .... ولا طعن فيهم أقبح من هذا الطعن فان قيل مقصوده انهم ليسوا بمصيبين من كل الوجوه بل مصيبون من بعضها ومخطئون من البعض الآخر، قلت هو أيضاً جمع بين المتناقضين لأنه لا واسطة بين الخطأ والصواب. فهم إما أن يكونوا مصيبين، وإما أن يكونوا مخطئين ولو عبر بهذا لهانت المصيبة قليلا. على انه ليست لهم وجوه كثيرة اخطأوا فى بعضها وأصابوا فى بعض آخر. بل وجه واحد لكل من الطائفتين. فطلحة والزبير وعائشة رضى الله تعالى عنهم رأوا تعجيل أخذ القصاص من الذين حصروا عثمان حتى قتل. وأمير المؤمنين على رأى تأخيره حتى يتوطد مركز الخلافة ويتقدم أولياء عثمان بالدعوى عنده على معين أومعينين فيحكم لهم بعد إقامة البينة عليهم لأن هؤلاء المحاصرين لأمير المؤمنين عثمان ليسوا نفراً أوقبيلة معينة بل هم آلاف من قبائل كثيرة كما تقدم. على أن المباشر

لقتله رضى الله تعالى عنه واحد من ثلاثة مصريين فالاستعجال بالاقتصاص من هذا الجمهور العظيم بدون إقامة الدعوى من أولياء المقتول عند السلطان وحكمه على القاتل يؤدى لامحالة الى انتشار الفتنة بحرب طاحنة تذهب فيها أمة عظيمة من الأبرياء ، فكان رأى حيدرة رضى الله تعالى عنه أسد وأصوب منهم جميعاً كما قال علماء الاسلام .

وقوله (فان طلحة والزبير، الى قوله ولا نرى كيف فهموا) فاسد لقوله خرجوا كما يقولون للمطالبة بدم عثمان يقتضى انهم عنده غير صادقين فى هذا الطلب وانما يقولون ذلك وهو لايثق بقولهم ، وهذا لون آخر من طعنه فيهم . وقوله بنون العظمة (ولا نرى كيف فهموا ان ذلك ممكن الى قوله إن اعطاء الحق للأفراد) فاسد، فانهم علموا وفهموا ان قتل عثمان رضى الله تعالى عنه منكر من أعظم المنكرات وازالة المنكر من حيث هو لمن قدر عليه فرض كفائى لايتوقف على امام يرجع اليه فيه، ومنزلتهم فى الاسلام وعند المسلمين تخول لهم ذلك فهم رضى الله عنهم مصيبون فى فهمهم هذا فى استعجالهم إزالة هذا المنكر من هذه الوجهة وانما خفى عليهم كما خفى على معاوية رضى الله تعالى عنهم جميعا ان ازالة هذا المنكر يتعلق بالقصاص من المرتكبين له وأخذ القصاص منهم يتوقف على الامام وإقامة أولياء المقتول البينة على الجانى عنده، ثم حكمه بمقتضى ذلك ، فأقصى ما يقال فيهم رضى الله تعالى عنهم انهم مجتهدون مخطئون لهم أجر واحد على اجتهادهم، ولا ينسى القارىء هنا قول الاصولى المحقق أبى اسحاق الشاطبى الذى يقدسه هذا المحاضر فى موافقاته فى بحث الاجتهاد فى فصل طويل نقلته برمته سابقاً فى تفسير قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا فرقة واحدة) قالوا من هى يارسول الله ، قال (ما أنا عليه وأصحابى) والذى عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ظاهر فى الاصول الاعتقادية والعملية على الجملة لم يخص من ذلك شىء اه .

وقوله (إن إعطاء الحق للأفراد إلى قوله وإذا كانوا لايرون لأمامة على صحة) اعتراف وشعور منه (وهو لايشعر) وحجة لأمير المؤمنين على هادمة لجميع مابناه من الطعن فيه لأنه إذا كان الأفراد من الأمة وإن كانوا أقوياء عنده ليس لهم أن يجتمعوا لاقامة حد دون الامام الذى هو حقه الخاص به فان تجمعوا لاقامته من غير رجوع اليه فى ذلك ففيه مفسدة للنظام الذى أسس عليه الاسلام ، والنظام الذى أسس عليه الاسلام هو أن إقامة الحدود كلها حق خاص بالسلطان وليس للأمة مهما كانوا أقوياء أن يقوموا بها دونه . قال القرطبي فى تفسير سورة البقرة (اتفق أئمة الفتوى على أنه لايجوز لأحد أن يقتص من أحد حقه دون السلطان ، وليس للناس أن يقتص بعضهم من بعض وإنما ذلك للسلطان أو من نصبه السلطان لذلك ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدى الناس بعضهم عن بعض) . فكلامه هذا إذاً حجة لعلى على طلحة والزبير وعائشة ومعاوية قطعا بل طلحة والزبير وعائشة أقرب إلى الصواب من معاوية من خمسة أوجه . (الأول) مبايعتهما لعلى طائعين مع اعترافهما بفضله ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفا بفضله . (الثانى) منزلتهم فى الاسلام وعند المسلمين ومعاوية لاشك دونهما فيها . (الثالث) أنهما أرادا قتل الثائرين على عثمان فقط. ومعاوية أراد قتل جيش عظيم من المسلمين مع الامام لوجود طائفة من الثوار فيه . (الرابع) انهم لم يتعمدوا محاربة على ومن معه فى وقعة الجمل وقد تقدم تقريرها مبرهنا ومعاوية تعمد حربه ومن معه بل بدأبها . (الخامس) إنهم لم يتهموا عليا بالهوادة فى أخذ القصاص من الثائرين . ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك .

وقوله (لاقامة حد قصر الامام فى إقامته أو أتهم بالهوادة فيه) بهتان عظيم على على فى تقصيره فى إقامته وعلى طلحة والزبير وعائشة عند جميع علماء الاسلام، واتهامه بالهوادة واقع من معاوية ومن معه .

وقوله (وإذا كانوا لايريدون لامامة على صحة إلى قوله ولكنهم يقولون إن الفتن الخ) باطل فانهم معترفون بامامته وفضله وقد تقدم تقريره ،

والقولان بأنهما بايعا مكرهين أوخلعا بيعته باطلان : قال ابن حزم فى الملل والنحل: فعلى مصيب فى الدعاء إلى نفسه وإلى الدخول تحت امامته وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضى الله عنهم فما أبطلوا قط إمامته ولاطعنوا فيها ولاذكروا فيه جرحة تحطه عن الامامة ولاأحدثوا إمامة أخرى ولاجددوا بيعة لغيره وهذا لايستطيع أحـد أن يدعيه عليهم بأى وجه ، بل المقطوع به عند كل مسلم أن كل ذلك لم يكن اهـ .

وقال الامام الباقلانى فى تمهيده : فان قال قائل فما تقولون فى حربهما له (يعنى الزبير وطلحة) ومطالبتهما له بهذا الباب وخلعهما له ان كانا خلعاه قيل له : أما خلعهما له ان صح فانه ليس بشىء ولا قادح فى صحة إمامته ولا موجب لسقوط طاعته ، لأن إمامته قد صحت فلا ينخلع بعـد صحتها بخلعهما له ولابخلع غيرهما ولا بترك الذهاب إلى بعض مذاهب المسلمين فى إقامة الحد ، إنما ينخلع بالاحداث التى ذكرناها من قبل فقط (والاحداث التى ذكرها فى خلعه من قبل هى كفره وفسقه و تضييعه الحقوق و تعطيله الحدود، وجنونه وفقده ، آلة من حواسه كالصمم والخرس)فأما حربهما له على ذلك فانه اجتهاد منهما وما أداهما الرأى اليه وهما من أهل الفقه والرأى وكذلك عائشة ، فمن الناس من يجعل هـذه المسألة من مسائل الاجتهاد ويقول ان كل مجتهـد مصيب كاصابتهم فى سائر مسائل الأحكام ، ومنهم من يقول ان الحق منها فى واحد وهو رأى على وقوله ، وأن مخـالفه مخطىء فى الاجتهاد وخطأ لايبلغ به الاثم والفسوق ، بل الاثم عنه موضوع ، ومنهم من يقطع بصواب أمير المؤمنين وخطأ من خالفه ونازعه وأنه مغفور له اهـ .

وقوله (ولـكنهم يقولون إن الفـتن اذا أقبلت تشابهت واذا أدبرت تبينت) صحيح ولـكن على غير المجتهدين والصحـابة مجتهدون فلا يصح تطبيقه عليهم .

وقوله (لم يكن عنـد على بن أبى طالب من الاناة الى قوله حقيقة أن أولئك) وقاحة وتـكذيب للتاريخ كانه يريد منـه أن يقعد فى بيتـه ويترك

رعيته فى الفوضى يضرب بعضها بعضا ولا ينظر فيما أوجبه الله عليه من مصالحها ، وقد تأتى بارسال السياسى المحنك أحد أبطال الاسلام القعقاع ابن عمرو إلى طلحة والزبير وعائشة فناظرهم حتى أقنعهم بالحجة وتبين لهم وجه الخطأ فى استعجالهم أخـــذ القصاص من قتلة عثمان بازدياد انتشار الفتنة فى الأمة وتم الصلح بينهم ولم تخطر لهم الحرب على بال وأى تأن أحكم وأحسن من هذا وقد قررته سابقاً .

وقوله (حقيقة إن أولئك الشياطين إلى قوله ولكن هذا عيب) باطل لأن إعجال أولئك الشياطين كان للطائفتين معا فلا معنى لتخصيص على باعجالهم إلاالنصب له وعليه. فقوله (ولكن هذا عيب كبير فى قيادة الجيوش إلى قوله وإن من الخطأ) وقاحة وجهل فانهم آلاف افترقوا فرقتين كل فرقة منهم دخلت فى جيش من الطائفتين وأنشبوا الحرب بينهما ليلا فلا عيب على على والحالة هذه أصلا فضلا عن كونه كبيرا ، ولا على طلحة وعائشة ولا يعيبهم بهذا إلا شانىء جاهل .

وقوله (وإن من الخطأ العظيم أن يستعين على بمثل هذه الفرقة السيئة ويجعلها تأوى إلى جنده) كذب على التاريخ من وجهين : الأول قد تقدم أن عليا رضى الله عنه لما تم الصلح بينه وبين طلحة والزبير وعائشة خطب عشية ذلك اليوم وأمر من حضر قتل عثمان أن يعتزلوا جيشه ، وهذا أقصى ما يمكنه فعله بتلك الطائفة .إذ ذاك وهو كاف فى عذره لأنهم مئات ولهم قرابة وعشائر فى جيشه فما يؤمن لو عاملهم بأكثر من هذا من الشدة أن يمتد حبل الفتنة فى الأمة كلها كما حصل ذلك لطلحة والزبير وعائشة بالبصرة . لما قتلوا بعضا منهم غضب لهم قبائلهم واعتزلوهم ، وطلبوا بعضا فحماه قومه واعتزلوهم أيضا والمعتزلون من ربيعة عبد القيس بأكملها وأكثر بكر بن وائل ومن مضر بنو سعد بن تميم وهم ستة آلاف وغيرهم أوزاع من خندف وانضم الربعيون من أهل البصرة إلى على وله أسوة بالخليفتين قبله عثمان وعمر أما عثمان فقد أقنع وفودهم بالحجج الواضحة على جميع ما انتقدوه به ولم يزدهم على ذلك

(وهم إذ ذاك فى حالة سلم) . وأما عمر فلم يؤدبهم لما أسسوا هذه الفتنة عليه بالكوفة بالتشغيب على أمرائه (وهم إذ ذاك شرذمة) بل طاوعهم ، كلما شكوا صحابيا جليلا بغيا عزله عنهم مع تحققه براءته وافتراءهم ، وقد تقدمت قصته معهم فى بحث الخلافة مطولة . فان كان إيواء على لهم وهم آلاف خطأ عظيما فى زعمه . فترك عثمان تأديب وفودهم خطأ عظيم أيضا وترك الفاروق تأديب مؤسسى هذه الفتنة وهم قليلون من مصر واحد خطأ أعظم . نعوذ بالله من أذى أصحاب رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وخلفائه بهذا الفهم الأعوج ، وان كان ذو النورين والفاروق معذورين فيما صنعوا معهم فى حالة السلم ، فعلى أشد عذراً فيما صنع معهم فى حالة الحرب .

(الثانى) على لم يقصد محاربة طلحة والزبير وعائشة ولم تخطر له على بال فلو قصد حربهم ماذهب اليهم فى عدد أقل من جيشهم ولكان استعان بستة آلاف من بنى سعد الذين منعوا حرقوص بن زهير من طلحة والزبير لما طلباه ولاستعان بالأحنف بن قيس وهو مطاع فيهم وفى كثير من خندف .

قال الحافظ ابن حجر فى فتحه ج ١٣ : وقد ورد فى اعتزال الاحنف ابن قيس القتال فى وقعة الجمل سبب آخر ، فأخرج الطبرى بسند صحيح عن حصين ابن عبد الرحمن عن عمرو بن جاوان قال قلت له أرأيت اعتزال الأحنف ماكان قال سمعت الاحنف قال حججنا فاذا الناس مجتمعون فى وسط المسجد وفيهم على والزبير وطلحة وسعد إذ جاء عثمان فذكر قصة مناشدته لهم فى ذكر مناقبه ، قال الأحنف فلقيت طلحة والزبير فقلت أنى لأرى هذا الرجل يعنى عثمان الا مقتولا فمن تأمرانى به قالا على فقدمت مكة فلقيت عائشة وقد بلغنا قتل عثمان فقلت لها من تأمرينى به قالت على ، قال فرجعنا الى المدينة فبايعت علياً ورجعت الى البصرة فبينما نحن كذلك إذ أتانى آت فقال هذه عائشة وطلحة والزبير نزلوا بجانب الخريبة يستنصرون بك فأتيت عائشة فذكرتها بما قالت لى ثم أتيت طلحة والزبير فذكرتهما

فذكر القصة وفيها قال فقلت والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أقاتل رجلا أمرتمونى ببيعتـــه فاعتزل القتال اه .

فان قيل قد استعان على بالاشتر النخعى فكان من قواده العظام فى صفين وكان من المؤلبين على عثمان المحاصرين له . فالجواب ما تقدم ويزاد فيقال انه كان رئيس قبيلة النخع إحدى قبائل مذحج اليمانية فلو طلب لتعصبت له مذحج كلها فضلا عن قبيلته وليس كل المحاصرين قتلوا عثمان وانما الذى قتله واحد من ثلاثة مصريين ولا يعلم مقاصد المحاصرين له هل كانوا كلهم عازمين على قتله إلا الله على انه لو كان من المباشرين لقتله لأمكن ان لا يرى على فى اجتهاده قتل الجماعة بالواحد ، على ان ابن الاثير والطبرى نقلا عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه انه لما عزله عثمان رضى الله تعالى عنه عن مصر وولى عليها ابن أبى سرح قدم المدينـة فجرت بينه وبين عثمان محاورة افتخر فيها بأبيه على عثمان وغضب عليه وصار يحرض الناس عليه ثم خرج الى منزله بفلسطين وهو دائب على تأليب الناس عليه حتى قال عن نفسه والله ان كنت لألقى الراعى فأحرضه على عثمان وانه لما بلغه حصره سره ذلك وقال كلاما لا يليق ذكره وكذلك لما بلغه قتله وقد استعان به معاوية فى محاربته علياً ، وأنا وان كنت لا أثق بصحة هذه القصـة عن عمرو أبين للقراء تشبث المحاضر بالروايات الباطلة الحاطة من كرامة حيدرة وأعراضه عن المتعلقة بغيره على ان الطبرى أيضا نقل فى ص٥٢٨ الطبعة الجديدة عن علقمة قال قلت للأشتر قد كنت كارهاً لقتل عثمان فما أخرجك بالبصرة ، قال ان هؤلاء بايعوه ثم نكثوا اه .

وقوله (فى الوقت الذى يطالب الناس فيه من كل جهة بالقصاص من قتلة عثمان) غير صحيح لم يطالب بذلك إلا طلحة والزبير وعائشـة وقد تبين لهم بكلام القعقاع ان هذا المنـكر الذى قاموا لأخذ القصـــاص من مرتكبيه أدى الى أشد منه فرجعوا عنه ، ومعاوية من جهة الشام فقط .

وقوله (فأنهم بالضرورة لايحسن فى نظرهم ان يتفق الناس على ذلك الى قوله على أن مجرد وجودهم فى جيشه) صحيح وقد قررته ، وقوله (ان مجرد وجودهم فى جيشه كاف لأن تحوم الظنون حول اشتراكه فى الدم المسفوح الى قوله والنتيجة) باطل بما تقدم فان الله والتاريخ وأهل الحق قاطبة قد صدقوه فى قوله وفعله فلا اعتبار لتصديقه.

قوله (والنتيجة أن تبعة هذه الحرب يتحملها كل من الفريقين) باطل بما تقدم من أن تبعة هذه الحرب تحملها ثوار عثمان وحدهم ، وكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إذ قال ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ الى آخرها حيث لم يحمل الفريقين تبعة هذه الحرب. يلزم ان يكون على رأيه هذا ناقصاً والتاريخ واجماع أهل الحق حيث لم يحمــلاهما تبعتها لاقيمة لهما فى رأيه ، نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان.

وقوله (وتبين للنـاس ان لا يكفى لبراءة الانسان من الفعل الى قوله وليس يكفى الرئيس رأى فاسد تبين له وحده فان الله والعقلاء من الناس قد برأوا كثيرا ممن وقعت لهم حوادث لم يبتعدوا عما يحدث الريبة فيهم من أجلها وقصة صديق الله يوسف بن يعقوب مع امرأة العزيز ، إذ برأه الله فى قوله ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ﴾ وشاهد أهل المرأة فى قوله تعالى ﴿ وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل ﴾ الى آخر الآية وبعلها لما تحقق براءته قال ﴿ يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ والمرأة نفسها قالت ﴿ الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ ، والنسوة ﴿ قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء) والشيطان إذ أقسم فقال ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين ﴾ ويوسف من المخلصين والمخلصون لاسبيل للشيطان عليهم دليل على ذلك.

وقوله (وليس يكفى الرئيس لتقوية مركزه أن يكون عنده من القوة

إلى آخر الهراء) باطل بما تقدم وباطل أيضا تاريخا فان جيش على كان عشرين ألفا وجيش طلحة وعائشة كان ثلاثين ألفا فاين القوة التى قوى بها مركزه عليهم ، وقد أفرغ جعبة خبثه فى أذى هؤلاء السادة فى هذا الفصل وهم خيرة الصحابة . وقد أخرج الترمذى وابن حبان فى صحيحه عن عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى وعليه وسلم (الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) . وأخرج الترمذى أيضا عن ابن عمر رفعه : «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فقولوا لعنة الله على شركم) . وقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بوقعة الجمل ، أخرج الحاكم وصححه والبيهقى عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال(انظرى ياحميراء أن لا تكونى أنت ثم التفت إلى على فقال إن وليت من أمرها شيئا فارفق بها) ، وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم (كيف باحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب) أخرجه الامام أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وابن حبان وصححاه وسنده على شرط الصحيح وفى رواية البزار من طريق ابن عباس مرفوعا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنسائه (أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن شمالهـــا قتلى كثيرة ، وتنجو بعد ما كادت) ورواته ثقات .

ذكر شيء من فضائل طلحة والزبير

رضى الله تعالى عنهما

فاما طلحة فمنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعطاه سهمه وأجره يوم بدر ولم يحضرها ومنهـا شهادته له بالجنة فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال(أثبت حرا فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد)وكان طلحة

ممن كان معه على حرا . وقال عليه الصلاة والسلام (من سره أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيدالله) أخرجه الترمذى وقال غريب ، ومنها شهادته له بالمغفرة وإثبات اسمه فى ديوان المقربين ، أخرجه الملاء ، وقوله عليه الصلاة والسلام له : (أنت فى حفظ الله ونظره إلى أن تلحق به) أخرجه الملاء أيضا ، وقوله عليه الصلاة والسلام له (أنت سلفى فى الدنيا وأنت سلفى فى الآخرة)أخرجه الملاء أيضافى سيرته وقوله عليه الصلاة والسلام له وللزبير (أنتما حوارى كحوارى عيسى بن مريم) أخرجه الحافظ الدمشقى والبغوى فى معجمه ، واختص يوم أحد بحمل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ظهره والقتال دونه وقد أصيب يومه ببضع وثلاثين طعنة وضربة ورمية وقد مسح صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ بيده على جسده وقال (اللهم اشفه وقوه) فقام صحيحا ورجع إلى العدو أخرجه الملاء ، وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه إذا ذكر يوم أحد قال ذلك كله يوم طلحة ، وكان رضى الله تعالى عنه يلقب بطلحة الخير وطلحة الفياض لكثرة سخائه وكان من خطباء الصحابة .

وأما الزبير رضى الله تعالى عنه فقد تقدم شيء من فضائله ، ومنها أيضا اختصاصه بالقتال مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن اثنتى عشرة سنة أخرجه البغوى فى معجمه وصاحب الصفوة واختصاصه يوم الخندق بانه حوارى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه الشيخان والترمذى واختصاصه بنزول الملائكة يوم بدر عليها عمائم على لون عمامته أخرجه الحافظ ابن عبد البر ، واختصاصه يوم بدر بالقتال بعنزة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه البخارى ، واختصاصه بجمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له أبويه يفديه بهما يوم الأحزاب أخرجه الشيخان والترمذى وقال حديث حسن ، وشهد له عمر رضى الله تعالى عنه بانه ركن من أركان الاسلام أخرجه ابن السرى والملاء فى سيرته ، وشهد له عثمان بانه خيرهم وأحبهم إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه البخارى والبغوى

وقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بأنه هو وطلحة وبقية العشرة فى الجنة قال القرطبي فى تفسير سورة الحجرات مانصه (لايجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل وهم كلهم لنا أئمة ، وقد تعبدنا بالكف عماشجر بينهم ولانذكرهم إلا بأحسن الذكر ، لحرمة الصحبة ولنهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن سبهم ، وأن الله غفرلهم وأخبر بالرضى عنهم ، هذا مع ماقد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن طلحة شهيد يمشى على وجه الأرض ، فلوكان ما خرج إليه من الحرب عصيانا لم يكن بالقتل فيه شهيدا ، وكذلك لوكان ماخرج إليه خطأ فى التأويل وتقصيرا فى الواجب عليه لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل فى طاعة فوجب حمل أمرهم على ما بيناه ، ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من أخبار على بأن قاتل الزبير فى النار،وقوله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (بشر قاتل ابن صفية بالنار) وإذا كان كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين بالقتال، لأن ذلك لوكان كذلك لم يقل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى طلحة (شهيد) ولم يخبر أن قاتل الزبير فى النار وكذلك من قعد غير مخطىء فى التأويل ، بل صواب أراهم الله تعالى الاجتهاد ، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم وإبطال فضائلهم وجهادهم وعظيم غنائهم فى الدين رضى الله تعالى عنهم ، وقد سئل بعضهم عن الدماء التى أريقت فيما بينهم فقال ﴿ تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ . وسئل بعضهم عنها أيضا فقال : تلك دماء قد طهر الله منها يدى فلا أخضب بها لسانى يعنى فى التحرز من الوقوع فى خطأ والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيبا فيه . قال ابن فورك : ومن أصحابنا من قال إن سبيل ماجرى بين الصحابة من المنازعات كسبيل ماجرى بين أخوة يوسف مع يوسف ثم إنهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة ، فكذلك الامر فيما جرى بين الصحابة .

وقال المحاسبي : فأما الدماء فقد أشكل علينا القول فيها باختلافهم وقد سئل الحسن البصرى عن قتالهم فقال : قتال شهده أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وغبنا ، وعلموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا ، قال المحاسبي فنحن نقول كما قال الحسن ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا ونتبع ما اجتمعوا عليه ، ونقف عندما اختلفوا فيه ، ولا نبتدع رأيا منا ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل ، إذ كانوا غير متهمين فى الدين اه .

ابطال تمسكه بالروايات الباطلة فى المراسلة
بين على ومعاوية وزعمه أن المسلمين لايزالون يعدون وقعة صفين شؤما إلى الآن

قال الحافظ أبو بكر بن العربى فى القواصم والعواصم : (عاصمة) أما وجود الحرب بينهم (يعنى عليـا ومعاوية) فمعلوم قطعا ، وأما كونه بهذا السبب (يعنى مطالبة معاوية عليا بتسليم قتلة عثمان إليه ليقتص منهم) فمعلوم كذلك قطعا ، وأما الصواب فيه فمع على ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم وتهمة الطالب للقاضى لا توجب عليه أن يخرج عليه بل يطلب الحق عنده فان ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر فكم من حق يحكم الله فيه وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه فيقوم له عذر فى الدنيـا ، ولئن اتهم على بقتل عثمان فليس فى المدينة أحد من أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إلا وهو متهم به أوقل معلوم قطعاً انه قتله ، وهبك أن علياً وطلحة والزبير تضافروا على قتل عثمان ، فباقى الصحابة من المهاجرين والانصار ومن اعتـد فيهم وضوى اليهم ماذا صنعوا بالقعود عن نصرته ، ولا يخلو أن يكون لأنهم رأوا أولئك طلبوا حقاً وفعلوا حقاً ، فهذه شهادة قائمة على عثمان فلا كلام لأهل الشام وان كانوا قعدوا عنـه استهزاء بالدين ، وانهم لم يكن لهم رأى فى الحال ، ولا مبالاة عندهم بالاسلام ولا فيما يجرى فيه من اختلال فهى

ردة ليست معصية لأن التهاون بحدود الدين واسلام حرمات الشريعة للتضييع كفر، وان كانوا قعدوا لأنهم لم يروا أن يتعدوا حدعثمان واشارته فأى ذنب لهم فيه ، وأى حجة لمروان وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين وابن عمر وأعيان الشريعة معه فى داره يدخلون اليه ويخرجون عنه فى الشكة والسلاح والطالبون ينظرون ، ولو كان لهم بهم قوة أو آووا إلى ركن شديد لما مكنوا أحداً أن يراه منهم ولا يداخله وانما كانوا نظارة ، فلو قام فى وجوههم الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ماجسروا ولو قتلوهم مابقى على الأرض منهم حى ، ولكن عثمان سلم نفسه فترك ورأيه وهى مسألة اجتهاد كما قدمنا ، (والذى قدمه هو) وأصل المسألة سلوك سبيل الحق - ان أحداً من الصحابة لم يسع عليه ، ولاقعدعنه ولو استنصر ماغلب أربعة آلاف غرباء عشرين الفاً بلديين أو أكثر من ذلك ، ولكنه ألقى بيده الى المصيبة ، وأمره كله سنة ماضية وسيرة راضية فانه تحقق انه مقتول بخبر الصادق له بذلك وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه وانه شهيد . وروى انه قال له فى المنام : (ان شئت نصرتك أو تفطر عندنا الليلة) وأى كلام كان يكون لعلى (لما تمت له البيعة) لو حضر عنده ولى عثمان وقال له ان الخليفة قد تمالا عليه أربعة آلاف حتى قتلوه ، وهم معلومون ، ماذا كان يقول ألا أثبت وخذ ، وفى يوم كان يثبت الا ان يثبتوا هم ان عثمان كان مستحقاً للقتل ، وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين انه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبداً وكان يكون الوقت أمكن للطالب وأرفق فى الحال وأيسر وصولا الى المطلوب، والذى يكشف الغطاء فى ذلك ان معاوية لما صار اليه الأمر لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحداً إلا بحكم ، إلا من قتل فى حرب بتأويل أو دس عليه فيما يقال حتى انتهى الأمر الى زمن الحجاج وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة ، فتبين لكم انهم ما كانوا فى ملكهم يفعلون ماأصبحوا له يطلبون والذى تثلج به صدوركم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر فى الفتن وأشارو بين ، وانذر بالخوارج

وقال (تقتلهم أدنى الطائفتين الى الحق) فبين ان كل طائفـــة منهما تتعلق بالحق ، ولـكن طائفة على ادنى اليه، وقال تعالى ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين إقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ فلم يخرجهم عن الايمان بالبغى بالتأويل،ولا سلبهم اسم (الاخوة) بقوله بعده﴿ إنما المؤمنون اخوةفأصلحوا بين أخويكم ﴾ وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فى عمار (تقتله الفئة الباغية) ، وقال فى الحسن : (إن إبنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فحسن له خلعه نفسه واصلاحه . وكذلك يروى أنه اذن فى الرؤيا لعثمان فى ان يستسلم ويفطر عنده الليلة ، فهذه كلها أمور جرت على رسم النزاع ولم تخرج عن طريق من طرق الفقه ولاعدت سبيل الاجتهاد الذى يؤجر فيـه المصيب عشرة والمخطىء أجراً واحداً . وماوقع من روايات فى كتب التاريخ - عدا ماذكرنا - فلا تلتفتوا الى حرف منها فانها كلها باطلة اه .

قلت تلخص من كلام هذا المحقق عشر مسائل مقطوع بهـا عند أهل الحق (١) براءة الصحابة جميعا من دم عثمان (٢) منعه الصحابة من مقاتلة الثوار وسفك الدماء بسببه فى بلدة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتحققه شهادته بأخبار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم له بذلك (٣) لو أذن للصحابة وأبنائهم فى مقاتلة الثوار ولم يستسلم لقضاء الله لقضوا عليهم وأجلوهم عن المدينة بالرغم منقوة شوكتهم (٤) اتهام معاوية لعلى بالهوادة فى دم عثمان لإيوائه قتلته فى جيشه (٥) لو صح اتهام على بقتل عثمان أو الهوادة فى قتله لصح الاتهام بماذكر لجميع الصحابة الموجودين بالمدينة لامحالة وهو باطل (٦) تهمته له بما ذكر لاتبيح له الامتنـــاع من بيعته ومحاربته . (٧) انحصار امتناعه من بيعة على فى طلبه منه تسليم قتلة عثمان إليه ليقتص منهم (٨) الطالب للدم لايصح أن يحكم فيه ويقتص من الجانى دون إقامة الدعوى والبينة عند السلطان وحكمه له بذلك (٩) وجود كثيرين من قتلة

عثمان فى زمن معاوية وبعده ولم يفعل بهم ما كان يطلبه من على فيهم مع اجتماع كلمة المسلمين عليه ، دل قطعا على خطئه فيما كان يطلبه من على فيهم وصواب على رضى الله تعالى عنهما . (١٠) كل ماجاء فى كتب التاريخ فى المراسلات بينهما غير ما حققه باطل ، وعليه فقد ذكر المحاضر مراسلات جرت بين على ومعاوية تقليداً لابن جرير .

منها فى ص ٦٢ ج ٢ (قول شبث بن ربعى التميمى أحد رسل على إلى معاوية أيسرك يا معاوية أنك إن مكنت من عمار تقتله فقال وما يمنعنى من ذلك والله لو أمكنت من ابن سمية ما قتلته بعثمان ولكن كنت قاتله بمولى عثمان فقال شبث إلى آخر الهراء) هذا الباطل رواه ابن جرير عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبى مخنف الأزدى عن سعد أبى المجاهد الطائى عن المحل بن خليفة الطائى ، اتفق أئمة الرواية على أن هشام ابن محمد الكلبي غير ثقة قال الامام احمد بن حنبل فيه إنما كان صاحب سمر ونسب ما ظننت أن أحداً يحدث عنه . وقال الدارقطنى وغيره (متروك) وقال بن عساكر (رافضى ليس بثقة) ، وأبو مخنف واسمه لوط بن يحي اتفقوا أيضاً على أنه هالك ، قال ابن حجر فى لسان الميزان فيه (أخبارى تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره) ، وقال ابن معين (ليس بثقة وليس بشىء) ، وقال ابن عدى (شيعى محترق صاحب أخبارهم) وقال الدارقطنى (ضعيف) .

وسعد أبو المجاهد الطائى مجهول ، وكذلك المحل بن خليفة .

ومنها فى الصفحة نفسها محاورة عنيفة جرت بين أمير المؤمنين على وحبيب بن مسلمة الفهرى أحد رسل معاوية إلى أمير المؤمنين ذكرها ابن جرير أيضاً عن أبى مخنف التالف المذكور عن سليمان بن راشد وهو مجهول عن عبد الرحمن بن عبيد أبى الكنود وهذا مجهول أيضاً : ان معاوية بعث إلى على حبيب بن مسلمة الفهرى إلى آخر الهراء) .

قال المحاضر فى ص ٦٤ ج ٢ فى وقعة صفين (وفى الصباح زحف على

بجنود أهل العراق وزحف له معاوية بجنود أهل الشام يوم مشؤوم لايزال المسلمون يعدونه شؤماً من لدن ذلك الحادث إلى الآن اهـ .)

أقول عبر كعادته بجادة الابهام والتدليس المسلوكة للكائدين للاسلام وما كفاه فى تخفيف هذا البهتان التعبير بعده بعض المسلمين شؤما أو المسلمون الآن مثلا بل بالغ فيه فزعم (أن ذلك اليوم لايزال المسلمون يعدونه شؤما من لدن ذلك الحادث الى الآن) . سبحان الله هذا بهتان عظيم على بعض المسلمين فكيف وقد لطخ به جميع المسلمين والمسلمون ثلاث طوائف (خوارج) ورأيهم تكفير على ومعاوية ومن معهما وعثمان وطلحة والزبير وجمهور الصحابة والأمة الاسلامية كلها (وشيعة) ورأيهم جميعا الغلو فى محبة على والرافضة منهم تكفر معاوية ومن معه وجميع الصحابة والأمة كلها ، (وأهل الحق) وهم عامة ومتعلمون فالعامة لاشعور لهم بذلك اليوم وعقيدتهم فى الصحابة جميعا صالحة ، ولم يقل أحد من المتعلمين فيما علمنا أو سمعنا به ان ذلك اليوم شؤم ، بل قالوا ان الحكمة فى قتال الصحابة بعضهم بعضا التعرف لأحكام المتأولين لأنه لم يبين فى الكتاب والسنة ، وقتال الكافرين قد بينته سنته عليه الصلاة والسلام ، وليس القتال لإحقاق الحق وقمع الباغى شؤما عند ذوى العقول السليمة . وقول ابن حزم فى الملل والنحل (لم يقاتل على معاوية على امتناعه من بيعته لأنه كان يسعه فى ذلك ماوسع ابن عمر وغيره ، لكن قاتله لامتناعه من تنفيذ أوامره فى جميع أرض الشام وهو الامام الواجبة طاعته ، ولم ينكر معاوية قط فضل على واستحقاقه الخلافة . لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة ورآى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان. وأولاد الحكم بن أبى العاص لسنه ولقوته على الطلب بذلك وأصاب فى هذا وإنما أخطأ فى تقديمه ذلك على البيعة فقط اهـ) .

جيد غير قوله كان يسعه فى ذلك ماوسع ابن عمر وغيره فانه غير صحيح فان ابن عمر وغيره من الصحابة الواقفين قد بايعوا عليا وانما تحرجوا

من قتال أهل القبلة فوقفوا عن ذلك باجتهاد.على أن ابن عمرو سعدبن أبي وقاص قد ندما على تركهما قتال الفئة الباغية مع على قال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب الفتن ج ١٣ فى شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) واستدل به على تصويب رأى من قعد عن القتال مع معاوية وعلى وان كان على أحق بالخلافة وأقرب الى الحق وهو قول سعد بن أبى وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسائر من اعتزل تلك الحروب وذهب جمهور أهل السنة الى تصويب من قاتل مع على لامتثال قوله تعالى ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ الآية ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية وقد ثبت أن من قاتل عليا كانوا بغاة وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لايذم واحد من هؤلاء بل يقولون اجتهدوا فأخطأوا اه) .

وغير قوله ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم لسنه ولقوته على الطلب بذلك) فان الأحق الحقيقى شرعا بطلب دم عثمان هم أولاده دون غيرهم ، وليس طلب دم المقتول بالسن ولا بالقوة ولو كانت فى أقرب الناس اليه ولو كان بالقوة لساغ لكل من له شوكة من أولياء الدم أن يأخذه بها دون السلطان وفى ذلك من الفوضى والفساد فى الأرض ما يتنافى مع النظام الاسلامى ، ولا يخفى على اللبيب وقد قال هذا المحاضر سابقاً فى طعنه فى طلحة والزبير وعائشة (إن اعطاء الحق للافراد فى أن يتجمعوا لاقامة حد فيه مفسدة للنظام الذى أسس عليه الاسلام) وذكر يحي بن سليمان الجعفى أحد شيوخ الامام البخارى فى تأليفه فى صفين بسند جيد عن أبى مسلم الخولانى أنه قال لمعاوية أأنت تنازع علياً فى الخلافة أو أنت مثله قال لا ، وانى لأعلم أنه أفضل منى وأحق بالأمر ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه فأتوا علياً فقولوا له يدفع الينا قتلة عثمان . فأتوه فكلموه فقال يدخل فى البيعة ويحاكمهم الى ، فامتنع معاوية فخرج اليه فى أهل العراق

فى سبعين ألفاً فيهم تسعون بدرياً ، وسبعمائة من أهل بيعة الرضوان ، وأربعمائة من سائر المهاجرين والأنصار . وخرج معاوية فى أهل الشام فى خمسة وثمانين ألفاً ليس فيهم من الأنصار الا النعمان بن بشير ومسلمة ابن مخلد ، فالتقى الجمعان بصفين فتراسلوا فلم يتم لهم أمر فوقع القتال ودامت الحرب مائة يوم وعشرة أيام فقتل من أهل الشام سبعون ألفا ومن العراق عشرون ألفاً وقيل من الشام خمسة وأربعون ألفاً ومن العراق خمسة وعشرون ألفاً وآل الأمر فى معاوية ومن معه إلى طلب التحكيم ثم رجع على إلى العراق فخرجت عليه الحرورية فقتلهم بالنهروان ومات بعد ذلك رضى الله تعالى عنه . وظهر بقتل عمار مع على أنه المصيب اه . شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ج ٧ ص ٢٥٧ وذكر جل هذا الكلام الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب الفتن ج ١٣ وقد علم من سيرة أمير المؤمنين على أنه كان لايبدأ محاربيه بالقتال حتى يبدؤوه وقد بدأت مقدمة جيش معاوية وعليها أبو الأعور السلمى مقدمته وعليها الأشتر النخعى بالحرب ، وكان معاوية رضى الله تعالى عنه سبق بجيشه فنزل منزلا اختاره واسعاً وأخذ شريعة الفرات وليس فى ذلك الصقع شريعة غيرها فجعلها فى حيزه وبعث عليها أبا الأعور السلمى يحميها ويمنعها فطلب أصحاب على شريعة غيرها فلم يجدوا فأتوا علياً فأخبروه بفعلهم وبعطش الناس فأرسل إلى معاوية رسولا ، يقول له إنا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الاعذار اليكم فقدمت الينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه أخرى قد فعلتموها ، منعتم الناس عن الماء والناس غير منتهين فابعث الى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء وليكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له . فان أردت أن تترك ما جئنا له ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا ، فقال معاوية لأصحابه ما ترون فأشار عليه بعضهم بمنعهم منه فقال عمرو بن العاص خل بين القوم وبين الماء

فانهم لن يعطشوا وأنت ريان ، ولكن بغير الماء فانظر فيما بينك وبين الله فأعاد عليه ذلك البعض منعهم منه فقال امنعهم منه الى الليل فانهم ان لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمة فأخذ معاوية بهذا الرأى وأمد أبا الأعور بالخيل ليمنعهم الماء ورجع رسول على اليه فأخبره فقال على حينئذ قاتلوهم على الماء فقاتلوهم حتى خلوا بينهم وبين الماء وصار فى أيدى أصحاب على فقالوا والله لانسقيه أهل الشام ، فأرسل على الى أصحابه ، أن خذوا من الماء حاجتكم وخلو عنهم فان الله نصركم ببغيهم وظلمهم ، وكان أمير المؤمنين على قد أسر أسارى كثيرة من الشاميين فخلى سبيلهم فجاءوا معاوية وعمرو بن العاص يقول له وقد أسرهو أسارى كثيرة من العراقيين (اقتلهم) فلماوصل أصحابهم قال معاوية يا عمرو لو أطعناك فى هؤلاء الأسرى لوقعنا فى قبيح من الامر وخلى سبيل من عنده وقد كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعمار بن ياسر (تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن) فكان ذو الكلاع يقول لعمرو ماهذا ويحك ياعمرو فيقول عمرو انه سيرجع الينا فقتل ذو الكلاع قبل عمار مع معاوية وأصيب عمار بعده مع على فقال عمرو لمعاوية ما أدرى بقتل أيهما . أنا أشد فرحا بقتل عمار أو بقتل ذى الكلاع والله لو بقى ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة أهل الشام الى على اه ملخصا من كامل ابن الأثير والعهدة عليه فى قصتى الاسارى وذى الكلاع .

المحاضرة الثلاثون

تكذيبه لأمر الله وللعقل وللتاريخ وافتراؤه على جميع من مع على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما

قال فى ص ٦٧ جـ ٢ (ومما يزيد الاسف ان هذه الحرب لم يكن المراد منه الوصول الى تقرير مبدأ دينى أو رفع حيف حل بالامة وانما كانت لنصرة شخص على شخص فشيعة على تنصره لأنه ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحق الناس بولاية الأمر ، وشيعة معاوية تنصره لأنه ولى عثمان واحق الناس بطلب دمه المسفوك ظلماً ولا يرون انه ينبغى لهم مبايعة من آوى اليه قتلته اهـ) ،

أقول كلامه هذا باطل من سبعة أوجه (الأول) تكذيبه لأمر الله فان الله تعالى لما أمر بالاصلاح بين الطائفتين وقتال الباغية منهما فى قوله ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين إقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ لم يقل ان رئيس كل طائفة منهما نصر لشخصه ، فحال هـذا المحاضر لا يخلو من أمرين إما أن يكون جاهلا هذه الآية وإما أن يكون علمها ونبذها تقديماً لرأيه هذا عليها وكلا الأمرين مصيبة وتكذيب لأمر الله . فان قيل ان كان جاهلا لها فهو غير مكذب لها لأنه معذور بجهله . قلت ان فرض جهله لها لا يعذر بجهله لأنه منتسب إلى الاسلام وقد تولى القضاء الاسلامى والف فى أصول الفقه كتاباً ، وأصول الفقه مبنى على أربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس فهو إذاً مكذب لصريح التاريخ المتواتر كتاب الله الذى لا يأتيه البـــاطل من بين يديه ولا من خلفه .

(الثانى) دفع الصائل ونصر المظلوم مستحسنـان فى بداهة العقـل وواجبان شرعاً ومروءة على كل من قدر عليهما وكل متقاتلين فى الأرض فأحدهما ظالم والآخر مظلوم غالبا ، فان قيل قد صح فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى

النار) فقيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال : (انه كان حريصا على قتل صاحبه) قلت هذا خبر جزئى ظنى خاص لا يصح ان يعارض به نص الكتاب العام القطعى الدلالة فى الجواز وقد علل صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصيته بقوله إنه كان حريصاً على قتل صاحبه (أى بلا تأويل أو مستحلا لقتله) ، وقد أخرج البزار فى حديث (القاتل والمقتول) فى النار زيادة تبين المراد وهى (إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول فى النار) ويؤيده ماأخرجه مسلم بلفظ (لا تذهب الدنيا حتى يأتى الناس زمان لا يدرى القاتل فيم قتل ولا المقتول فيما قتل) فقيل كيف يكون ذلك قال (الهرج القاتل والمقتول فى النار) وقد صح فى الحديث الذى أخرجه الشيخان وغيرهما انه عليه الصلاة والسلام قال (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) فقال كيف أنصره وهو ظالم قال (بأن تكفه عن الظلم) وتواتر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد) رواه الأئمة احمد بن حنبل وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان . وثبت عنه أيضاً انه قال (من قتل دون مظلمته فهو شهيد) وهذ أعم مما قبله رواه البخارى والنسائى والضياء المقدسى فأى مبدأ دينى يجب على الأمة الوصول الى تقريره أعظم من نصرها إماما عادلا قد بايعته على من امتنع من بيعته وحاربه بطائفة منها وأى حيف حل بها أعظم من محاربة هذه الطائفة لها ولامامها العادل ، أليس نصرها ومدافعتها عن كل امام عادل واجبا دينيا عليها باجماع العقلاء ان هذا المحاضر يهذى بمالا ينطبق على منقول ولا على معقول .

فان قيل : إذا كانت مدافعة الأمة عن امامها العادل فرضا دينيا عليها فلم لم ينصر أهل المدينة وغيرهم من أهل الأمصار عثمان رضى الله تعالى عنه على أولئك الخوارج الذين حصروه حتى قتل .

قلت أما أهل المدينة فقد منعهم عثمان من سفك الدماء بسببه فى بلدة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واستسلم لقضاء الله تعالى بل اقسم عليهم

أن يغمدوا سيوفهم ويلزموا بيوتهم، وإذا كان الامام صاحب الحق الواجب له عليهم قد منعهم من أدائه فقد سقط عنهم فلا تبعة ولا لوم عليهم قطعا وقد تقدم تقريره . وأما أهل الامصار فقد توجه جيش من العراق وجيش من الشام لنصره فبلغهم فى أثناء الطريق قتله فرجعوا فلا لوم ولا تبعة عليهم أيضا لأنهم قد أدوا هذا الواجب فسبقهم اليه قضاء الله تعالى المبرم.

(الثالث)كذبه على التاريخ وتكذيبه له فى قوله (فشيعة على تنصره لأنه ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأحق الناس بولاية الأمر الى آخر الهراء) فالأمة الذين نصروه انما نصروه أولا لأنه امام عادل قد لزمتهم بيعته وطاعته فوجب عليهم نصره والمدافعة عنه بمقتضى ذلك، وكونه ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأحق الناس بولاية الأمر أمر ثانوى مفروغ منه مؤكد لاستحقاق الامامة ،وقد تقدم فى بحث بيعته أن خلافته ـ يتعلق بها ثلاثة اجماعات : اجماع الأمة الاسلامية على انه أفضل الصحابة بعد الخلفاء الثلاثة ، واجماعهم على بيعته واجماعهم على انه مصيب فى اجتهاده فى حروبه كلها ، وحيث اتخذ فى بغضه الهه هواه فلا اعتبار لهذه الاجماعات عنده ولا قيمة للامة الاسلامية جمعاء عنده ، لذلك هذى بهذا الكلام الذى لايقوله الا المصابون بالمالوخليا . وقد قال العلماء ان منكر الاجماع فاسق فكيف بالمستهتر به المكذب له . فكيف بالمكذب لصريح أمر الله. وتغيير المنكر مبدأ دينى واجب كفائى على من قدر عليه من الأمة وأى منكر أشد من قتل خليفة عادل ظلما ، وحيث كان معاوية رضى الله عنه أحد أولياء الخليفة المقتول وله قوة على الطلب بدمه ورآى كثيراً من قاتليه قد انزووا فى جيش الامام على طلب منه أو لا تسليمهم اليه ليقتص منهم ثم بعد ذلك يبايعه وظن باجتهاده أن امتناع الامام من تسليمهم اليه قبل مبايعته يبيح له قتاله وقتال من معه والذين قاتلوا معه الامام وجيشه قاتلوا على هذا الآساس ، وهو عند كل عاقل مبدأ دينى وإن كان الأول أقوى منه .

(الرابع) افتراؤه العظيم وحكمه القبيح على ضمير كل واحد من الطائفتين بأنه ماقاتل إلا لنصرة شخص علي ومعاوية وسيجازى على هذا البهتان جزاء الأفاكين ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾.

(الخامس) يلزم من منطوق كلامه هـذا فى كل طائفتين تقاتلتا محقة ومبطلة من عهد آدم إلى قيام الساعـة أن يقال فى رئيس كل طائفة منهما أنه نصر لشخصه ، فـكل نبي من أنبياء الله أو خليفـة له قام بالجهاد لإحقاق الحق وإزاحة الباطل ، يصح أن يقال فيه إنه نصر لشخصه ، لا للوصول إلى مبدأ دينى أوحيف حل بالناس ويقال فى مضاده ذلك أيضاً ولا خفاء بفساد هـذا الـكلام الداعى إلى الفوضى وبقاء الناس بلا راع ، ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسـدت الأرض ﴾ على أنه أيضاً مخالف للسنن الـكونية فان الله تعالى خلق عباده بحكمته متفاوتين غنى وفقير وقوى وضعيف ورئيس ومرؤوس وبر وفاجر وعالم وجاهل ومشهور وخامل وتاجر وزارع وذوو مهن مختلفـة ليرتفق بعضهم ببعض ويعمر بهم الـكون ، فالانسان مدنى بالطبع كما قالوا ولا بد للناس (كما قال بطل الاسلام القعقاع ابن عمرو فى خطبة خطبها فى مسجد الـكوفة حث الناس فيها على مبايعة على رضى الله عنه) من إمارة تنظم الناس وتزع الظالم وتعز المظلوم :

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا له عمـد ... ولا عمـاد إذا لم ترس أوتاد

(السادس) قد نقض أول كلامه هـذا بآخره فقوله (وشيعة معاوية تنصره لأنه ولى عثمان وأحق الناس بطلب دمه المسفوك ظلماً) صريح فى أنهم لم ينصروه لشخصه وإنمـا نصروه للقصاص من قتلة عثمان المقتول ظلماً ونقضه أيضاً بما سيأتى له قريبا . يقول فى تبرير عمل معاوية (وجـد أمامه شبها تفسح له المجال فى تلك المناوأة) .

(السابع) قد نقضه أيضا بما سيأتى فى حرب أهل المدينة والحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ومن معهم لجيوش يزيد بن معاوية ومحاربة جيش

عبد الملك لابن الزبير أيضا فقد سفه أولئك الأبرار وأنحى عليهم بالنقد المر وحملهم تبعة تلك الحروب وبرر عمل يزيد وعبد الملك وجيوشهما ، ولم لم يقل أن جيشى يزيد وعبد الملك وإن كانا أقوى عدة وعدداً من أولئك كانا ينصران شخص يزيد وعبد الملك وأولئك أيضا نصروا لأشخاصهم حتى يكون رأيه صحيحا مطرداً ، ولكنه يحله عاما ويحرمه آخر .

البهتان المكرر والاباطيل

قال أيضا فى ص ٦٧ و٦٨ (يظهر للمتتبع أخبار ما بين على ومعاوية أن الرجلين كانا على تباين تام فعلى يرى لنفسه من الفضل والسابقة والقرابة ما ليس لغيره من سائر الناس حتى أشياخ قريش وأصحاب السابقة منهم ، وزاد به ذلك الفكر حتى كان يرى أن الأشياخ يعلمون ذلك ويغضون عنه وكان يرى فى معاوية انحطاطاً هائلا عنه ، ولماذا لأنه من الطلقاء وأولادا الطلقاء الذين عادوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحاربوه وربما ظن فيهم أنهم لم يدخلوا فى الاسلام الا كرها حينما لم يجدوا مناصاً من ذلك واذا كان الرجل يرى أشياخ قريش دونه قدراً ولم يكن يسلم لهم الا مرغماً لأنه لم يجد له أنصاراً فكيف يرى نفسه أمام رجل يظن به ذلك الظن فى وقت بايعه الناس فيه بالخلافة وردوا اليه حقه المسلوب وقد وجد أنصاراً يؤيدونه وكان إذا تكلم عن معاوية أوكاتبه يظهر من كلامه الاحتقار له والترفع عنه والازدراء برسله وخاطبهم بأشد مايخاطب به انسان ولا ينظر أن الرجل قد استحوذ على قلوب نصف الأمة الاسلامية ومثله لا ينال إلا بالاناة وشىء من المصانعة والسهولة ، وهذه أشياء لم ير على أن يتنزل اليها ، أما معاوية فانه بدون ريب كان يرى نفسه عظيما من عظماء قريش لأنه ابن شيخها أبى سفيان بن حرب وأكبر ولد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كما أن علياً أكبر ولد هاشم بن عبد مناف فهما سيان فى الرفعة النسبية ، ثم كان يرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والخلفاء الثلاثة من بعده قد وثقوا به

ثقة كبرى حتى جمعت له الشام كلها وهى أعظم بلدان المسلمين بعد العراق فصارت له تلك الرياسة العظيمة والأثر الصالح فى حماية الثغور الرومية وهو يعلم أن علياً لا ينظر اليه بتلك العين التى كان ينظر له بها من قبله. بدليل أول عمل له كان عزله فرآى أن انضمامه إلى على يحطه عن تلك المنزلة السامية التى نالها ومن يدرى ماذا يكون حاله بعد ذلك من المهانة ، وجد أمامه شبها تفسح له المجال فى تلك المناوأة (١) انه لم يستشر فى تلك البيعة وهو من أعاظم قريش ووال من أكبر الولاة تحت امرته جند من جنود المسلمين لا يقل عن مائتى ألف ، (٢) أن كثيرا من الصحابة رفضوا بيعة على ، (٣) أن أول من ندبه للخلافة هم الثائرون على عثمان الذين قتلوه ، (٤) أنه آواهم فى جيشه ولم يقتص منهم فأخذ من ذلك أنه ممالىء لهم على فعلتهم كل تلك الشبه جعلته يمتنع عن البيعة ويأخذ لنفسه الحيطة حتى لا يقع فى المذلة والمهانة ، شخصان ينظر كل منهما إلى الآخر بهذا النظر لا يمكن اتفاقهما ولا وصولهما إلى طريق رشاد يخفف عن المسلمين ما نزل على رؤوسهم من تلك الفتنة الهائلة ولم يكن مدار مراسلاتهم بالشىء الذى يصح أن يكون قاعدة صلح بين فريقين لكل منهما قوة تؤيده فعلى كان يطلب مبايعته ولا يزيد وبغير ذلك لا يكون صلح حتى ان رسله التى كان يرسلها من أهل العراق كانوا يكلمون معاوية بلهجة المحتقر المستخف ، ومعاوية يطلب أولا أن تسلم قتلة عثمان اليه ليقتص منهم ثم يكون الأمر شورى بينهم وكلا الأمرين لا يرضى به على ، أما قتلة عثمان فلأنه إذا أراد انتزاعهم من جيشه لا يأمن أن يتعصب لهم قومهم فينقسم جيشه ، وأما الثانية فلانه لا يترك حقا قد ثبت له بالبيعة التى رآها تمت وليس لأحد مهما عظم قدره أن يعترض عليها فكيف بمثل معاوية فى نفسه ، أضف الى ذلك أن فرقة السبئية التى كانت تتخلل جند على لم يكن من مصلحتها أن يكون صلح بين الطرفين فهم لا يسكتون عن حمل الحطب لاشعال نار الفتنة كلما قاربت الخمود ولذلك كان لهذا التحكيم الذى اتفق عليه الطرفان نتيجة من أسوأ النتائج فى جند على اه) .

أقول : هذا الهراء الطويل جله بهتان أوحاه اليه أبو مرة وبعضه أباطيل وكله طعن مكرر فى على ومدح لمعاوية بمالم يدعه لنفسه وليس فيه، وليس فيه من التاريخ الاسلامى شىء وقد تقدم ابطاله كله وحاصله يدور على أمرين رمى على كرم الله وجهه بالكبر والاعجاب بنفسه إلى أقصى حد ، ووصفه لمعاوية رضى الله تعالى عنه الذى يتعصب له بهما أيضاً ولا ريب أن هاتين الصفتين من صفات إبليس وكل من اقتدى به من الطغاة والجبابرة ، ليستا من أخلاق عامة المؤمنين فضلا عن ساداتهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، فهو مفتر باهت جان كعادته على شمائل الصحابة عموماً وعلى على ومعاوية خصوصاً ، مكذب مضاد لما وصف الله به فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. جميع الصحابة بالأخلاق الفاضلة الثابتة لهم أيضاً فى التوراة والانجيل قال الله تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ وقال فى آية أخرى ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ ، وأنا جازم بأن هذا المحاضر لا يقرأ القرآن أو يقرؤه ولا يؤمن به بل يحب اتصافهم بالرذائل ويغيظه اتصافهم بالفضائل ويكفى فى دحض هذا البهتان مانقلته سابقا فى شمائلهم الكريمة من التاريخ الاسلامى علاوة على ماوصفهم به منها التاريخ المقطوع به كتاب الله تعالى فى هاتين الآيتين وفى غيرهما . وأشير هنا الى بعض المواضع من هذا الهراء .

فقوله (يظهر للمتتبع أخبار ما بين على ومعاوية أن الرجلين كانا على تباين تام) بهتان ظهر له ولاشباهه المتتبعين لأباطيل الوضاعين والكائدين للاسلام النابذين لمناقبهم المخلدة فى كتاب الله وفى سنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والثابتة فى تاريخ المسلمين ، والمسلمون كلهم يعتقدون فيهما أنهما

على وفاق تام من حيث اشتراكهما فى الايمـان والصحبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصفات الفاضلة التى وصفهما وغيرهما من الصحابة بها القرآن وليس بينهما من التفاوت إلا ماذكره الله فى كتـابه ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجـة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاوعدالله الحسنى ﴾ واختلافهما مجتهدين فى فرعية واحدة لايؤثر فى تلك الأصول الرابطة بينهما شيئاً .

وقوله (كان إذا تكلم عن معاوية الى قوله ولا ينظر أن الرجل) ، أباطيل مكررة وضعها الكائدون للاسلام وأهله تقدم ابطالها .

وقوله (ولا ينظر أن الرجل قـــد استحوذ على قلوب نصف الأمة الاسلامية) كذب مكشوف مفضوح مكرر تقدم ابطاله وقد فضحه بنفسه بعد هذا بقليل قال (حتى جمعت له الشام كلها وهى من أعظم بلدان المسلمين بعد العراق) ، أقول وبعد مصر أيضا فنسبتها الى البلدان الاسلامية الواسعة اذ ذاك لا تصل الى الربع .

وقوله (فهما سيان فى الرفعة النسبية) صحيح ولـكن ليسا متساويين فى رفعة الشرف الممنوحة من الله تعالى لبنى هاشم ، أخرج مسلم والترمذى عن واثلة بن الأسقع رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد إسماعيـل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم) وأخرجه الترمذى عن واثلة أيضاً بلفظ (إن الله تعالى اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشـا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم) .

وقوله (ثم كان يرى النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم والخلفاء الثلاثة من بعـده قد وثقوا به ثقة كبرى) تهويش أجوف وكذب على التاريخ لرفعة مقامه والحط من مقام على ، لم يوله النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم وهو وجميع الصحابة موثوق بهم عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ثقة كبرى

وليست ثقته بهم موجبة لهم العصمة من الخطأ ولا رافعة عنهم أحكام الشرع ولا ملزمة له ولمن بعده من خلفائه عدم التعرض لهم بحال ، وقد وثق صلى الله تعالى عليه وسلم بخالد بن الوليد وأرسله عام الفتح إلى بنى جذيمة وكانوا أسلموا فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقتل منهم رجالا متأولا فأرسل عليه الصلاة والسلام إليهم دياتهم مع على ورفع يديه إلى السماء وقال (اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد)ووثق بابن اللتبية فولاه عاملا على الصدقة فلما قدم حاسبه فقال هذا لكم وهذا أهدى لى فخطب عليه الصلاة والسلام الناس فقال: (أيها الناس ما بال الرجل منكم نرسله على مال الله فيأتى فيقول هذا لكم وهذا أهدى لى ، ألا جلس فى بيت أمه حتى يعلم هل يهدى له) ، ووثق بالوليد بن عقبة وولاه على صدقات بنى المصطلق فرجع إليه قبل وصوله إليهم ظاناً انهم يريدون قتله وكانوا قد خرجوا لمقابلته فرحاً به.وأخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأنهم منعوا الزكاة فأنزل الله تعالى بسببه ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ إلى آخرها ، وولى عليه السلام رجالا من أصحابه من ذوى السابقة ووثق بهم على نواح فعزلهم الخليفتان بعده وولى الصديق رجالا ووثق بهم فعزلهم الفاروق ، وولى الفاروق رجالا ووثق بهم فعزلهم ذو النورين والخليفة الأول.لم يوله وإنما ولى أخاه يزيد على أحد الجيوش التى وجهها إلى الشام ، والفاروق لم يوله ابتداء وإنما أقره على عمل أخيه حين استنابه فى مرض موته وذلك بعد مضى خمس سنين من خلافته وعثمان رضى الله تعالى عنه هو الذى جمع له الشام كلها ، وهذا كله مسطر فى تاريخ الاسلام تقدم تقريره .

وقوله (وجد أمامه شبهاً تفسح له المجال فى تلك المناوأة (١) انه لم يستشر فى تلك البيعة) بهتان على معاوية وعلى التاريخ الاسلامى فمعاوية لم يقل قط لعلى لا أبايعك لأنك لم تستشرنى وهو معترف بفضل على عليه واستحقاقه الامامة وإنما طلب منه تسليم قتلة عثمان اليه ليقتص منهم قبل

البيعة وقد تقدم تقريره مفصلا واضطرني إلى تكرار الجواب تكريره لهذا الهراء ليضخم به حجم مهاتراته . وقوله (٢) ان كثيراً من الصحابة رفضوا بيعة علي . كذب تقدم إبطاله في بيعته . وقوله (٣) (ان أول من ندبه للخلافة هم الثائرون على عثمان الذين قتلوه) كذب أيضاً تقدم ابطاله فيها . وقوله (٤) (انه آواهم في جيشه ولم يقتص منهم فأخذ من ذلك انه ممالىء لهم على فعلتهم) كذب أيضاً وتدليس فان معاوية رضى الله تعالى عنه لم يقل لعلى لا أبايعك (١) لأنك آويت قتلة عثمان في جيشك (٢) ولم تقتص منهم (٣) فأخذنا من ذلك ممالأتك لهم ، وإنما اشترط في مبايعته شيئاً واحداً وهو تسليم قتلة عثمان اليه ليقتص منهم قبلها .

وقوله (شخصان ينظر كل منهما الى الآخر الى قوله ولم يكن مدار مراسلاتهم)، بهتان في أقبح تعبير في حقهما رضى الله تعالى عنهما .

وقوله (ولم يكن مدار مراسلاتهم الى قوله فعلي كان يطلب) بهتان مكرر تقدم أبطاله .

وقوله (فعلي كان يطلب مبايعته ولا يزيد) افتراء عليه وعلى تاريخ المسلمين وخيانة في نقله للحط من كرامته رضى الله تعالى عنه ، وقد نقلت عن علماء الاسلام الاثبات ان عليا قال لمعاوية لما طلب منه تسليم قتلة عثمان اليه ليقتص منهم (ادخل فيما دخل فيه المسلمون) أي بايع (ثم حاكمهم إلى) فأبى معاوية .

وقوله (حتى إن رسله التي كان يرسلها الى قوله ومعاوية يطلب) طعن مكرر قد تقدم ابطاله .

وقوله (ومعاوية يطلب أولا أن تسلم قتلة عثمان اليه ليقتص منهم ثم يكون الأمر شورى بينهم) افتراء على تاريخ المسلمين وخيانة في نقله فقد تقدم النقل عن علماء الاسلام الاثبات ان معاوية معترف بامامة علي وأفضليته عليه لم ينازعه فيهما وانما طلب شيئا واحدا قبل مبايعته وهو تسليم قتلة عثمان اليه ليقتص منهم. فزاد لترجيح معاوية على عليّ على تاريخ المسلمين قوله (ثم

يكون الأمر شورى بينهم)،ونقص منه لكراهة على قوله : (ثم حاكمهم الى) . وقوله (وكلا الأمرين لا يرضى به على إلى قوله أما الثانية) صحيح . وقوله (وأما الثانية فلانه لا يترك حقا قد ثبت له إلى آخر الهراء) ظاهر الفساد لا يحتاج إلى تعليق ، روى الحافظ أبو نعيم فى حليته وابن عبد البر بسنده وابن الجوزى فى تبصرته عن أبى صالح قال قال معاوية بن أبى سفيان لضرار بن ضمرة الكنانى صف لى عليا ، قال أعفنى ، فقال أقسمت عليك بالله ، فقال : (كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطلق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته ، كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة ، يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ماخشن ومن الطعام ما جشب (أى تغير) وكان فينا كاحدنا يجيبنا إذا سألناه ، ويبتدينا إذا اتيناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له ولا نبتديه لعظمته ، فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظم ، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . واشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه ، قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين، فكأنى اسمعه وهو يقول : يادنيا يادنيا إلى تعرضت أم لى تشوفت هيهات هيهات ، غرى غيرى ، قد أبنتك ثلاثا لا رجعة لى فيك ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق ، قال فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية : رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار ، قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حسرتها اه .

وذكر ابن كثير فى بدايته ج ٨ ص ١٥ قال لما جاء نعى على بن أبى طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاختة بنت قرظة فى يوم صائف جلس

وهو يقول : إنا لله وإنا اليه راجعون وجعل يبكى فقالت له فاخته انت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكى عليه ، فقال ويحك إنما أبكى لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره اه ،

اعتناؤه برأى الخوارج

ونسبته اليهم مذهب اهل السنة وافتراؤه على الطائفتين

قال فى ص ٧٠ و٧١ (والخوارج يدعون انهم قالوا ان التحكيم كان منا كفراً وقد تبنا الى الله فتب كما تبنا نبايعك والا فنحن مخالفون ، فبايعهم على وقال ادخلوا فلنمكث ستة اشهر حتى يجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا فدخلوا على ذلك وتوضيح نظرية هؤلاء القوم ان عليا كان اماماً بويع بيعة صحيحة فمن امتنع عن بيعته فهو مرتكب جريمة العصيان والبغى وهم يرون ان مرتكب الكبيرة كافر فاذاً يكون معاوية بغى على الامام العادل وحارب الله ورسوله وحينئذ يكون له ولقومه حد مقرر فى القرآن والحدود المقررة لا معنى للتحكيم فيها لانه تغيير للمشروع ان قضى بخلافه ، ولما كان معاوية ومن معه يستحقون فى نظرهم هذه العقوبة نصا فاللين معهم ومهادنتهم ادهان فى دين الله وتحكيم للرجال فيما لا حكم فيه الا لله وهذا فى نظرهم جريمة وفاعلها ضال والضال لا يصلح لخلافة المسلمين فلا خلافة لعلى ولا حرمة لمن اتبعه فلهم ان يقاتلوهم وهم فى نظرهم كجند معاوية سواء بسواء فانظروا كيف جاءت هؤلاء الناس نتيجة بعض مقدماتها باطل فلا عجب ان تكون هى ايضا باطلة ، اما كون جريمة العصيان ومحاربة الله والرسول لها حد مقرر فى كتاب الله فذلك صحيح ، واما كون معاوية ومن معه بغاة فذلك شيء يحتاج الى النظر. فان ادعى ان له شبها فى نفس إمامة الامام أهى منعقدة ام لم تنعقد فهذا يصح فيه التحكيم وليس تحكيما للرجال فى دين الله وانما هو تحكيم فى صحة وصف ينبنى عليه حكم فان القاضى الذى ترفع اليه قضية سرقة لا يطلب منه الاجتهاد فى ان السارق تقطع يده اولا

تقطع وانما يطلب منه الاجتهاد فى معرفة أهذا سارق ام غير سارق فاذا ثبتت له الصفة وجب عليه حتما ان يحكم بقطع اليد فان قالوا إن التحكيم من على شك فى امامته والشاك لا يجوز له ان يسفك الدماء للطالبة بأمر مشكوك فى صحته . كان هذا باطلا ايضا لان صاحب الحق كثيراً مايتأكد ان الحق له فاذا رآى من خصمه انكاراً وتمسكا بشبه فانه لا طريق أمامه الا ان يرفع الامر لقاض او محكمين يكون حكمهما قاطعاً لنزاع خصمه ، وعلى الجملة فان هذه الفئة الجديدة قد بنت امرها على مقدمات لم تنضج فزادوا الطين بلة ، وبعد ان كنا امام فرقتين صرنا الآن امام ثلاث فرق يستحل بعضها دماء بعض وصار لعلى عدوان والمتتبع لاحوال الخوارج ومقاماتهم فى حروبهم يتأكد أنهم مخدوعون بماظهر لهم حتى صار عندهم حقيقة من الحقائق التى لا ينكرها إلاغاو فى نظرهم والا فكيف يؤول فعلهم. كانوا بالامس يرون فى على انه افضل المسلمين واعلمهم وافقههم فى الدين. واليوم يباينونه هذه المباينة ويرون انه ضل فى التحكيم ولم يعد يستحق ان يكون خليفة وان كل من تابعه بعيد عن طريق الرشاد اه .

اقول : قد اعتنى بالخوارج وبرأيهم وقد نوه بهم سابقاً فى بحث الخلافة وقد قال قبل هذا الكلام فى ص ٦٩ (ونادى مناديهم ان أمير القتال شبث ابن ربعى التميمى وهذا كان رسول على الى معاوية وكان يتوقح فى خطابه ويعجب من معاوية كيف لم يبايع علياً وهو سيد المسلمين وابن عم سيد المسلمين الى آخر ماهذى به) محاولا تنقيص على بكون أمير الخوارج هو شبث بن ربعى الذى كان رسوله الى معاوية وكان يتوقح فى خطابه ويعجب من معاوية الى آخر الهراء . قد تقدم أن المراسلات بين على ومعاوية كلها باطلة وعلى تقدير صحة ارسال على شبثا هذا لمعاوية وصدور الوقاحة منه يقابل بباطل مثله وهو ارسال معاوية حبيب بن مسلمة لعلى فكان يتوقح فى خطابه ويسىء الأدب مع امير المؤمنين فان صح التوقح من شبث فهو صحيح من حبيب ايضاً ، وقد نقلهما معا ابن جرير الذى هو عمدته ولا سبيل الى تصحيح ذاك

وابطال هذا على ان شبثاً لم يرسل وحده الى معاوية بل ارسل معه بشير بن عمرو الانصارى وسعيد بن قيس الهمدانى ، على ان شبثاً ايضا قد تاب من رأى الخوارج ورجع الى على سريعاً ، وعلى فرض بقائه على رأيهم ، لا يحط ذلك من مقام على شيئاً وقد آمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله ابن ابى سرح وصار يكتب له الوحى ثم ارتد عن الاسلام وصار يتكلم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام عام الفتح فهل يحط فعله ذلك من مقام النبوة شيئاً عند العقلاء ، وقد آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا وحفظ سوراً كثيرة من القرآن. الرّجال ابن عنفوة الحنفى ثم ارتد عن الاسلام وصدق مسيلمة الكذاب وصار مستشاره الخاص وقتل يوم اليمامة فهل يحط فعله ذلك من مقام نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا ، وقد كان شعار الخوارج (لا حكم الا لله) فنادوا بهذه الكلمة يوماً وعلى رضى الله تعالى عنه يخطب على المنبر من نواحى المسجد فقال (كلمة حق اريد بها باطل) ثم قال لهم اما إن لكم عندنا ثلاثاً لا نمنعكم : الفيء مادامت ايديكم معنا ، ولا نمنعكم مساجد الله ، ولا نبدؤكم بقتال حتى تبدؤونا مالم تحدثوا فساداً . وقد دلس برأيهم هنا وراح يوضح نظريتهم للقراء كانها نظرية صحيحة محكمة الاساس تحتاج الى توضيح ، وذهب يناقشهم فيها بضرب الامثال والتماس العذر لحيدرة ، وظهور فساد رأيهم فى بادىء رأى كل من رزق فهما صحيحاً اقل من ان يعتنى به ، ولذلك قطعهم كل من ناظرهم فى اول مرحلة من كلامهم وقد ناظرهم أمير المؤمنين على وابن عباس فرجع اكثرهم وكانوا اثنى عشر الفا وبقى نحو ثلاثة آلاف كتب عليهم الشقاء فقتلوا كلهم الا سبعة وقتل من جيش الامام نحوهم وأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز والامام ابو حنيفة أصحاب الضحاك الخارجى فى آخر دولة بنى امية ومناظراتهم لهم مذكورة فى التاريخ وكتب الطبقات .

أشير الى دحض بعض هذا الهراء فقوله (والخوارج يدعون الى قوله فدخلوا على ذلك) ، تدليس منه وكذب من الخوارج على امير المؤمنين

على . قال ابن الأثير فى كامله (والخوارج يزعمون أنهم قالوا له صدقت قد كنا كما ذكرت وكان ذلك كفراً منا وقد تبنا الى الله فتب كما تبنا نبايعك والا فنحن مخالفون. فبايعنا على وقال ادخلوا فلنمكث ستة اشهر حتى يجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا وقد كذب الخوارج فيما زعموا اهـ.

وقوله (فمن إمتنع عن بيعته فهو مرتكب جريمة العصيان والبغى الى قوله ولما كان معاوية) جهل وتخليط وكذب منه على الخوارج فان عقيدتهم فى معاوية ومن معه التصريح بانهم كفار قبل التحكيم وبعده وكذلك امير المؤمنين عثمان وطلحة والزبير ومن معهم وعلى ومن معه بعد التحكيم والامة الاسلامية جمعاء إلامن وافقهم على هواهم وشهرة رأيهم هذا فى التاريخ الاسلامى اوضح من الشمس ، ولم تقل الخوارج ان معاوية ومن معه بغاة ، والقول بان الصحابة الذين حاربوا أميرالمؤمنين علياً ومن معه بغاة هو قول اهل الحق تقدم شرحه مقتدين بقوله تعالى ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله﴾ وبحديث عمار المشهور (عمار تقتله الفئة الباغية) وقد اثبت الله الايمان لكل من حارب علياً من الصحابة كما اثبت لهم الاخوة ولم يسلبها منهم وليسوا بمؤمنين ولا اخوة فى رأى الخوارج وكونهم يرون كفر مرتكب الكبيرة شىء آخر زائد على رأيهم المذكور وحينئذ فقوله (وتوضيح نظرية هؤلاء القوم) تفضيح لا توضيح وخلط وخبط ، فان كان لايدرى رأيهم فهو جهل قبيح ممن تولى منصب القضاء الشرعى وتدريس التاريخ الاسلامى بالجامعة المصرية، وان كان يدريه فنسبته مذهب اهل الحق اليهم أشد قبحاً واشد قبحاً وبعداً عن الصواب من كلامه هذا قول المعلق على القواصم والعواصم محب الدين الخطيب ص ١٧٠ منه (ان الفئة الباغية هم الذين قتل بسببهم كل مقتول فى وقعتى الجمل وصفين وما تفرع عنهما) لمصادمته صريح الآية ولو كان هذا الفهم صحيحاً للزم ان يكون هناك اربع طوائف اثنتان متقاتلتان واخرى متسببة فى القتال بينهما وهى الباغية واخرى مأمورة بالاصلاح بينهما وقتال الثالثه الباغية بالتسبب وللزم على هذا الفهم ان يقول الله ﴿وان طائفتان

من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾فان بغت ثالثة بالتسبب فى القتال بينهما فقاتلوها،ولا يقول﴿ فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله ﴾ ولا يخفى فساد هذا الفهم .

وقوله (وبعد ان كنا امام فرقتين صرنا الآن امام ثلاث فرق يستحل بعضها دماء بعض) بهتان على على ومعاوية ومن معهما تقدم ابطاله والخوارج هم المستحلون دماء مخالفى رأيهم لاعتقادهم كفرهم،واما اهل العراق والشام فلم يكفر بعضهم بعضا وانما تقاتلوا متأولين كل يرى ان الحق معه مع اعتقاده اسلام مخالفه .

وقوله (وصار لعلى عدوان) تهويش اجوف جوابه ان يقال ايضاً وصار لمعاوية عدوان ، بل عداوة الخوارج له اشد من عداوتهم لعلى لان علياً كان قبل التحكيم عندهم امام هدى عادلا وبعده صار كافراً فى زعمهم ، ومعاوية عندهم امام ضلالة كافر قبل التحكيم وبعده .قال ابن حزم فى الملل والنحل فى الخوارج : (واسلافهم كانوا اعراباً قرأوا القرآن قبل ان يتفقهوا فى السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء ولا من اصحاب احد من علماء الصحابة كعمر وعلى وابن مسعود وعائشة ومعاذ وابى الدرداء وابى موسى وزيد بن ثابت وابن عمر وابن عباس وسلمان وغيرهم ولذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند اقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها اه) .

وقال فى موضع آخر (أعماهم الشيطان وأضلهم الله تعالى فحلوا بيعة مثل على وأعرضوا عن مثل سعيد بن زيد وسعد وابن عمر وغيرهم ممن أنفق من قبل الفتح وقاتل وأعرضوا عن سائر الصحابة الذين انفقوا بعد الفتح وقاتلوا ووعدهم الله الحسنى وتركوا من يقرون بأن الله عز وجل علم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ورضى عنهم وبايعوا الله وتركوا جميع الصحابة وهم الاشداء على الكفار الرحماء بينهم الركع السجد المبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود المثنى عليهم فى التوراة

والانجيل من عنـد الله عز وجل الذين غاظ بهم الـكفار المقطوع على أن باطنهم فى الخير كظاهرهم لأن الله عز وجل شهد بذلك ، فلم يبايعوا واحدا منهم وبايعوا شبث بن ربعى مؤذن سجاح أيام ادعائها النبوة حتى تداركه الله تعالى ففر عنهم وتبين له ضلالتهم ولم يقع اختيارهم بعده إلا على عبدالله ابن وهب الراسبى اعرابى بوال على عقبيه لاسابقة له ولا صحبـة ولا فقه ولا شهد الله له بخـير قط فمن أضل ممن هـذه سيرته واختياره ولـكن حق لمن كان يمينـه ذوالخويصرة الذى بلغه ضعف عقله وقلة دينـه الى تجويره رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسـلم فى حكمه والاستدراك عليـه ورأى نفسه أورع منه هذا وهو يقر أنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليه وبه اهتدى وبه عرف الدين ولولاه لكان حماراً أوأضل اه).

وقال الامام البـاقلانى فى تمهيـده : (وروى الناس رواية ظاهرة أن علياً قام عند منصرفه من الشام وخروج الخوارج عليه وانكارهم التحكيم واكفارهم معاوية وأهل الشام والبصرة عند خطاب ورأى اشارت به عليه همدان وجارية بن قدامة التيمى ، فقال عنـد ذلك : (انا والله ماقاتلنا أهل الشام على ماتوهم هؤلاء الضلال من التـكفير والفراق فى الدين ، وماقاتلناهم الالنردهم إلى الجماعة وأتاكم هذا منهم فى الفرقة ، وإنهم لاخواننا فى الدين قبلتنا واحـدة ، ورأينا أننا على الحق دونهم ، وانى لعلى عهد من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأمرنى فيـه بقتال الباغين والناكثين ، وان الرشاد عندى أن يجمعنا الله واياهم ، ومالهذا الأمر مثـل الرفق . عسى الله أن يجمع هذه الفرقة إلى ماكانت عليه من الجماعة فما كره الصلح من هؤلاء الضـلال إلا من كان يكره الجهاد للعـــدو ويضنون بأنفسهم عن الحرب ويريدون الاعتداء على المسلمين ، ولقد كنا مع رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم وان القتل بين الآباء والأبناء والاخوان وذوى القرابات فمانزداد على كل مصيبة وكل شـدة الا ايمانا ونصراً للحق ، وسلمنا الأمر لله تعـالى وصبرنا على ألم الجراح ولـكنا لمـا أصبحنا نقاتل اخواننا فى الاسلام على

مادخل فيهم من الزيغ والتأويل والشبهة فاذا طمعنا فى خصلة يلم الله تعالى بهاشعثنا ونزلنا بها إلى التقية بيننا ، ورغبنا فيها وأمسكنا عما سواها) ثم قطع الكلام ، قال الباقلانى وجميع ماقاله على مفارق لما تعتقد الشيعة والشراة فى أهل البصرة وصفين من أكفارهم واخراجهم عن الايمان ، فلا عذر لمشنع فى الخلافة عليه ، والسرف والاغراق فى اكفار المحارب له على التأويل والقاعد عنه ، والحال ماوصفناه اه) .

الاحاديث الواردة فى ذم الخوارج

أخرج ابن ماجه فى سننه عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال (شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء وخير قتلى قتلوا ، كلاب أهل النار قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفاراً) قال أبو غالب قلت ياأبا أمامة هذا شيء تقوله قال بل سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اه .

وقال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ج ١٢ شارحاً أثر ابن عمر الذى ذكره الامام البخارى وهو (وكان ابن عمر يراهم (يعنى الخوارج) شرار خلق الله وقال انهم انطلقوا إلى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها على المؤمنين) ، (قلت) وسنده صحيح وقد ثبت فى الحديث الصحيح المرفوع عند مسلم من حديث أبى ذر فى وصف الخوارج (هم شرار الخلق والخليقة). وعند أحمد بسند جيد عن أنس مرفوعاً مثله ، وعند البزار من طريق الشعبى عن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخوارج فقال (هم شرار أمتى يقتلهم خيار أمتى) ، وسنده حسن . وعند الطبرانى من هذا الوجه مرفوعاً (هم شرار الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة) ، وفى حديث أبى سعيد عند أحمد : (هم شر البرية) وفى رواية عبيدالله بن أبى رافع عن على عند مسلم (من أبغض خلق الله اليه) . وفى حديث عبد الله ابن خباب عن أبيه عند الطبرانى (شر قتلى أظلتهم السماء وأقلتهم الأرض)

وفى حديث أبى أمامة نحوه ، وعند أحمد وابن أبى شيبة من حديث ابى بردة مرفوعاً فى ذكر الخوارج (شر الخلق والخليقة) يقولها ثلاثا . وعند ابن أبى شيبة من طريق عمير بن اسحق عن أبى هريرة (هم شر الخلق) وهذا مما يؤيد قول من قال بكفرهم اه .

ثم قال الحافظ فى آخر باب يتعلق بهم مانصه : قال الطبرى وروى هذا الحديث فى الخوارج عن على تاماً ومختصراً عبيد الله بن أبى رافع وسويد ابن غفلة وعبيدة بن عمرو وزيد بن وهب وكليب الجرمى وطارق بن زياد وأبو مريم . (قلت) وأبو الوضى وأبو كثير وأبو موسى وابو وائل فى مسند اسحق بن راهويه والطبرانى وابو جحيفة عندالبزار وابو جعفر الفراء مولى على.اخرجه الطبرانى فى الأوسط وكثير بن نمير وعاصم بن ضمرة ، قال الطبرى ورواه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع على بن أبى طالب أو بعضه عبد الله بن مسعود وأبو زيد وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عمر وأبو سعيد الخدرى وأنس بن مالك وحذيفة وأبو بكرة وعائشة وجابر وأبو برزة وأبو أمامة وعبد الله بن أبى أوفى وسهل بن حنيف وسلمان الفارسى . (قلت) ورافع بن عمرو وسعد بن أبى وقاص وعمار بن ياسر وجندب بن عبد الله البجلى وعبد الرحمن بن عديس وعقبة ابن عامر وطلق بن على وأبو هريرة.أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند جيد من طريق الفرزدق الشاعر أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد وسألهما فقال إنى رجل من أهل المشرق وان قوماً يخرجون علينا يقتلون من قال لا إله إلا الله ويؤمنون من سواهم ، فقالا لى سمعنا النبى صلى الله تعالى عليهوسلم يقول (من قتلهم فله أجر شهيد ومن قتلوه فله أجر شهيد) فهؤلاء خمسة وعشرون نفساً من الصحابة والطرق إلى كثرتهم متعددة كعلى وأبى سعيد وعبد الله بن عمر وأبى بكرة وأبى برزة وأبى ذر فيفيد مجموعها القطع بصحة ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اه .

لا صحة لما اشتهر فى التاريخ من خديعة عمرو لأبى موسى فى قضية التحكيم

قال فى ص ٧٢ : (فتقدم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع عليه رأيى ورأى عمرو وهو أن نخلع علياً ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم وانى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا ثم تنحى وأقبل عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه وقال ان هذا قال ماقد سمعتم وخلع صاحبه وأنا اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبى معاوية فانه ولى عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه فتنابزا ، ويروى المسعودى انهما لم يحصل منهما خطبة وانما كتبا صحيفة فيها خلع على ومعاوية وان المسلمين يولون عليهم من أحبوا وهذا القول أقرب فى نظرنا الى المعقول وان لهج كثير من المؤرخين بذكر الأول اه) .

أقول : هذه الاسطورة الموضوعة فى خديعة عمرو لأبى موسى فى التحكيم شبيهة بالاسطورة الموضوعة على على وابن عباس والمغيرة بن شعبة فى اشارة هذا على أمير المؤمنين بابقاء عمال عثمان فان المقصود من وضعها الطعن فى حيدرة ببعده عن الدهاء والسياسة وتبريز المغيرة وابن عباس فيهما عليه وقد تقدم ابطالها والمقصود من هذه اظهار بلاهة حكمه وتبريز حكم معاوية عليه فيهما .

وقد ذكر فى بعض كتب الأدب والتاريخ وشاع فى هذا العصر كثيراً ان دهاة العرب أربعة: معاوية والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص والأحنف ابن قيس وبعضهم يزيد معهم زياد بن أبيه ، وأول من ذكر هذا فيما علمت من الأقدمين فى كتبه عمرو بن بحر الجاحظ المعتزلى وقلده من بعده وتخصيص هؤلاء الأربعة أو الخمسة بالدهاء وتخصيص التأليف فى بعض

الصحابة بالمهارة فى قيادة الجيوش والشجاعة الفائقة وان كان لا يستلزم نفى ذلك عن غيرهم عند الالباء للقاعدة المشهورة (تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفيه عن غيره) قصور كبير من المتعلمين عن الاطلاع على تاريخ رجال الاسلام (الصحابة رضوان الله عليهم) مؤثر فى عقيدة الدهماء والبسطاء من الناس بل وكثير من المتعلمين فى هذا العصر لأنه مشعر لهم بأن غير هؤلاء المذكورين لا رأى عندهم ولا دهاء ولا براعة فى الشجاعة وقيادة الجيوش، وشاهد هذا التأثير عكوف عامة المسلمين الآن فى كثير من البلدان فى المقاهى وغيرها على سماع العنترية، ولو قيل لهم أن عنترة هذا كان جاهلياً مشركا وان كثيراً من عرب الجاهلية كان يساويه فى الشجاعة أو يربو عليه وان هذه الحكايات الطويلة العريضة كلها أباطيل موضوعة عليه لم يصدقوا وقامت قيامتهم لذلك، ولو دعوا إلى سماع درس دينى أخلاقى أو سماع سيرة بطل من أبطال الاسلام بل ولو كانت سيرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينشطوا ذلك النشاط الذى يستعدون به لسماع العنترية. والعرب فى جاهليتهم لا ينقصون عن أرقى الامم إذ ذاك فى الذكاء والشجاعة والدهاء وان كانت كلمتهم متفرقة والامية غالبة عليهم، والبليد والجبان والاحمق والمغفل والغبى فيهم كغيرهم من الامم نادر، وقد أكرمهم الله بالاسلام فتهذب به وبصحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من رزق السعادة الابدية منهم فنالوا مكارم الاخلاق فتخرجوا كلهم بهما سادة أبطالا حكماء علماء محنكين مدربين، بزوا الامم فى ذلك فقادوهم الى الدين صاغرين وان كانوا متفاوتين فى ذلك، والتابعون تعلموا منهم تلك المكارم والاخلاق الفاضلة.

ذكر ابن جرير فى حوادث ٢٢ للهجرة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما بلغه استيلاء قائده الأحنف بن قيس على المروين من خراسان مرو الروذ ومرو الشاهجان كتب اليه: (أما بعد فلا تجوزن النهر (يعنى نهر جيحون) واقتصر على ما دونه وقد عرفتم بأى شيء دخلتم على خراسان فداوموا على الذى دخلتم به خراسان يدم لكم النصر وإياكم أن تعبروا

فتنفضوا) وكان يزدجرد عبر النهر إلى غوزك وخاقان مهزوما مستنجداً بهما فأقبل خاقان منجداً له فى جيش جرار من الترك وحشر معه أهل فرغانة والصغد وعبر النهر مع يزدجرد إلى بلخ ثم سار من هذه حتى نزل على الأحنف بمرو الروذ وكان الأحنف حين بلغه عبوره النهر خرج فى عسكره ليلا يتسمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين ينقيان علفا إما تبنا وإما شعيراً وأحدهما يقول لصاحبه لو أن الأمير أسندنا إلى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا وكان الجبل فى ظهورنا من أن نؤتى من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله فرجع واجتزأ بها وكان فى ليلة مظلمة فلما أصبح جمع الناس ثم قال انكم قليل وأن عدوكم كثير فلا يهولنكم ف﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين﴾ ارتحلو من مكانكم هذا فأسندوا إلى هذا الجبل فاجعلوه فى ظهوركم واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم وقاتلوهم من وجه واحد ففعلوا فتنادم هذين الرجلين المغمورين فى جند الأحنف بهذا الرأى السديد المنقذ لجيش الاسلام القليل من خطر ذلك العدو الكثير دليل على ذكاء عموم العرب وخروج أحد دهاة العرب الأربعة كما قالوا فى الليلة الظلماء مستكشفا رأيا يسمعه من أى فرد من أفراد جيشه ينتفع به فيما نزل به من هذا الكرب العظيم دليل على ذلك أيضا وعلى فضله وتواضعه .

فهذه الأسطورة باطلة بثمانية أوجه .

الاول : رواها أبو مخنف المتفق أئمة الرواية على أنه اخبارى هالك ليس بثقة .

الثاني : الطعن فى أبي موسى بأنه مغفل طعن فى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذى ولاه على تهائم اليمن زبيد وعدن وغيرهما وهو مغفل

الثالث : الطعن فيه بما ذكر طعن فى الفاروق الذى ولاه أميرا على البصرة وقائداً على جيشها فافتتح الأهواز وأصبهان ، وكتب فى وصيته لا يقر لى عامل أكثر من سنة وأقروا الاشعرى أربع سنين وهو مغفل

فأقره عثمان عليها قليلا ثم عزله عنها فانتقل إلى الكوفة وسكنها وتفقه به أهلها كما تفقه به أهل البصرة وقرأوا عليه . ثم ولاه عثمان على الكوفة بطلب أهلها ذلك لما طردوا عاملهم سعيد بن العاص قال الشعبي انتهى العلم إلى ستة فذكره فيهم . وقال ابن المدينى : قضاة الامة أربعة عمر وعلى وأبو موسى وزيد بن ثابت . وقال الحسن البصرى فيه ما أتاها (يعنى البصرة) راكب خير لاهلها منه . فهؤلاء الوضاعون الكائدون للاسلام ورجاله مغفلون لا يحسنون وضع الاباطيل لانهم يأتون فيها بما يظهر بطلانها فى بادىء الفهم الصحيح لكل مسلم . وقد تقدم تقرير هذا فى القصص الموضوعة على أمير المؤمنين عمر فى عزله عماراً عن الكوفة بشكاية أهلها منه بغيا وتنقيصه له فى زعمهم وفى ضربه سعد بن أبي وقاص بالدرة فى زعمهم وعلى ابن عباس والمغيرة بن شعبة فى إشارة هذا على أمير المؤمنين على رضى الله عنه بابقاء عمال عثمان رضى الله عنهم .

الرابع : ذكر ابن جرير فى فاتحة هذه الاسطورة أن عمراً قال لابى موسى ألست تعلم أن معاوية وآله أولياء عثمان قال بلى، قال فان الله عز وجل قال ﴿ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصوراً ﴾ وكلاما كثيراً بعده فى استحقاق معاوية للخلافة فأجابه أبو موسى عن جله جوابا شافيا ولم يجبه عن احتجاجه بالآية ، وكأنه سلمه ، والاحتجاج بها على خلافة معاوية فاسد من أوجه كثيرة لاحاجة لذكرها كلها منها انه تعالى قال ﴿ فلا يسرف فى القتل انه كان منصوراً ﴾ فأى إسراف ونصر حصلا له فى فى جيش أمير المؤمنين وقد قتل من جيشه الطالب بدم عثمان البرىء منه خمسة وأربعون ألفا على أقل تقدير ، ومن جيش حيدرة خمسة وعشرون ألفا ، وأى إسراف ونصر حصلا له وقد أشرف على الهزيمة الكبرى ولولا المصاحف لهلك جل جيشه ، وجهل فادح ممن يحتج بها على ذلك فمحال صدوره من عمرو وهو من علماء الصحابة ومحال تسليمه لو صدر منه من أبي موسى الاعلم منه .

الخامس : ما نقصت هذه الخديعة لو صحت مما كان لأمير المؤمنين عند أتباعه شيئاً وما أفادت معاوية شيئاً جديداً زائداً عما كان له حتى يصح أن يقال فيها أن فلاناً داهية كادأمة من المسلمين بكيد مقدمها ومحكمها وغاية أمرها انها أشبه بعبث الأطفال لا تتجاوز العابث والمعبوث به وبرّأ الله تعالى أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا العبث .

السادس : لو صحت هذه الأسطورة لم يلزم منها غفلة أبي موسى ودهاء عمرو بل تدل على مدح أبي موسى بالصدق والوفاء بالوعد والعهد وهى من صفات الأخيار من بنى آدم فضلا عن المؤمنين فضلا عن الصحابة ووصم عمرو بالخيانة والكذب والغدر وهى من صفات الأشرار من بنى آدم وكان العرب فى جاهليتهم ينفرون منها أشد النفور ولا قيمة لمن اتصف بواحدة منها عندهم وقد ذم ورهب دين الاسلام مرتكبيها.وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال(ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه وينادى على رؤوس الخلائق هذه غدرة فلان بن فلان).

السابع : لا يخلو قول عمرو فيما زعموا عليه (وأثبت صاحبي معاوية) من أمرين الأول ثبته فى الخلافة كما كان أولا وهذا هو المتبادر من لفظ التثبيت وهو باطل قطعاً فانه لم يقل أحد ينتسب إلى الاسلام إن معاوية كان خليفة قبل التحكيم حتى يثبته حكمه فيها بعده ولم يدعها هو لا قبله ولا بعده ولم ينازع حيدرة فيها . الثانى ثبته على إمارة الشام كما كان قبل وهذا هو المتعين دراية وان لم يصح رواية وهو تحصيل الحاصل وأى دهاء امتاز به على أبي موسى فى تحصيل الحاصل وأى تغفيل يوصم به أبو موسى مع هذا العبث.فهل زاد به معاوية شيئاً جديداً لم يكن له من قبل وهل نقص به علياً عما كان له قبل .

الثامن : قال القاضى أبو بكر بن العربى فى القواصم والعواصم :- قد تحكم الناس فى التحكيم فقالوا فيه مالا يرضاه الله واذا لحظتموه بعين المروءة دون الديانة رأيتم أنها سخافة حمل على تسطيرها فى الكتب فى الأكثر عدم

الدين ، وفى الأقل جهل متين ، ثم قال وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أن أبا موسى كان أبله ضعيف الرأى مخدوعاً فى القول وان ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الامثال بدهائه تأكيداً لما أرادت من الفساد اتبع فى ذلك بعض الجهال بعضاً وصنفوا فيه حكايات وغيره من الصحابة كان احذق منه وأدهى وانما بنوا ذلك على أن عمراً لما غدر أبا موسى فى قصة التحكيم صارله الذكر فى الدهاء والمكر ، ثم ذكر الاسطورة باختصار ثم قال هذا كله كذب صراح ماجرى منه حرف قط وانما هو شىء أخبر عنه المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصى الله والبدع ، ثم ذكر أن الذى رواه الأئمة الثقات الاثبات كخليفة بن خياط والدارقطنى أنهما لما اجتمعا للنظر فى الأمر عزل عمرو معاوية اه ملخصاً .

قلت : وعلى هذا فقد اتفقا على عزلهما معاً علياً عن الخلافة ومعاوية عن امارة الشام لأنهما لم يجدا طريقا يلائمان به بينهما فى اجتهادهما إلا عزلهما ،لأن عليا لا يترك معاوية الذى عصب أهل الشام على محاربته بطلب ماليس لهم بل ولا له مع جميع أولياء عثمان طلبه أصلا إلا باقامة الدعوى والبينة عند السلطان على المقاتلين والمنع من بيعته وتنفيذ طاعته ، ومعاوية لا يبايع قبل تسليم الامام اليه قتلة عثمان الذين فى جيشه ليقتص منهم، ولا يصح فى نظرهما عزل أحدهما وإبقاء الآخر لأنه تحيز وترجيح بلا مرجح فلم يكن لهما بد من عزلهما معا فغاية أمرهما انهما رضى الله تعالى عنهما اجتهدا فاخطأ فى عزل على عن الخلافة ولا يصح عزله عنها بعد انعقادها له ولو اتفق معهما جميع الناس ، لأن الخلافة قد عينها ورتبها فى السابقين إلى الاسلام من قريش الفاروق أولا فى البدريين.ثم فى أهل أحد ثم فيمن بعدهم ممن أسلم قبل الفتح ولم يجعل فيها نصيبا لمسلمة الفتح الطلقاء .

قال الحافظ بن حجر فى فتحه فى باب الاستخلاف ج ١٣ مانصه :

أخرج ابن سعد من طريق عبد الرحمن بن أبزى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال (هذا الأمر فى أهل بدر مابقى منهم أحد.ثم فى أهل أحد ثم فى

كذا وليس فيها لطليق ولا لمسلمة الفتح شيء) قال ابن حجر وهذا مصير منه إلى اعتبار تقديم الافضل فى الخلافة . قال ابن بطال : أن عمر سلك فى هذا الامر مسلكا متوسطا خشية الفتنة فرأى الاستخلاف اضبط لأمر المسلمين فجعل الامر معقوداً موقوفا على الستة لئلا يترك الاقتداء بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم.وأبى بكر فأخذ من فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم طرفا وهو ترك التعيين ومن فعل أبى بكر طرفا وهو العقد لأحد الستة وان لم ينص عليه اه .

وقال الحافظ ابن حجر أيضا فى باب كيف يبايع الناس الامام من كتاب الأحكام فى الجزء نفسه : قال الطبرى لم يكن فى أهل الإسلام أحد له منزلة فى الدين والهجرة والسابقة والعقل والعلم والمعرفة بالسياسة ماللستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم ، فان قيل كان بعض هؤلاء الستة أفضل من بعض وكان رأى عمر أن الاحق بالخلافة أرضاهم ديناً وأنه لاتصح ولاية المفضول مع وجود الفاضل ، فالجواب أنه لو صرح بالافضل منهم لكان قد نص على استخلافه وهو قصد أن لا يتقلد العهدة فى ذلك فجعلها فى ستة متقاربين فى الفضل لانه يتحقق أنهم لايجتمعون على تولية المفضول ولايألون المسلمين نصحاً فى النظر والشورى وأن المفضول منهم لايتقدم على الفاضل ولا يتكلم فى منزلة وغيره أحق بها منه وعلم رضا الامة بمن رضى به الستة اه .

قلت فامامة على انعقدت له مرتين الاولى عقدها له الفاروق ورجال شوراه وأهل الحل والعقد بالمدينة قبل بيعة عثمان والثانية منهم ومن الامة الإسلامية بعد قتل عثمان ومن أجل ذلك قال علماء الاصول أن خلافته مجمع عليها فالفاروق عينه لها فى الستة الذين عينهم لها وهو واحد منهم وعينه لها أيضاً بالارشاد اليه ومدحه بقوله (لله درهم ان ولوها الاصيلع ليحملنهم على الجادة ولو كان السيف على رقبته) والاربعة من رجال الشورى عبد الرحمن وسعد وطلحة والزبير بتنازلهم عن حقهم فيها

له ولعثمان وأهل المدينة بتقديم وترجيح أكثرهم عثمان عليه فبعد موت عثمان صار له ماعقده هؤلاء الثلاثة قطعاً فبيعة المسلمين له بالإمامة بعد موت عثمان بيعة ثانية مؤكدة للأولى ولانه لم يصدر منه مايوجب خلعه وينافى استحقاقه الإمامة .

قال وقد أخرج البزار بسند جيد عن زيد بن وهب قال كنا عند حذيفة فقال كيف أنتم وقد خرج أهل دينكم يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف قالوا فما تأمرنا قال انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي فالزموها فانها على الحق اه .

الفتح جـ ١٣ كتاب الفتن وأصابا فى عزل معاوية عن امارة الشام لان عزله لايضر مصلحة المسلمين أصلا لوجود كثير من الصحابة ممن يصلح الامارة عليها ولايسقط حقه فى المطالبة بدم عثمان .

وقوله (فتنابزا) أى تشاتما مبنى على صحة القصة وقدأبطلتها بأن قال أبو موسى فى زعم الواضع لعمرو ، مالك لاوفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أوتتركه يلهث فقالله عمرو إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا ، وقد بنى العقاد فى عبقرية الإمام على صحة هذه الاسطورة غلطه فى فهم هـــذا التنابز المفتعل وأساء الادب فى حق الصحابيين الجليلين أبى موسى وعمرو فقال (كلب وحمار فيما حكما به على نفسيهما غاضبين وهما يقضيان على العالم بأسره ليرضى بما قضياه وانتهت المأساة بهذه المهزلة أو انتهت المهزلة بهذه المأساة) فأبو موسى لم يحكم على نفسه بأنه حمار ولم يحكم على عمرو بأنه كلب وعمرو لم يحكم على نفسه بأنه كلب ولم يحـــكم على أبى موسى بأنه حمار ، والكلام ظاهر فى التشبيه يفهمـــه كل من لاك اللسان العربى وأى مأساة لحقت أمـــير المؤمنين ومتبعيه لو صحت هذه الاسطورة وهذا واشباهه بمعزل عن تاريخ الإسلام ورجاله إنما يؤلفون فيه للمادة ، وليقال إنهم كتاب بارزون فقد قيل ذلك والصحابة رضوان الله تعالى عليهم بشر كغيرهم من

الناس ليسوا بمعصومين ولكنهم محفوظون خيرهم غالب على شرهم فيجوز صدور ماينافى الآداب الشرعية منهم قولا أو فعــلا ، ولكنهم سرعان مايؤوبون إلى الله ببركة صحبته عليه الصلاة والسلام والعجب من هؤلاء الكتاب البارزين يتجاهلون آلاف الشتائم الواقعة الآن فى البلاد المتمدنة فى مجالس النواب والبرلمانات من بعضهم لبعض فلا يعدونها ذنباً ويتشبثون بالأباطيل الموضوعة فى رجال الاسلام فيطعنون فيهم بها ، وقــد شعر المحاضر بفساد هـذه الاسطورة قليـلا فقال : (ويروى المسعودى أنهما لم يحصل منهما خطبة إلى آخر كلامه) قال أئمة الرواية فى المسعودى هذا إنه كان شيعياً معتزليا ولا حاجة إلى تتبع كلامه كله فى هـذه المسألة بعد البيان السابق .

المحاضرة الحادية والثلاثون

سؤال فاسد مبنى على باطل وتقويمه

قال فى ص : ٨١ ج ٢ - صفة على وأخلاقه - يخطر ببال من فحص تاريخ الخلفاء الراشدين وعلم تفاصيل أحوالهم هذا السؤال كيف دانت قريش لشيخين أولهما من بنى تيم بن مرة والثانى من بنى عدى وخضعت لهما الخضوع التام فسار القوم بقلب واحد فى سبيل نصرة الاسلام وعلو شأنه حتى إذا آلت لبنى عبد مناف ووليها إثنان منهم نغصت على أولهما حياته فى آخره ولم يصف الأمر لثانيهما فى جميع حياته بل كانت مدة اختلاف وفرقة مع ماهو معلوم من قرب بنى عبد مناف للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فهم عشيرته الادنون وسادة قريش فى جاهليتهم كما سادوا عليهم فى الآسلام ذلك الى ماامتاز به ثانيهما من المميزات الكبرى التى لم تجتمع فى غيره لابد لذلك من أسباب : أماما كان من أمر عثمان فقد بينا أسبابه فيما مضى وأماأمر على فانا سنجيب عنه الآن ببيان ما كان من خلق على وما كان من الظروف التى أحاطت به اه .

اقول : هذا السؤال الذى ذكره فى صفة علي واخلاقه وزعم انه يخطر ببال من فحص تاريخ الخلفاء الراشدين وعلم تفاصيل احوالهم (بكيف دانت قريش لأبى بكر وعمر وخضعت لهما الخضوع التام واختلفت على عثمان وعلى مع قربهما من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فنغصت على عثمان آخر حياته ولم يصف الامر لعلى مدة خلافته) فاسد مبنى على باطل ففساده كون قريش دانت للشيخين أبى بكر وعمر وخضعت لهما الخضوع التام واختلفت على الختنين عثمان وعلى والباطل المبنى عليه هذا الفاسد هو مازعمه فى المحاضرتين السابعة والعشرين والثامنة والعشرين تصريحاً وتلويحاً فى مواضع كثيرة منها من ان الفتنة الكبرى التى قامت فى العامة بالامصار الكبرى انما كانت بدسيسة أعلام قريش المتطلعين للخلافة وخاصة عليا وطلحة والزبير

وقد ابطلته فيهما بالبراهين مسهبا ، يخطر ببال أشباهه المحقبين دينهم وضمائرهم غيرهم فقط ولا يخطر ببال المسلمين الذين اطلعوا على تاريخ الخلفاء الراشدين الصحيح وعلموا تفاصيل احوالهم به فاستضاءوا به وبتاريخهم المقطوع به فى كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقريش جزء من المسلمين لهم مالهم وعليهم ماعليهم فالاختلاف على الخلفاء والجناية عليهم وعلى امرائهم انما كان من غيرهم ،وهذا فى التاريخ اوضح من الشمس ،فجعل محور خلافة المسلمين كلهم يدور عليهم فاذا دانوا له وخضعوا الخضوع التام ثبت واذا اختلفوا اختل فاسد ، وتقويم هذا السؤال ان يقال كيف دانت العرب لأبى بكر وعمر واختلفت على عثمان وعلى فنغصت على اولهما آخر حياته وكدرت على الثانى مدة خلافته وقد أجاب أمير المؤمنين على كرم الله وجهه من سأله هذا السؤال فقال له ياأمير المؤمنين كيف اختلف الناس على عثمان وعليك. ولم يختلفوا على ابى بكر وعمر فقال له رعية ابى بكر وعمر كانت مثلى ومثل عثمان وسعد وعبد الرحمن ، واما رعية عثمان ورعيتى فأشباهك ، وهو جواب بديع مسكت ، وشرحه ان العرب مادانت للشيخين لحسن سياستهما واختلفت على ابنى عبد مناف لضد ذلك ، وانما دانت للشيخين لان رعيتهما الذين كانت بيدهم أزمة الامور وقيادة الجيوش كلهم صحابة تربوا فى احضان النبوة فهذبتهم وخلصت شمائلهم من شنشنة الجاهلية ، وقد انقرض غالب هذه الطبقة المباركة فى آخر خلافة الفاروق رضى الله تعالى عنه ، وتغلب على من بقى منهم طبقة المخضرمين والاعراب المرتدين الذين ارجعهم الصديق الى الدين كرهاً بسيوف اولئك البررة ، وقد بدأ شر هذه الطبقة القولى فى صدر خلافة عمر فى وقعة القادسية وغيرها،والفعلى فى آخر خلافته من اهل الكوفة بكثرة شكاياتهم لامرائهم العادلين حتى اضجروه وحيروه فقال (اعجب لمائة الف من المسلمين لا يرضون عن امير ولا يرضى عنهم أمير ماذا اصنع لهم) وحتى دعا رضى الله تعالى عنه فى آخر حجة حجها فقال (اللهم قد كبر سنى ودق عظمى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير

مضيع ولا مفتون) وحتى قال عند موته (اوصى الخليفة من بعدى بأهل الكوفة ان يولى عليهم كل يوم اميراً ويعزل أميراً اذا طلبوا ذلك) وقد حققت هذا فى بحث الخلافة مطنباً واضطرنى لاعادته هنا مختصراً مضغه لهذا الهراء الذى لا يروج الا على البسطاء ، فلو مدت حياة امير المؤمنين عمر لاختلفوا عليه كما اختلفوا على عثمان وعلى لان فتنة العرب الكبرى على الخلفاء قد تهيأت ونضجت فى زمنه وتحققها فكان رضى الله تعالى عنه يرقع بحزمه ثوبها البالى بعزل أمرائه الابرار عنهم وتغاضيه عن حقوق اعراضهم المنهوشة بغياً لأنه باب الفتنة الذى اذا كسر انفتح لها بين المسلمين بالسيف ولا يغلق الى يوم القيامة كما فى حديث حذيفة ابن اليمان رضى الله تعالى عنهما فى الصحيح على أن قوله ان قريشاً دانت لعمر وخضعت له الخضوع التام مناقض لما نقله سابقاً فى المحاضرة السابعة والعشرين عن الشعبي انه قال (لم يمت عمر حتى ملته قريش) لحصره لهم فى المدينة ومنعهم من الخروج الى الأمصار فلما تولى عثمان إذن لهم فى ذلك فكان أحب اليهم من عمر و قد كتبت عليه هناك انه ان صح هذا المنع من الفاروق لهم يتعين حمله على من لا بصائر لهم فى الدين ولا صحبة من أحداثهم. وخلافة الصديق كلها مكابدة وتنغيص فما فرغ من إرجاع أهل الجزيرة إلى الاسلام وبدأت جيوشه فى فتح أطراف العراق والشام حتى جاءه أجله المحتوم وهو فى مكابدة شديدة وجهاد مستمر . وإن صفا الامر للفاروق فى أول خلافته نسبيا باخضاع الصديق له الجزيرة وتأسيس الفتح للدولتين فقد نغص عليه آخرها أهل الكوفة كما نغصوه على عثمان. فالعرب بارتدادهم عن الاسلام ورجوعهم إلى الجاهلية قد نغصوا على الصديق خلافته وتنغيصهم على حيدرة شبيه بتنغيصهم على الصديق وتنغيص أهل الكوفة منهم على الفاروق آخر حياته شبيه بتنغيصهم على عثمان آخر حياته وبهذا ظهر فساد قوله (نغصت على أولهما حياته فى آخره ولم يصف الامر لثانيهما فى جميع حياته) فأى صفاء حصل للشيخين رضى الله تعالى عنهما مع ما ذكر ، وفساد قوله أيضا (لا بد لذلك من أسباب أما ما كان من أمر

عثمان فقد بينا أسبابه فيما مضى وأما أمر على فانا سنجيب عنه الآن ببيان ما كان من خلق على وما كان من الظروف التى أحاطت به .) تبيينه عن عثمان هناك فاسد وقد أبطلته مع أسبابه بالبراهين ، وقد افترى افتراء مكشوفا فى قوله وأما أمر على فانا سنجيب عنه الآن إلى آخر الهراء ، فانه لم يأت بجواب عنه وإنما أتى بطعن محض كثير فيه كرم الله تعالى وجهه وجازى كل وغد ناصبي جزاء الافاكين يوم لا ينفع مال ولا بنون .

اخذه اخلاق على كرم الله وجهه من كتب الرافضة
ونسبته اليه أباطيلهم

قال فى ص ٨١ و٨٢ (كان على ممتازا بخصال قلما اجتمعت لغيره وهى الشجاعة ـ الفقه ـ الفصاحة ـ فأما الشجاعة فقد كان محله منها لا يجهل ، وقف المواقف المعهودة وخاض غمرات الموت لا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه وأول ما عرف من شجاعته بياته موضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الهجرة وهو يعلم أن قوماً يترصدونه حتى إذا خرج يقتلونه فلم يكن ذلك مما يضعف قلبه أو يؤثر فى نفسه ثم فى بدر وما بعدها من المشاهد كان علماً لا يخفى مكانه يبارز الأقران فلا يقفون له ويفرق الجماعات بشدة هجماته وقد آتاه الله من قوة العضل وثبات الجنان القسط الأوفر أغمد سيفه مدة أربع وعشرين سنة حتى إذا جاءت خلافته جرده على مخالفيه فعمل به الأفاعيل وكان الناس يهابون مواقفه ويخشون مبارزته لما يعلمون من شدة صولته وقوة ضربته ، وأما الفقه فلم يكن مقامه فيه بالمجهول صحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ صبوته وأخذ عنه القرآن وكان يكتب له مع ما أوتيه من ذكاء بنى عبد مناف ثم بنى هاشم ولم يزل معه إلى أن توفى عليه الصلاة والسلام كل هذا أكسبه قوة فى استنباط الأحكام الدينية فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان يستشيرونه فى الأحكام ويرجعون إلى رأيه إذا خالفهم فى بعض الأحيان وأكثر من عرف ذلك عنه عمر بن الخطاب .

(وأما الفصاحة فيعرف مقـــداره فيها من خطبه ، ومكاتباته التى جمع منها السيد المرتضى جملة عظيمة فى الكتاب الموسوم بنهج البلاغة وقد وصفه شارحه الاستاذ الشيخ محمد عبده بقوله : (كنت كلما انتقلت من موضع منه إلى موضع أحس بتغيير المشاهد وتحول المعاهـــد فتارة كنت أجدنى فى عالم يعمره من المعانى أرواح عالية فى حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية توحى اليها رشادها وتقوم منها مرادها وتنفر بها عن مداحض المزال الى جواد الفضل والكمال وطوراً كانت تنكشف لى الجمل عن وجوه باسرة وأنياب كاشرة وأرواح فى أشباه النمور ومخالب النسور وقد تحفزت للوثاب ثم انقضت للاختلاب فخلبت القلوب عن هواها وأخذت الخواطر دون مرعاها واغتالت فاسد الهواء وباطل الآراء . وأحيانا كنت أشهد ان عقلا نورانيا لا يشبه خلقا جسدانيا فصل عن الموكب الالهى واتصل بالروح الانسانى فخلعه من غاشيات الطبيعة وسمابه الى الملكوت الاعلى ونمى به الى مشهد النور الاجلى وسكن به الى جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس وآنات كأنى أسمع خطيب الحكمة ينادى باعلياء الكلمة وأولياء أمر الامة يعرفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع الارتياب ويحذرهم مزالق الاضطراب ويرشدهم إلى دقائق السياسة ويهديهم طرق الكياسة ويرتفع بهم الى منصات الرياسة ويصعدهم شرف التـــدبير ويشرف بهم على حسن المصير ، وقد جمع الكتاب من الحكمة شيئا كثير اهـ) .

أقول : الشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف ، واشجع الخلق كلهم وأنجدهم الرسول الاعظم محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال على رضى الله تعالى عنه كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أقربنا

إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وكان الشجاع من أصحابه هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه ، واشجع الناس كلهم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم بشهادة التاريخ المتواتر من الله تعالى لهم فى كتابه العزيز فى قوله ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ وفى قوله ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ ومن الامم الجبارة التى ثلوا عروشها واشجع أصحابه وأعلمهم بالله وأحزمهم وأثبتهم جاشا وأقواهم إيماناً أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه . عن محمد بن الحنفية عن أبيه على رضى الله تعالى عنه انه خطب فقال : من أشجع الناس ، فقالوا أنت ، فقال : اما انى ما بارزنى أحد إلا انتصفت منه ولكنه أبو بكر لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذته قريش فيجؤه هذا وهذا يتلقاه ويقولون له أنت تجعل الآلهة إلها واحداً ، فوالله مادنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول ويلكم أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ثم بكى على ثم قال أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر فسكت القوم ، فقال على : والله لساعة من أبى بكر خير منه. ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا يعلن بايمانه . وبقوة الايمان بزوا فرسان العرب والعجم فروسيتهم وغطى إقدامهم وبسالتهم على إقدام وبسالة حامى الظعينة حياً وميتا وملاعب الاسنة وابن ظالم وصياد الفوارس وأبى ثور .

قال القرطبى شارح صحيح مسلم فى على رضى الله تعالى عنه : له من العلم والشجاعة والحلم والكرم والزهد والورع وكرم الاخلاق مالا يسعه كتاب اهـ .

وقال الائمة احمد بن حنبل والنسائى والقاضى اسمعيل وأبو على النيسابورى لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلى من المناقب ولم يرد فى حق أحد منهم بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء فى على وتتبع الامام النسأى ما خص به من

دون الصحابة فجمع منه شيئا كثيرا بأسانيد اكثرها جياد وسماه خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب وهو مطبوع .

وقد ولد له الرافضة مناقب موضوعة هو غنى عنها . وقد ذكر ابن حجر الهيثمى فى كتابه الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة فى مناقب كل واحد من الخلفاء الأربعة أحاديث كثيرة انتقيت منها لهم فى كتابى (أتحاف ذوى النجابة بما فى القرآن والسنة من فضائل الصحابة) جملة وافرة وسرد ابن كثير فى بدايته فى فضائله أحاديث كثيرة واكتفى هنا بواحد وهو ماأخرجه الامام احمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعلى رضى الله تعالى عنه (أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك ياعلى على هذه « يعنى قرنه » حتى يبل منه هذه « يعنى لحيته » .) وقد روى هذا الحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة غير عمار على نفسه وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم رضى الله عنهم .

امثلة من شجاعة على رضى الله عنه

وشجاعة على متواترة تواتراً معنويا قال أسيد بن أبى اياس الكنانى رضى الله تعالى عنه قبل ان يسلم بعد بدر الكبرى يعير قريشاً بما فعل على فيهم :

في كل مجمع غاية أخزاكم ... صدع يفوق على المذاكى القرح
لله دركم الما تذكروا ... قد يذكر الحر الكريم ويستحى
هذا ابن فاطمة الذى أفناكم ... ذبحا وقتلا بعضه لم يرتح
أين الكهول وأين كل دعامة ... فى المعضلات واين زين الابطح

وكانت درعه رضى الله تعالى عنه صدرا لاظهر لها فقيل له ياأبا الحسن لم لا تجعل لها ظهرا فقال إذا مكنت عدوى من ظهرى فلا ابقى الله على .

(١) بياته في مكان النبي صلي الله تعالى عليه وسلم ليلة هجرته لما اتفقت قريش

على قتله وهو يعلم مايريدون . (٢) كانت قتلى قريش ببدر سبعين رجلا فكان لعلى وعمه حمزة ثلثها . (٣) خرج أبو سعد ابن أبى طلحة العبدرى يوم أحد وبيده لواء المشركين مبارزا وقال أنا قاصم أى داهية ، فخرج اليه على وهو يقول أنا أبو القصم فقتله . قال ابن هشام : نادى مناد يوم أحد لاسيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا على ، وذو الفقار سيف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ناوله صلى الله تعالى عليه وسلم لابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها لما رجعوا من أحد وقال اغسلى عنه الدم يابنية فوالله لقد صدقنى اليوم فناولها على سيفه أيضا وقال اغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة وقال حين غسلت فاطمة سيفه من الدم :

أفاطم هاءى السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بلئيم

(٤) قتله فى غزوة الخندق فارس قريش عمرو بن عبدود العامرى مبارزة مشهور، وقد طمسه المحاضر وتلون وتخبط فى التعبير عنه وقد تقدم تقويمه وشرحه فيها . (٥) قتله فارس خيبر مرحبا اليهودى مبارزة وقتل الزبير رضى الله تعالى عنه أخاه ياسراً مبارزة أيضاً . (٦) فتحه حصنها وتترسه بباب من أبوابه لم يستطع ثمانية من الصحابة قلبه مشهور . قال سلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبا بكر الصديق برايته إلى بعض حصون خيبر فقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جهد ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار. قال فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وهو أرمد فتفل فى عينه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك قال سلمة فخرج والله بها يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركزها فى رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع اليه يهودى من رأس الحصن فقال من أنت قال أنا على بن أبى طالب قال فقال اليهودى

علوتم وما أنزل على موسى فما رجع حتى فتح الله على يديه ، قال أبو رافع مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرجنا مع على بن أبي طالب حين بعثه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطاح ترسه من يده فتناول على بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ فلقد رأيتنى فى نفر سبعة معى أناثا منهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه اه .

وقد حذف المحاضر غزوة خيبر برمتها من محاضراته لأجله وتقدم التنبيه على ذلك فى محله .

(٧) ثباته يوم حنين مع من ثبت معه صلى الله تعالى عليه وسلم مقاتلا بين يديه . (٨) قال ابن كثير فى بدايته قد ذكر علماء التاريخ وغيرهم أن عليا رضى الله تعالى عنه بارز فى أيام صفين وقاتل وقتل خلقا حتى ذكر بعضهم أنه قتل خمسمائة فمن ذلك أن كريب بن الصباح قتل أربعة من أهل العراق مبارزة ثم وضعهم تحت قدميه ثم نادى هل من مبارز فبرز اليه على فتجاولا ساعة ثم ضربه على فقتله ثم قال هل من مبارز فبرز اليه الحارث ابن وداعة الحميرى فقتله ثم برز إليه رواد بن الحارث الكلاعى فقتله ثم برز اليه المطاع بن المطلب القيسى فقتله ثم تلا قوله تعالى ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ﴾ . (٩) لما انهزمت ميمنته رضى الله تعالى عنه بصفين قال زيد بن وهب الجهنى مر على معه بنوه نحو الميسرة وإنى لأرى النبل يمر بين عاتقه ومنكبه وما من بنيه أحد إلا يقيه بنفسه فيتقدم فيحول بين أهل الشام وبينه فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه أو من ورائه فبصر به أحمر مولى بنى أمية فقال ورب الكعبة قتلنى الله إن لم أقتلك أو تقتلنى فأقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولى على فاختلفا ضربتين فقتله أحمر فأخذ على بجيب درع أحمر فجذبه وحمله على عاتقه ثم ضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضديه ثم دنا منه أهل الشام فما زاده قربهم منه سرعة فقال له ابنه

الحسن ماضرك لو سعيت حتى تنتهى إلى هؤلاء القوم الذين صبروا من أصحابك فقال يا بنى ان لأبيك يوماً لا يعدوه ولا يبطىء به عنه السعى ولا يعجل به اليه المشى إن أباك والله لا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه .

مسائل من علم على كرم الله وجهه

تقدمت آثار كثيرة دالة على غزارة علمه واعتراف الصحابة والتابعين له بذلك وثنائهم عليه وفى مقدمتهم الفاروق وتقدم أيضا حديث (أنامدينة العلم وعلى بابها) وهذا الحديث رواه الطبرانى فى الكبير وأبو الشيخ فى السنة والحاكم فى المستدرك وصححه عن ابن عباس مرفوعاً وحكم عليه ابن الجوزى بالوضع ورد عليه الحافظ العلاءى رداً علمياً وقال الصواب ان الحديث حسن وبهذا أفتى الحافظ ابن حجر من سأله عنه فقال الصواب خلاف قولهما وان الحديث من قسم الحسن لايرتقى الى درجة الصحة ولا ينحط الى درجة الوضع .

فمنها (١) يروى انه لما بعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن حفر قوم زبية للأسد فوقع فيها فازدحم الناس على الزبية فوقع فيها رجل وتعلق بآخر وتعلق الآخر بآخر حتى صاروا أربعة فقتلهم الاسد وحمل القوم السلاح وكادوا يقتتلون فأتيتهم فقلت لهم أتقتلون مائتى رجل من اجل اربعة تعالوا أقض بينكم بقضاء فان رضيتم فهو قضاء بينكم وان أبيتموه رفعت ذلك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو احق بالقضاء. فجعل للاول ربع الدية وللثانى ثلثها وللثالث نصفها وللرابع الدية كاملة وجعل الديات على من حفر الزبية على قبائل الاربع فسخط بعضهم ورضى بعضهم ثم قدموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقصوا عليه القصة واخبروه بما قضى به على بينهم فأمضاه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتوضيحها ان هؤلاء الاربعة مقتولون خطأ بالتدافع على الحفرة من الحاضرين عليها فلهم الديات على من حفر على

وجه الخطأ فالاول مقتول بالمدافعة قاتل ثلاثة بالمجاذبة فله الدية بما قتل وعليه ثلاثة أرباع الدية للثلاثة الذين قتلهم ، والثانى له ثلث الدية وعليه الثلثان للذين قتلاها بالمجاذبة ، والثالث له نصف الدية وعليه نصفها لانه قتل واحداً بالمجاذبة فوقعت المحاصة وغرمت العواقل هذا التقدير بعد المقاصة .

(٢) اجابته من سأله وهو يخطب على المنبر عمن مات عن زوجة وبنتين وابوين ارتجالا . صار ثمنها تسعاً ومضى فى خطبته وتلقب هذه المسألة بالمنبرية .

(٣) جاءته امرأة تشكو قاضيه شريحاً فقالت ياأمير المؤمنين ان أخى مات وترك ستمائة دينار فلم يعطنى الا ديناراً واحداً فقال لها بديهة لعل أخاك ترك بنتين واماً وزوجة واثنى عشر أخاً معك فقالت نعم قال ذلك حقك ماظلمك وتلقب هذه بالدينارية الكبرى .

(٤) جلس رجلان يتغديان ومع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة وجلس اليهما ثالث واستأذنهما فى الأكل معهما فأكلوا كلهم ثم القى اليهما ثمانية دراهم وقال هذا عوض ماأكلت من طعامكما فتنازعا فى قسمتها فقال صاحب الخمسة لى خمسة ولك ثلاثة وقال صاحب الثلاثة بل نقسمها على السواء فترافعا الى على رضى الله تعالى عنه فقال لصاحب الثلاثة اقبل من صاحبك ماعرض عليك فابى وقال ماأريد الا مر الحق فقال له على لك فى مر الحق درهم واحد وله سبعة قال وكيف ذلك ياأمير المؤمنين قال لأن الثمانية أربعة وعشرون ثلثا لصاحب الخمسة خمسة عشر ولك تسعة وتحملون فى الأكل على السوية فأكلت ثمانية وبقى لك واحد وأكل صاحبك ثمانية وبقى له سبعة وأكل الثالث ثمانية سبعة لصاحبك وواحدا لك ، فقال رضيت الآن .

(٥) سئل عن مخرج الكسور التسعة النصف والثلث والربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر ، فقال على البديهة اضرب أيام أسبوعك فى أيام سنتك .

(٦) خاصم غلام من الانصار امه الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فجحدته فسأله البينة فلم تكن عنده وجاءت المرأة بنفر شهدوا أنها لم تتزوج وان الغلام كاذب عليها وقد قذفها فأمر عمر بضربه فلقيه على رضى الله تعالى عنه فسأل عن أمرهم فدعاهم ثم قعد فى مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسأل المرأة فجحدت فقال للغلام اجحدها كما جحدتك فقال ياابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها أمى قال اجحدها و أنا أبوك والحسن والحسين أخواك قال جحدتها وانكرتها فقال على لأولياء المرأة أمرى فى هذه المرأة جائز قالوا نعم وفينا أيضا ، فقال على أشهد من حضرأنى قد زوجت هذا الغلام منهذه المرأة الغريبةمنه ياقنبر ائتنى بطينة فيها دراهم فأتاه بها فعد أربعمائة وثمانين درهما فقذفها مهراً لها وقالللغلام خذ بيد امرأتك ولا تأتنا إلا وعليك أثر العرس فلما ولى قالت المرأةياأبا الحسن الله الله هو النار هو والله ابنى ، قال كيف ذلك ، قالت ان أباه كان زنجيا وان اخوتى زوجونى منه فحملت بهذا الغلام وخرج الرجل غازيا فقتل وبعثت بهذا الى حى بنى فلان فنشأ فيهم وانفت ان يكون ابنى فقال على أنا أبو الحسن والحقه وثبت نسبه .

(٧) دفع رجلان من قريش الىامرأة مائة دينار وديعةوقالا لاتدفعيها الى واحد منا دونصاحبه فلبثا حولا وجاء أحدهما فقال ان صاحبي قدمات فادفعي الى الدنانير فأبت وقالت انكما قلتما لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه فلست بدافعتها اليك فثقل عليها باهلها وجيرانها حتى دفعتها اليه ثم لبثت حولا آخر فجاء الآخر فقال ادفعى الى الدنانير فقالت ان صاحبك جاءنى فزعم انك قد مت فدفعتها اليه فاختصما الى عمر رضى الله تعالى عنه فاراد أن يقضى عليها فقالت ارفعنا إلى على بن أبي طالب فعرف على أنهما مكرا بها فقال أليس قلتما لاتدفعيها إلى واحد دون صاحبه قال بلى ، قال مالك عندها فاذهب فجيء بصاحبك حتى تدفعه اليكما .

(٨) أتى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه برجل أسود ومعه امرأة سوداء فقال يا أمير المؤمنين إنى أغرس غرساً أسود وهذه سوداء على ماترى فقد أتتنى بولد أحمر ، فقالت المرأة والله يا أمير المؤمنين ما خنته وانه لولده فبقى عمر لا يدرى ما يقول فسأل عن ذلك علياً ، فقال للأسود إن سألتك عن شىء أتصدقنى ، قال أجل والله ، قال هل واقعت امرأتك وهى حائض قال قد كان ذلك ، قال على الله أكبر إن النطفة إذا خلطت بالدم فخلق الله عز وجل منها خلقاً كان أحمر فلا تنكر ولدك فأنت جنيت على نفسك .

(٩) قال جعفر بن محمد أتى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه فلما لم يساعدها احتالت عليه فأخذت بيضة فألقت صفرتها وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها ثم جاءت إلى عمر رضى الله تعالى عنه صارخة فقالت هـذا الرجل غلبنى على نفسى وفضحنى فى أهلى وهـذا أثر فعاله فسأل عمر النساء فقلن له ان ببدنها وثوبها أثر المنى فهم بعقوبة الشاب فجعل يستغيث ويقول يا أمير المؤمنين تثبت فى أمرى فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها. فلقد راودتنى عن نفسى فاعتصمت ، فقال عمر يا أبا الحسن ما ترى فى أمرهما فنظر على إلى ما على الثوب ثم دعا بماء حار شديد الغليان فصب على الثوب فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه وذاقه فعرف طعم البيض وزجر المرأة فاعترفت .

(١٠) قال أصبغ بن نباتة إن شاباً شكى إلى على رضى الله تعالى عنه نفراً فقال إن هؤلاء خرجوا مع أبى فى سفر فعادوا ولم يعد أبى فسألتهم عنه فقالوا مات فسألتهم عن ماله فقالوا ما ترك شيئاً وكان معه مال كثير وترافعنا إلى شريح فاستحلفهم وخلى سبيلهم فدعا على بالشرط فوكل بكل رجل رجلين وأوصاهم أن لا يمكنوا بعضهم أن يدنوا من بعض ولا يمكنوا أحداً يكلمهم ودعا كاتبه ودعا أحدهم فقال أخبرنى عن أبى هـذا الفتى أى يوم خرج معكم وفى أى منزل نزلتم وكيف كان سيركم وبأى علة مات وكيف أصيب بماله وسأله عمن غسله ودفنه ومن تولى الصلاة عليـه وأين دفن

ونحو ذلك ، والكاتب يكتب فكبر على وكبر الحاضرون والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنوا أن صاحبهم قد أقر عليهم ، ثم دعا آخر بعد أن غيب الأول عن مجلسه فسأله كما سأل صاحبه ثم الآخر كذلك حتى عرف ما عند الجميع فوجد كل واحد منهم يخبر بضد ما أخبر به صاحبه ، ثم أمر برد الاول فقال يا عدو الله قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق ثم أمر به إلى السجن وكبر وكبر معه الحاضرون فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقر عليهم فدعا آخر منهم فهدده فقال يا أمير المؤمنين والله لقد كنت كارها لما صنعوا ثم دعا الجميع فاقروا بالقصة واستدعي الذى فى السجن وقيل له قد أقر أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق فاقر بكل ما أقر به القوم فاغرمهم المال وأقاد منهم بالقتيل .

(١١) أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بامرأة زنت فاقرت فامر برجمها فقال على رضى الله تعالى عنه لعل بها عذرا ثم قال لها ما حملك على الزنا قالت كان لى خليط وفى ابله ماء ولبن ولم يكن فى إبلى ماء ولبن فظمئت فاستسقيته فابى أن يسقينى حتى أعطيه نفسى فابيت عليه ثلاثا فلما ظمئت وظننت أن نفسى ستخرج أعطيته الذى أراد فسقانى فقال على الله أكبر ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾.

(١٢) كانت عند رجل يتيمة وكان للرجل امرأة وكان كثير الغيبة عن أهله فشبت اليتيمة فخافت المرأة أن يتزوجها زوجها فدعت نسوة أمسكنها لها فاخذت عذرتها باصبعها فلما قدم زوجها من غيبته رمتها المرأة بالفاحشة وأقامت البينة من جاراتها اللاتى ساعدنها على ذلك فسأل المرأة ألك شهود قالت نعم هؤلاء جاراتى يشهدن بما أقول فاحضرهن على وأحضر السيف وطرحه بين يديه وفرق بينهن فادخل كل امرأة بيتا فدعا امرأة الرجل فادارها بكل وجه فلم تزل على قولها فردها إلى البيت الذى كانت فيه ودعا باحدى الشهود وجثى على ركبتيه وقال قالت المرأة

ماقالت ورجعت الى الحق وأعطيتها الأمان وان لم تصدقينى لأفعلن ولأفعلن فقالت لا والله مافعلت إلا أنها رأت جمالا وهيبة فخافت فســاد زوجها فدعتنا وأمسكناها لها حتى افتضتها باصبعها ، فقال على الله أكبر أنا أول من فرق بين الشاهدين فألزم المرأة حد القذف والزم النسوة جميعاً العفو وأمر الرجل أن يطلق المرأة وزوجه اليتيمة وساق اليها المهر من عنده .

وصيته رضى الله تعالى عنه
لكميل بن زياد النخعى فى العلم

روى الحافظ ابو نعيم الاصبهانى فى كتابه حلية الأولياء فى ترجمته كرم الله وجهه بسنده الى كميل بن زياد انه قال أخذ على بن أبى طالب بيدى فاخرجنى الى ناحية الجبان فلما اسحرنا جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ ماأقول لك. الناس ثلاثة : فعالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل. والمال تنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها. العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته ، وجميل الاحدوثة بعد موته . وصنيعة المال تزول بزواله . مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون مابقى الدهر ، أعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب موجودة هاه ان ههنا ـ وأشار بيده إلى صدره ـ علما لو أصبت له حملة بلى أصبته لقنا غير مأمون عليه ، يستعمل آلة الدين للدنيا ، يستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على عباده أو منقادا لأهل الحق لابصيرة له فى إحيائه ، يقتدح الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة لا ذا ولا ذاك ، أو منهوما باللذات سلس القياد للشهوات أو مغرى بجمع الاموال والادخار ، وليسا من دعاة الدين أقرب شبها بهما الأنعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه ، اللهم بلى لاتخلو الأرض من قائم لله بحجة ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته أولئك هم

الاقلون عددا الاعظمون عنـد الله قدراً بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا مااستوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى أولئـك خلفاء الله فى بلاده ، ودعاته إلى دينه ، هاه هاه شوقاً إلى رؤيتهم واستغفر الله لى ولك إذا شئت فقم .

مدح محمد عبده لنهج البلاغة

الموضوع على حيدرة وتقليد المحاضر له

قد تحقق القراء مراراً ان المحاضر محقب دينه وضميره غيره لانه لم يكتب فى محاضراته من اولها الى آخر ما يتعلق بالصحابة الا الاباطيل وهواه . فقوله (واما الفصاحة فيعرف مقداره فيها من خطبه ومكاتباته التى جمع منها السيد المرتضى جملة عظيمة فى الكتاب الموسوم بنهج البلاغة) من جملة الاباطيل التى حشا بها مهاتراته .

وقوله (وقد وصفه شارحه الاستاذ الشيخ محمد عبده بقوله الى آخر الهراء) تقليد مفلس لمثله كما قلده وتغالى فيه وفى نهج البلاغة الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد المدرس بكلية اللغة العربية بالازهر قال فى مقدمة تعليقه عليه انه يعتقد ان محمد عبده كان مقتنعاً بان الكتاب كله للامام على رضى الله تعالى عنه وان لم يصرح بذلك ، وحتى إنه ليجعل مافى الكتاب حجة على معاجم اللغة واحتج على هذا بشىء من كلامه فى شرحه له وذكر هذا الكلام الذى ذكره الخضرى عنه فى مدحه له ونسب الكتاب للشريف الرضى وهو لاخيه المرتضى وقال ليس فيه من التعريض بسب الصحابة الا بمعاويه وطلحة والزبير وعمرو بن العاص ومن ذهب الى تأييدهم والدفاع عن سياستهم (وليس كذلك) واحتج على اثبات نسبته لحيدرة بالعدم فقال جازماً بانه من وضع حيدرة

(ليس من شك عند احد من ادباء هذا العصر ولا عند احد ممن تقدمهم فى ان اكثر ماتضمنه من كلام أمير المؤمنين على ثم قال ولكن بعض المعروفين من ادباء عصرنا يميلون الى ان بعض مافى الكتاب لم يصدر عن غير الشريف الرضى ثم قال وقد سبق الى التشكك فى شأن الكتاب واستبعاد نسبة جميع ما فيه الى الامام على القاضى ابن خلكان ثم قال ولعل ابن خلكان اول من اثار الشكوك فى قلوب الباحثين قال ثم جاء من بعده الصفدى وغيره من كتاب التراجم فتابعوه على ذلك وحينئذ قوى الشك وتمكن ، ثم قال ان أهم مايجده باحثو الآداب العربية فى هذا العصر من اسباب يدعمون بها القول بان الكتاب من صنع جامعه الشريف الرضى اربعة اسباب وسردها (وهى قوية) ثم قال ولسنا علم الله ممن يرى فى هذه الاسباب مجتمعة او منفردة دليلا او شبه دليل على ماذهب اليه انصار هذه الفكرة ، ثم أجاب عن الاسباب بأجوبة واهية .

نسبة نهج البلاغة لحيدرة

دعوى باطلة بعشرة اوجه

لجزمه بانه ليس من شك عند احد من ادباء هذا العصر ولا عند احد ممن تقدمهم فى ان اكثر ماتضمنه من كلام أمير المؤمنين على ،دعوى طويلة عريضة تحتاج فى تدعيمها الى اثبات ذلك عن كل واحد من ادباء العصر وعن كل واحد ممن تقدمهم من الادباء وقد نقضها باستدراكه وترجيه وبالصفدى وغيره من كتاب التراجم على أنها لو أثبتها عن جميع الأدباء المتقدمين والمتأخرين باطلة بعشرة أوجه .

الأول : عدم نقد العلماء الذين جاؤوا من بعد الشريف المرتضى إلى عصرنا لنهج البلاغة لا يكون حجة على صحة نسبته لحيدرة رضى الله تعالى عنه عند العقلاء .

الثانى عدم نقدهم له مفرع عن اطلاعهم كلهم عليه فى هذه القرون العديدة

وإقرارهم نسبته لعلى رضى الله تعالى عنه واطلاعهم كلهم عليه فى هذه القرون العديدة وإقرارهم له مستحيل عادة وإن جاز عقلا .

الثالث : اتفاقهم كلهم على صحة نسبته لحيدرة على فرض اطلاعهم عليه ليس بحجة أيضاً لأنه بلا أسانيد توصل مؤلفه بحيدرة .

الرابع : الخوارج والرافضة والمعتزلة أبعد أهل الاسلام عن الرواية وأجهلهم بها وأعـــداهم لها ولحملتها ، فالخوارج والرافضة لتضييقهم دين الاسلام وحصره فيهم بتكفير الخوارج لجل الصحابة ماعدا الشيخين وجماعة قليلة والأمة الاسلامية كلها والرافضة للصحـابة كلهم ما عدا علياً وأولاده والأمة الاسـلامية كلها والمعتزلة لجعلهم العقل أصلا والنقل فرعا تابعاً مؤكداً له ، لذلك يزدرون أهل السنة والجماعة ويلقبونهم بالحشوية وعليه فالخامس الشريف المرتضى ليس من أهل الرواية لأنه رافضى إمامى معتزلى بين وفاته ووفاة جده على بن أبى طالب أربعمائة سنة إلا أربعاً .

السادس : على تقـدير انه من أهلها بينه وبين حيدرة على أقل تقدير سبع طبقات من الرواة وقد حذفهم وقطع كتابه منهم .

وكل مالم يتصـــل بحـال إسناده منقطع الاوصال

فمجرد قوله فيه (من خطبة له عليه السـلام من كلام له عليه السلام) لايدل على مطلق نسبته لحيدرة ولو نسبة ضعيفة عند أهل الرواية فضلا عن كونها صحيحة .

السابع : لو فرض أن لكل ما يتعلق فيه بسب الصحابة والتعريض بهم سنداً متصلا بحيدرة لوجب البحث فيـه عن أحوال رجاله واحـداً واحداً على طريق فن الرواية .

(الثامن) إذا قطع النظر عن هـــذه الاوجه يكفى فى بطلانه أمران ظاهران. النيـل من أعراض سادات الصحابة الخلفاء الراشدين تصريحاً وتعريضاً والسجع المتكلف الظاهر التوليد الذى تنبو عنه فصاحة الصحابة والهاشميين ، ولقد كان من واجب إمامه محمد عبده عنـد المتغالين فيه فى كل

فن وخاصة فى اللغة والكتابة ألا يخفى عليه هذا السجع المصطنع الذى يجزم كل من له المام باللغة العربية بانه بعيد من فصاحة الصحابة السليقية ولأجله جزم الصفدى والأدباء العصريون الذين عبر عنهم الأستاذ محمد محي الدين بصيغة الابهام ، بأنه من وضع الشريف المرتضى فى قوله (ولكن بعض المعروفين من أدباء عصرنا يميلون إلى أن بعض مافى الكتاب من خطب ورسائل لم يصدر عن غير الشريف الرضى جامع الكتاب) وجل الكتاب خطب ورسائل فليست بعضاً كما قال .

(التاسع) : ليس السب تصريحاً وتلويحا وتعريضا والهمز واللمز من أخلاق عامة المؤمنين فضلا عن ساداتهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فضلا عن سادات الصحابة مثل حيدرة رضى الله تعالى عنه فصدور مافى نهج البلاغة من ذلك عنه مستحيل لأنه منابذ لما وصفه الله به مع جميع الصحابة فى كتابه العزيز من الأخلاق العالية ، وقد ثبت عنه كرم الله وجهه فى التاريخ القطعى والظنى احترامه لجميع الصحابة وخصوصاً الشيخين وقد نقلت منه شيئا كثيرا فيما مضى عن أئمة الرواية منه قوله كرم الله وجهه من فضلنى على أبى بكر وعمر جلدته حد الفرية وتفضيلهما مع عثمان على نفسه فى خطبة خطبها حضرها جم غفير من المسلمين ثبت ذلك عنه من طرق كثيرة عن ابنه محمد بن الحنفية وغيره يجزم من تتبعها بصدور ذلك عنه. قال الحافظ الذهبي وقد تواتر ذلك عنه فى خلافته وكرسى مملكته وبين الجم الغفير من شيعته ثم بسط الأسانيد الصحيحة فى ذلك قال ويقال رواه عن على نيف وثمانون نفساً وعدد منهم جماعة ، والرافضة واشباههم لما لم يمكنهم انكار صدور هذا القول منه لظهوره منه بحيث لا ينكره إلا جاهل بالآثار أومباهت قالوا انما قال على ذلك تقية وما أحسن ماأبطل به الباقر هذه التقية المشؤومة لما سئل عن الشيخين فقال انى أتولاهما فقيل له انهم يزعمون ان ذلك تقية فقال انما يخاف الاحياء ولا يخاف الأموات فعل الله بهشام بن عبد الملك كذا وكذا أخرجه الدارقطنى وغيره وهشام إذ ذاك خليفة فلم يخف منه وبعد هذا فكل مسلم

احكم عقيدته فى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بالاطلاع على شمائلهم الكريمة الواردة فى القرآن الكريم المستفيضة فى كتب السنة يجزم بأن أكثر ما فى نهج البلاغة أباطيل موضوعة على أمير المؤمنين كرم الله وجهه هو برىء منها

العاشر : قال الحافظ الذهبي فى ميزان الاعتدال على بن الحسين العلوى الحسينى المتوفى ٤٣٦ الشريف المرتضى المتكلم الرافضى المعتزلى وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة ، ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ففيه السب الصراح والحط على السيدين أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وفيه من التناقض والاشياء الركيكة والعبارات التى من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل اه ، وأيده الحافظ ابن حجر فى لسانه .

بعض الحكم من كلام امير المؤمنين

على كرم الله وجهه ورضى الله عنه

قد ذكر محب الدين الطبرى فى الرياض النضرة وابن كثير فى بدايته والسيوطى فى تاريخ الخلفاء وابن حجر فى الصواعق المحرقة كثيراً من أخبار سيرته العادلة وأحكامه العطرة وحكمه المنثورة ، فاما نظمه فقد أخرج الحافظ ابن عساكر عن الشعبي قال كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان على اشعر الثلاثة اه .

وأما حكمه المنثورة فكثيرة جداً منها :ـ

الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا . الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم . لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً . كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير ليس فى الطير شىء الا وهو يستضعفها ولو يعلم الطير ما فى اجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها. خالطوا الناس بالسنتكم واجسادكم وزايلوهم باعمالكم وقلوبكم فان للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من احب . الفقيه كل الفقيه من لم

يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى غيره. لا خير فى عبادة لا علم فيها ولا علم لا فهم معه ولا قراءة لا تدبر فيها. لا يخافن أحدمنكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحي من لا يعلم ان يتعلم ولا يستحي من يعلم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول الله أعلم. ما أبردها على كبدى إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم. التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين والعقل خير صاحب والأدب خير ميراث. ولا وحشة اشد من العجب، المرء مخبوء تحت لسانه؛ من عذب لسانه كثر اخوانه. بالبر يستعبد الحر. بشر مال البخيل بحادث او وارث. لا تنظر الذى قال وانظر الى ما قال. الجزع عند البلاء تمام المحنة. لا ظفر مع البغى. لا ثناء مع الكبر. لا صحة مع النهم والتخم. لا شرف مع سوء الادب. لا راحة مع الحسد. لا سؤدد مع الانتقام. لا صواب مع ترك المشورة. لا مروءة للكذوب. لا كرم اعز من التقى. لا شفيع انجح من التوبة. لا لباس أجمل من العافية. لا داء أعيي من الجهل. المرء عدو ماجهله. رحم الله أمرأ عرف قدره ولم يتعد طوره، إعادة الاعتذار تذكر بالذنب. النصح بين الملأ تقريع. نعمة الجاهل كروضة على مزبلة. الجزع أتعب من الصبر. المسؤول حر حتى يعد. أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة الحكمة ضالة المؤمن. البخل جامع لمساوى العيوب. إذا حلت المقادير ضلت التدابير. البخيل يستعجل الفقر ويعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء. لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه العلم يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع. العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم حاكم والمال محكوم عليه. قصم ظهرى عالم متهتك وجاهل متنسك هذا يفتى وينفر الناس بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه. أقل الناس قيمة أقلهم علماً إذ قيمة كل امرىء مايحسنه، وسئل عن السخاء فقال ماكان منه ابتداء فأما ماكان عن مسألة فحياء وتكرم. واثنى عليه رجل كان قد بلغه عنه شيء فقال له انى لست كما تقول وأنا فوق ما فى نفسك، وقال له

رجل كان يبغضه ثبتك الله فقال له رضى الله عنه على صدرك ،ولما ضربه ابن ملجم قال للحسن وقد دخل عليه باكياً يابنى احفظ عنى أربعاً وأربعاً قال وما هن يا أبت ، قال : ان أغنى الغنى العقل . وأكبر الفقر الحمق . وأوحش الوحشة العجب . وأكرم الكرم حسن الخلق . قال فالأربع الأخر قال: إياك ومصاحبة الأحمق.فأنه يريد أن ينفعك فيضرك. واياك ومصادقة الكذاب فأنه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب.واياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ماتكون اليه . واياك ومصادقه الفاجر فإنه يبيعك بالتافه . وقال له يهودى متى كان ربنا فتغير وجهه وقال لم يكن مكان ولا كينونة كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية انقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية فأسلم اليهودى . وقال له رجل أخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم لاتسلكه فقال أخبرنى عن القدر فقال بحر عميق لاتلجه ، فقال أخبرنى عن القدر.قال سر الله قد خفى عليك فلا تفتشه ، قال أخبرنى عن القدر . قال يا أيها السائل ان الله خلقك لما شاء أو لما شئت قال بل لما شاء ، قال فيستعملك لما شاء .

وبمناسبة جوابه كرم الله وجهه عن القدر،أذكر فيه أيضاً أجوبة نفيسة لبعض علماء التابعين .

(١) وقف ربيعة بن أبى عبد الرحمن أحد شيوخ الامام مالك على قوم يتذاكرون شأن القدر فقال لئن كنتم صادقين وأعوذ بالله أن تكونوا صادقين . لما فى أيديكم أعظم مما فى يدى.ربكم إن كان الخير والشر بأيديكم.

(٢) ووقف غيلان القدرى على ربيعة هذا فقال يا ربيعة أنت الذى تزعم أن الله عز وجل يحب أن يعصى . فقال ويلك يا غيلان أفأنت الذى تزعم أن الله عز وجل يعصى قسراً .

(٣) قال حماد بن زيد قلت لداود بن أبى هند ما قلت فى القدر قال أقول ما قال مطرف لم نوكل إلى القدر وإليه نصير .

(٤) وقال داود بن أبى هند أتيت الشام فلقينى غيلان القدرى فقال ياداوود إنى أريد أن أسألك عن مسائل ، قلت سلنى عن خمسين مسألة

وأسألك عن مسألتين ، قال سل يا داوود ، قلت أخبرنى ما أفضل ما أعطى ابن آدم قال العقل ، قلت فأخبرنى عن العقل أهو شيء مباح للناس من شاء أخذه ومن شاء تركه أو هو مقسوم بينهم قال فضى ولم يجبنى .

(٥) وقال إياس بن معاوية ماكلمت أحداً من أصحاب الاهواء بعقلى كله إلا القدرية فانى قلت لهم ، ما الظلم فيكم ، قالوا أن يأخذ الانسان ما ليس له ، قلت لهم فان لله عز وجل كل شيء ،

جل طعنه فى حيدرة رضى الله عنه

مستمد من أباطيل الرافضة

قال المحاضر فى ص ٨٣ و ٨٤ :(هذه الصفات العالية مع ما منحه من شرف القرابة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومصاهرته له ، جعلته يرى لنفسه فضلا على سائر قريش صغيرها وكبيرها شيخها وفتاها ويرى بذلك له الحق فى ولاية الأمر دونهم فقد قال لقد تقمصها فلان وهو يعلم ان محلى منها محل القطب من الرحى ينحدرعنى السيل ولا يرقى إلى الطير ، وقال فوالله ما زلت مدفوعا عن حق مستأثراً على منذ قبض الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يوم الناس هذا . وهناك طبيعة ثابتة فى الناس انهم لا يميلون إلى شخص يرى لنفسه التفوق ومزيد الفضل وانما يقرب إلى قلوبهم من يقول وليت عليكم ولست بخيركم ، جعله ما يرى لنفسه يقتنع ان الحق فيما يراه وافقه عليه غيره أم خالفه . ومن هذا شأنه لا يلجأ إلى الاستشارة فيما هو صانع وهذا شيء شديد لا تقبله أنفس الكبراء والأشياخ

(١) روى أنه لما بويع عتب عليه طلحة والزبير من ترك مشورتهما والاستعانة فى الأمور بهما . فقال لهما لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيفاً ألا تخبرانى أى شيء لكما فيه حق دفعتكما عنه.وأى قسم استاثرت عليكما به أم أى حق أرفعه الى أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته أم أخطات

بابه والله ما كانت لى فى الخلافة رغبة ولا فى الولاية اربة ولكنكم دعوتمونى اليها وحملتمونى عليها فلما أفضت الى نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته وما استسن النبى صلى الله عليه وسلم فاقتديته فلم أحتج فى ذلك الى رأيكما ولا رأى غيركما ولا وقع حكم جهلته فاستشيركما واخوانى المسلمين ولوكان ذاك لم أرغب عنكما ولا عن عن غيركما واما ماذكرتما من أمر الاسوة فان ذلك لم احكم أنا فيه برأيى ولا وليته هوى منى بل وجدت أنا وأنتما ماجاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد فرغ منه فلم احتج اليكما قد فرغ الله من قسمه وأمضى حكمه فليس لكما والله عندى ولا لغيركما فى هذا عتبى أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق والهمنا وإياكم الصبر ، وأى نفس تصبر على مثل هذا ، (٢) لما رفعت قضية عبيد الله بن عمر فى قتله الهرمزان إلى عثمان كان من رأى على قتله ولكن عثمان قضى بخلاف رأيه وحكم بالدية والتزمها فى ماله وهو خليفة قضاؤه محترم صواباً كان أم خطأ فلما آل الأمر إلى على كان يريد قتل عبيد الله بعد أن مضى على القضية تلك المدة الطويلة فلم يكن من عبيد الله إلا أن لحق بمعاوية وكان من قواده العظام بصفين . (٣) كانت لعثمان قطائع أقطعها الناس ولم يكن ذلك من رأى على فقال بعد خلافته والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فان فى العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق . (٤) بويع وولاة الامصار من علية قريش وذوى الرأى والدهاء فيها فأشار عليه مشيروه ان لا يعجل بنزعهم من أمصارهم حتى يتم أمره فلم يسمع لأحد قولا بل عجل بنزعهم وأظهر سوء الرأى فيهم حتى خيل اليهم انه لو ملك عليهم كانت مصيبة كبرى فناوؤوه وكانوا عليه يداً واحدة . (٥) أراد فى هذه الظروف ان يحمل الناس على مثل حد السيف مع ماسبق لهم من مضادة الخليفة وثقتهم فى أنفسهم انه لولاهم مابويع فلم يحتملوا ذلك له حتى قالوا ارض بالتحكيم وإلا فعلنا بك مافعلنا بعثمان . (٦) ولما ولى ابن عباس على البصرة نظر بعضهم الى بعض وقالوا قثم بن

العباس على الحجاز وعبيد الله بن العباس على اليمن وعبد الله بن العباس على البصرة ففيم قتلنا ابن عفان . (٧) وكانت سآمته منهم وسآمتهم منه تزداد كل يوم حتى لم يكن له على أنفسهم سلطان يدعوهم فلا يجيبون ويستصرخهم فلا يفزعون . وجيش خصمه قاده كبراء قريش وعظماؤها فأرهقوهم بالطاعة وملكوا قلوبهم بالرفق فلم يكن لهاتين الطائفتين توازن عند الخصومة (٨) كان معاوية يتساهل بعض الشيء لرؤوس أجناده ويفيض عليهم من العطاء ما يجعل رقابهم خاضعة له، وعلى يحاسبهم على النقير والقطمير فى وقت هو محتاج اليهم حتى كان شيء من ذلك سبباً فى تغير قلب ابن عباس عليه وفرقته له فترك البصرة وذهب إلى مكة . (٩) ليس شأن على فى ذلك شأن عمر فان عمر كان يشتد على عماله والأمة كلها معه ، واما على فكان معظم الأمة عليه فضلا عن أن كثيراً من التهم كانت تلصق بعماله من قوم يشون بهم كالحال فى قيس بن سعد وعبد الله بن عباس ، وعلى الجملة فان أكبر الاسباب فى عدم استقامة الأمر لعلى يرجع إلى عقيدته فى نفسه وثقته المتناهية بما يراه واستغنائه عن رأى الاشياخ من قريش وشدته عليهم شدة لم يعهد لها مايهون أمرها وعدم اعطائه الظروف التى كان فيها حقها من السياسة اه .

أقول : قد ترك وطرح صفات على كرم الله وجهه العالية الثابتة له ولجميع الصحابة فى كتاب الله الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فى ثنائه تعالى عليهم بمحبته لهم ومحبتهم له وذلتهم لاخوانهم المؤمنين وعزتهم على الكافرين ورضاه عنهم ورضاهم عنه واعداده لهم الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار وشدتهم على الكفار وتراحمهم بينهم الركع السجد المبتغون فضلا من الله تعالى ورضوانا المنعوتون أيضاً بهذه النعوت العالية فى التوراة والانجيل الصادقون ترك هذه الصفات الثابتة له فى التاريخ المقطوع به وعمى عنها ووصفه بضد ما وصفه الله به مستمداً ذلك من سخافات الرافضة. ترك وطرح صفاته العالية الثابتة له فى كتب السنة الصحاح والسنن والمسانيد

والمعاجم وعمى عنها وذهب يتعثر فى طلبها فى بهتان الرافضة ، تركها وطرحها وعمى عنها فى طبقات الصحابة كالاصابة وأسد الغابة والاستيعاب فلم يسمع بها ولم يقع بصره عليها إلا فى ترهات الرافضة، تركها وطرحها وعمى عنها فى كتب التاريخ المبذولة فلم يسمع بها ولم يقع بصره عليها إلا فى مفتريات الرافضة ، ترك وطرح ما وصفه به علماء الاسلام الاثبات من الصفات العالية فلم يسمع بها ولم يصل به علمه بتاريخه الا لأباطيل الرافضة ، ولا غرابة فى أخذه صفاته العالية من حماقاتهم وتركه أخذها من القرآن الكريم اذا كان يكذب صريحه بالتاويل الفاسد كما صنع فى حادثتى الفيل والاسراء ، ولا غرابة فى أخذه صفاته من كتب الرافضة الذين هم من أبعد الناس عن رواية الحق وتركه أخذها من كتب السنة الثابتة اذا كان ينكر دلائل النبوة الثابتة فيها فيقدم عليها هواه كما صنع فى قصة مجىء اسماعيل عليه السلام إلى مكة مع أمه وهو رضيع وهى خالية من السكان وفى حادثة الاسراء والمعراج وغيرها من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ولا غرابة فى أخذه صفاته من ترهات الرافضة وتركه أخذها من كتب السير اذا كان لا يثق برجالها ويثق بالاجانب كما صنع فى قصة بحيرا الراهب ، ولا غرابة فى ثقته واقتدائه بالرافضة فى أخذه صفاته عنهم وعدم ثقته واقتدائه بعلماء الاسلام الاثبات اذا كان لم يكتب فى تاريخ الصحابة الا الأباطيل وهواه ، وعلى هذا فالذى استفاده منهم فى وصف حيدرة كرم الله وجهه فكتبه فى هذا الهراء الطويل هو الكبر المتناهى والاعجاب المتناهى والاستبداد والطيش والشح وسوء الرأى والتدبير كل واحدة من هذه الخصال الذميمة كافية فى أذاه كرم الله وجهه أشد الاذى ومن آذاه فقد آذى رسول الله ومن آذى رسول الله فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه حديث صحيح اخرجه الترمذى وابن حبان عن عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه .

فقوله (هذه الصفات العالية التى جعلته يرى لنفسه فضلا على سائر

قريش صغيرها وكبيرها شيخها وفتاها الى قوله لقد تقمصا فلان) رمى له بالكبر والاعجاب والطيش .

وقوله فيه (ويرى بذلك له الحق فى ولاية الامر دونهم)رمى له بذلك ايضا وبالاستبداد وهو بهتان عليه ظاهر .

وقوله (فقد قال لقد تقمصها فلان وهو يعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير) كلام من الخطبة الثالثة فى نهج البلاغة المعروفة عندهم بالشقشقية أوله : أما والله لقد تقمصها فلان الخ الهراء ، والمتقمص بفتح الميم هو الخلافة والمتقمص لها بكسرها هو أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اقسم المفتعل للاسطورة بالله على أن أبا بكر أخذ الخلافة من حيدرة قهراً فشبه أخذها منه بمن لبس قميصاً اغتصبه من غيره بجامع التمكن فى كل ، ونتن الوضع والتدافع والفساد فى هذا الكلام ظاهر لكل من رزق عقلا سليما وفهما صحيحاً وبيانه فى عشرة أوجه:

الأول : الغطرسة والفخر المتناهيان فيه اللتان يستحيل صدورهما من على كرم الله وجهه فى حق أى مؤمن كان فضلا عن الصحابة رضوان الله عليهم فضلا عن الخلفاء الثلاثة الذين تواتر عنه اعترافه بفضلهم وثناؤه عليهم مرارا أمام الجم الغفير من الناس .

الثانى : السجع المتكلف فيه .

الثالث : سب الخلفاء الثلاثة رضى الله تعالى عنهم تعريضاً فى الصديق وتصريحاً فى الفاروق وذى النورين .

الرابع : إظهار الشجاعة الفائقة فى أوله.

الخامس : الخنوع والجبن الخالع فى أثنائه فقد قال بعد هذا : (فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحاً وطفقت ارتئى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجا أرى تراثى نهبا حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى

فلان بعده) . فهذا الكلام صريح فى التقية التى تدين بها الرافضة وتعتقد وتزعم أن الصحابة كلهم كفار لأنهم دفعوا الوصى كرم الله وجهه عن حقه الذى أوصى له به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونص عليه وهو الخلافة بعده وقد كذبهم على كرم الله وجهه فى الوصية والنص معا فى الحديث الصحيح لما سئل هل عندكم شىء من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوخصكم بشىء فقال ماخصنا بشىء دون الناس وما عندنا شىء إلا مافى هذه الصحيفة أوفهم يؤتاه رجل . فقيل له وما فى هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير ، والتقية يلجئون اليها إذا دمغتهم الأدلة وذلك ان الإمام عندهم إذا روى حديثا يوافق ماعليه الأمة الاسلامية أو عمل عملا مثلها يحمله الشيعة على أنه تقية منه ويجمعون فى عقيدتهم فيه كرم الله وجهه بين الضدين الشجاعة التى لا يلحقه فيها جميع البشر والجبن الخالع وهو التقية الممثلة فى هذا الكلام وهى رزية عند العقلاء لاتقية فقدكذبوا بها صريح القرآن وكابروا العقل لأن الله تعالى وصفه مع جميع الصحابة بالشدة والعزة على الكفار والذلة على المؤمنين والرحمة بينهم والصحابة كفار فى اعتقادهم لأنهم سلبوه حقه الواجب له دونهم فكان من الواجب عليه بمقتضى ماوصفه الله به من العزة والشدة على الكفار وما أوجبوه له من الحق وما تغالوا به له من الشجاعة جهاد هؤلاء الذين بزوه حقه حتى يبيدهم جميعاً ولا يسوغ له الذلة واللين ومن حماقاتهم أن الفاروق أحرق عليه باب داره وكتفه وضرب السيدة فاطمة حتى أسقطت جنيناً فى زعمهم لما امتنع من بيعة أبى بكر فعل به هذه الاهانة كلها عندهم من لا يدانيه فى الشجاعة وهو كافر فى رأيهم ومع ذلك خنع .

السادس : لافائدة فى هذا الكلام كله له ولا للناس بما وقع من الخلفاء الثلاثة وفات لأن رفع الواقع محال فهو عبث .

السابع : لافائدة فيه أيضا إلا مجرد الشكوى للناس وقدكان محل هذه الشكوى لهم حين تقمص الأول حقه ، على أن الخلق كلهم لو اجتمعوا على

نفع إنسان لم يرد الله نفعه لا يستطيعون ولو اجتمعوا على ضر إنسان لم يرد الله ضره لا يستطيعون فمحال صدور ما لا فائدة فيه من حيدرة كرم الله وجهه وهو من أكابر المؤمنين العارفين بالله .

الثامن : لا فائدة فيه أيضاً يحسن السكوت عليها من المتكلم والسامعين لأن جملة : وانه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى . فى محل نصب حالا ، أى تقمص خلافتى فى حال علمه بمنزلتى العالية : فتقمصه لها فى حال جهله بمنزلته العالية من باب أولى فهو من قبيل مفهوم الموافقة ، وهو مثل قول المغلوب المسلوب ماله للغالب الذى أخذ ماله وذهب ، أما والله لقد أهاننى وأخذ مالى ، وأنه ليعلم أنى أنا السيد الغطريف وابن ماء السماء . فهل يقول عاقل أن كلام هذا المغلوب المفتخر فى الخلاء فيه فائدة له ولمن يسمعه من الناس الذين لا يستطيعون إنقاذ ما ذهب به الغالب لو أدركوه فكيف به مع فوات وقته فمحال صدوره من على كرم الله وجهه .

التاسع : حيدرة رضى الله تعالى عنه من أكابر المؤمنين الراضين بالقضاء والقدر وقد قضى الله وقدر فى أزله ان الثلاثة يتولون الخلافة قبله وهذا الكلام صريح فى عدم رضاه بالقضاء والقدر فمحال صدوره منه .

العاشر : الرافضة على مذهب القدرية يعتقدون أن الشرور والقبائح لم يخلقها الله وإنما يخلقها العباد فى زعمهم ، وبيانه أن الثلاثة أخذوا حق على قهرا بتقمص الأول له وادلائه به للثانى واختيار الصحابة لعثمان على على ، ولا شك ان هذا شر عندهم لم يخلقه الله فصار الجميع لذلك عندهم كفارا . والقدرية مجوس هذه الأمة لأنهم زعموا ان الله تبارك وتعالى يخلق الخير فقط والعباد يخلقون الشر فقد جعلوا عباده جل وعلا شريكين له فى الخلق فأشبهوا المجوس لأن هؤلاء يقولون بإلهين إله الخير وهو النور وإله الشر وهو الظلمة وهذا الكلام جار على مذهبهم فمحال صدوره من على كرم الله وجهه .

ومن الحكايات الظريفة اجتماع معتزلى ومجوسى فحاور المعتزلى المجوسى فوجده أديباً لبيباً فقال له لم لا تسلم وأنت عقلك هذا وقد تحققت محاسن

الدين الاسلامى فقال المجوسي قد علمت ولكن لم يرد الله إسلامى فقال له المعتزلى كذبت أراد الله ذلك ولكن الشيطان صدك ، فقال المجوسى وماذا أصنع إذا كان الله أراد إسلامى والشيطان منعنى فأنا اذاً تابع للأقوى . فبهت القدرى ، والرافضة من أبعد الفرق المنتسبة إلى الإسلام عن سنة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واجهلهم بها واعداهم لها ولحملتها وقد بعدوا عن جادة الحق وضيقوا واسعاً وتحكموا برأيهم على المعطى المتفضل القادر فى زعمهم أن الصحابة حملة الشريعة قرآنا وسنة الينا كفروا كلهم إلا خمسة أو ستة ولا نستطيع أن نتصور كيف يؤمنون بالقرآن وهم يردون نصوصه الصريحة التى يتلونها أو لا يتلونها فى مدح الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كيف يؤمن بنصوص القرآن من يكذب بوعده تعالى لهم بالحسنى وباعداده لهم المنازل الرفيعة فى الجنة وبرضاه عنهم ورضاهم عنه ، كيف يؤمنون بسيد الرسل وخاتمهم محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم وبجميع ما أنزل عليه من كتاب الله ومما يجب عليهم الايمان به منه قوله تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ومما يجب عليهم الإيمان به منه قوله تعالى ﴿وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم﴾ وقد آتانا صلى الله تعالى عليه وسلم بمدح أصحابه والنهى عن سبهم وأذاهم وبين لنا ذلك بياناً شافياً فى سنته المستفيضة ، ومما آتانا وأمرنا به فيها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه (مروا أبا بكر فليصل بالناس) فامتثل الصحابة أمره وقالوا فى بيعته الا نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لديننا وفى مقدمتهم على كرم الله وجهه فردوا هذه السنة الصحيحة الصريحة وكفروا لأجلها الصحابة واختلقوا بعد القرون الخيرية بدهر أباطيل زعموا أنها روايات منها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلى بعده والصحابة كتموا ذلك ودفعوه عن حقه فعقيدتهم فيهم لا تخرج عن أمرين إما نسبة الجهل اليه تعالى وإما العبث وكلاهما مصيبة كبرى فى حقه تعالى وتنزه وتقدس عنهما فإن كان غير عالم بأنهم سيكفرون بعد وفاة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم

ومع ذلك أثنى عليهم ووعدهم الحسنى فهو جهل والجهل عليه تعالى محال ، وان كان عالماً بأنهم سيكفرون فوعده لهم بالحسنى ورضاه عنهم عبث والعبث فى حقه تعالى محال ولا خلاف بين كل من يؤمن بما أنزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وله عقل سليم أن نسبة الجهل والعبث اليه تعالى كفر بواح ويلزم على هذه العقيدة ان الله تعالى قد عكس قضية وعده ووعيده فأعد لأصحاب السعير النعيم المقيم ووعدهم الحسنى ورضى عنهم ، وأعد للمؤمنين الصالحين المجاهدين فيه حق جهاده المتراحمين بينهم الأشداء على الكفار الأذلة على المؤمنين الأعزة على الكافرين.العذاب الأليم فى دار عقابه لعصاة خلقه ، وكفى بمن يحمل هذه الحماقة بين جنبيه جهلا .

وقوله : (فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقى مستأثراً على منـــذ قبض الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يوم النـاس) هذا عجز الـكلام السـادس فى نهج البلاغة يأتى فى ابطاله جميع الاوجه السابقة فى الكلام الذى قبله ماعدا الاول وهو الغطرسة والفخر ومن هذين الكلامين ومن قوله (روى انه لما بويع عتب عليه طلحة والزبير الى اخر الهراء) اقتبس صفات حيدرة كرم الله وجهه ومنها ومنه استمد واستباح طعنه فيه فى جميع مهاتراته، وبشرح ومدح محمد عبده لهذه الاباطيل تمسك تمسك الغريق بالغريق، ولا غرابة فى كون محمد عبده يشرح ويمدح اباطيل نهج البلاغة اذا كان يتهجم على كتاب الله بالتأويل الفاسد النائى عن لغة الضاد التى نزل بها ويختلق الرويات ويطعن فى الاحاديث الصحيحة وقد تقدم تحقيقه فى تفسيره لسورة الفيل لأن هواه معيار الصحة والبطلان .

وقوله (وهناك طبيعة ثابتة فى الناس انهم لايميلون الى قوله روى انه لما بويع) فاسد مبنى على تلك الأباطيل رمى له بالكبر والاعجاب بالنفس والاستبداد والطيش الى اقصى حد وقد برأه الله وصانه وكذب كل وغد لا يؤمن بما وصفه الله به من الاخلاق فى كتابه العزيز .والطبيعة التى زعم انها

ثابتة فى الناس غير صحيحة فيهم كلهم، انما تكون فى البسطاء والعقلاء من الناس لا تغرهم المظاهر فلا يلزم عندهم من كون خليفة قال فى خطبته (وليت عليكم ولست بخيركم) وقد اثر هـذا عن الصديق رضى الله تعالى عنـه. وآخر لم يقل هذا الكلام ان يكون هذا الآخر معجباً بنفسه متكبراً الا فى فهم النواصب، ويلزم على هذه الطبيعة المزعومة فى الناس ان يكون الفاروق وذو النورين مثل حيدرة فى هذا البهتان الذى حاول به تلطيخ عرضه الشريف لانهما لم يقولا كما قال الصديق وليت عليكم الخ وهكذا كل خليفة وملك عادلين لم يقولا هذا الكلام ، وقد بنى وفرع أيضاً على تلك الأباطيل تسعة امور أولها من اساطير نهج البلاغة .

تفريعه على اباطيل الرافضة ايضاً

تسعة امور فى طعنه وردها مسهباً

فقوله (١) (روى انه لما بويع عتب عليه طلحة والزبير من ترك مشورتهما والاستعانة فى الامور بهما الى قوله لما رفعت قضية عبيد الله ابن عمر) كلام من ترهات نهج البلاغة مذكور فى الجزء الثانى منه ص ٢١٠ الطبعة الجديدة المعلق عليها الاستاذ محمد محي الدين ولا ادل على بطلانه وفساده من كونه صريحاً فى وصف على كرم الله وجهه بالكبر والاستبداد والاعجاب بالرأى وتوبيخ السيدين الجليلين طلحة والزبير والازدراء بهما وبجميع المؤمنين ووصمهما رضى الله تعالى عنهما بالشره الى الدنيا وحب الرياسة وقد برأ الله جميعهم من هذه الاوصاف الذميمة ورضى عنهم. فصدوره من على كرم الله وجهه محال ، ولعل رواة هذا الهراء الموضوع على حيدرة رضى الله تعالى عنه هم هيان بن بيان عن سايح بن رايح ...

وقوله (٢) لما رفعت قضية عبيد الله بن عمر الى عثمان الى قوله كانت لعثمان قطائع) باطل بثلاثة اوجه : الاول يقال له من قال ان عليا لما آلت الخلافة اليه اراد قتل عبيد الله بعد مضى مدة طويلة على قضيته. الثانى لو فرض

وجوده فى التاريخ لزم البحث عن صحته . الثالث لو صح فى التاريخ ان علياً اراد قتل عبيد الله لكان مصيباً فى ذلك من احد عشر وجهاً : الاول : ان ابن عمر هذا اعترض الناس بسيفه فى بلدة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسعى فيها بالفساد فقتل ثلاثة أنفس معصومى الدم مسلما وذميين ، احدهما بنت ابى لؤلؤة . الثانى صح عنه عليه الصلاة والسلام الوصية باهل الذمة . الثالث : صح فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام النهى عن قتل نساء الكفار وصبيانهم فى دار الحرب فكيف به اذا كان لصبية ذمية فى دار الاسلام . الرابع : ان سعد بن ابى وقاص أحد ستة الشورى رضى الله عنه كان يرى قتله كما رآه على . الخامس قول أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه لما جمع علماء الصحابة للمشاورة فى امره (أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الاســلام ما فتق) يؤيد رأى على وسعد فيه . السادس ليس رأى عثمان أولى بالصواب فى هذه القضية من رأى على وحده فكيف وقد انضم اليه رأى سعد . السابع : ليس لهؤلاء الذين قتلهم عبيدالله ولى خاص يطلب بدمائهم فحق المطالبة بها لجميع المسلمين لذلك سلمها عثمان من ماله ووضعها فى بيت مال المسلمين . الثامن : عبيد الله محارب ساع فى الارض بالفساد يستحق القتل عند عثمان لأجل ذلك لم يأخذ دياتهم منه بل دفعها من ماله إصلاحاً لهذا الفتق الذى فتقه عبيد الله فى الاسلام. التاسع مافعله عثمان ليس قضاء مبرما لا يقبل النقض ولو كان حكما مبرماً لقضى بدياتهم على عبيد الله لبيت مال المسلمين ثم بعد ذلك يتبرع بها عنه ان شاء له . العاشر لو كان ماصنعه عثمان حكماً مبرماً للزم احضار عبيد الله القاتل مجلس الحكم وتقريره على القتل واحضار الشهود على ذلك ولم يثبت ان عثمان رضى الله تعالى عنه صنع هذا فدل على أن فعله ذلك ليس حكماً . الحادى عشر : على تقدير كونه حكماً مضى المدة الطويلة عليه غير مانع من اقامة الحد عليه من الامام الذى يرى باجتهاده بطلان الحكم السابق ونظير هذه القضية إمارة خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه على الجيوش

فان عمر كان يراه فى ايام ابى بكر خطأ وراجعه فى عزله مراراً فلم يقبل منه فلما تولى هو عزله حالا،وبهذا تحقق ان قوله :ـ (وهو خليفة قضاؤه محترم صواباً كان أم خطأ) جهل فادح بالتاريخ والدين ، فان حكم الحاكم ان كان صواباً عنده لا يلزم ان يكون صواباً عند غيره وان كان خطأ لا يسوغ لحاكم اطلع عليه بعده اقراره اجماعا .

وقوله (فلم يكن من عبيد الله الا ان لحق بمعاوية وكان من قواده العظام بصفين) صحيح ولكنه لم يتمتع بعظمة القيادة الا قليلا ثم قتل ، ومقصوده من ذكر قصة عبيد الله رمى على كرم الله وجهه بسوء التدبير والاعجاب برأيه واستغنائه عن رأى الأشياخ الذين لا يوجدون الا فى مخيلته وشدته التى لا توجد أيضا إلا فى مخيلته عليهم شدة لم يعهد لها ما يهون أمرها عامله الله تعالى على هذا البهتان بما يستحق .

(٣) وقوله : (كانت لعثمان قطائع اقطعها الناس ولم يكن ذلك من رأى على فقال بعد خلافته الى قوله بويع وولاة الامصار) بهتان عظيم عليهما رضى الله عنهما لا أصل له ولا وجود له فى كتب التاريخ والطبقات وهو الكلام الرابع عشر من الجزء الأول من أباطيل نهج البلاغة والقصد من ذكره الطعن فيه رضى الله تعالى عنه باعجابه برأيه وتقديسه وعدم احترامه لرأى عثمان ، فلا قطائع ولا أناس أعطيت لهم ولا رأى لهما إلا فى مخيلة واضع الأباطيل .

(٤) وقوله : (بويع وولاة الأمصار من علية قريش وذوى الرأى والدهاء فيها) غير صحيح ، فوالى الكوفة أبو موسى الأشعرى وهو يمنى ووالى اليمن يعلى بن منية وهو تميمي حليف لبنى نوفل ، وقوله : (فأشار عليه مشيروه أن لا يعجل بنزعهم من أمصارهم حتى يتم أمره فلم يسمع لأحد قولا بل عجل بنزعهم) كذب مكشوف مكرر فى دفعتين الأولى فى قوله فأشار عليه مشيروه بلفظ الجمع وهى الأسطورة الموضوعة على المغيرة بن شعبة المتقدمة فى بيعته التى قال فيها ابن جرير أشار عليه المغيرة بن شعبة الخ

وابن الأثير قال نصحه ، وزاد هو فى باطلها عليهما نغمة وهى : وقد حذره عاقبة ذلك المغيرة ابن شعبة أولا وابن عباس ثانياً وزاد هنا فى بهتانها أيضاً بأن المشير عليه بذلك جماعة فلم يسمع لأحد منهم قولا بل عجل بنزعهم وقد تقدم أن العزل لعمال عثمان لم يتحقق إلا فى معاوية فقط،وابن أبى سرح عامل مصر لم يكن والياً عليها حين بويع على لأنه لما رجع من عند عثمان طرده عنها المتغلب عليها ابن أبى حذيفة فذهب إلى الرملة أو عسقلان فاقام بها حتى مات ، وابن عامر العبشمى والى البصرة ترك عمله قبل قتل عثمان رضى الله تعالى عنه وذهب الى مكة ، ويعلى بن منية والى اليمن ترك عمله بعد قتل عثمان وذهب بمال اليمن الى مكة وانضم الى طلحة والزبير وعائشة وجهز كثيراً من جيشهم بذلك المال . والأشعرى والى الكوفة أقره على عليها لما كتب له ببيعة أهلها وطاعتهم وقد تقدم هذا كله مفصلا واضطرنى هنا لاعادة الجواب عنه.اعادته الأكاذيب مستسمنا لها مضخما بها مهاتراته مبالغا فى التشنيع بها على الذى لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق كما فى صحيح مسلم وقوله . (وأظهر سوء الرأى فيهم الى قوله فناوؤوه) بهتان لا وجود له فى تاريخ المسلمين سيجازى عليه جزاء الباهتين . وقوله (فناوؤوه وكانوا عليه يداً واحدة) كذب مكشوف على التاريخ . أما ابن أبى سرح والى مصر فمات فى الصلاة فجأة بعسقلان سنة سبع وثلاثين ولم يحضر شيئاً ولم يبايع أحداً، وأما عبدالله بن عامر والى البصرة فقد حضر الجمل مع طلحة وعائشة ولم يحضر صفين وأما أبو موسى الأشعرى فمعروف مذهبه فى حرب المسلمين مع بعضهم بعضاً وهو القعود فلم يحضر مع أحد . وأما والى اليمن يعلى بن منية حليف بنى نوفل بن عبد مناف فقد حضر الجمل مع طلحة وعائشة وجهز كثيرا من جيشهما من المال الذى قدم به من اليمن وحضر صفين مع على رضى الله تعالى عنه وقتل بها وقيل عاش إلى خلافة معاوية ، وسعيد بن العاص الأموى كان واليا لعثمان فى آخر حياته على الكوفة فشكاه أهلها كعادتهم لعثمان فرده اليهم فطردوه وطلبوا من عثمان تولية أبى موسى الأشعرى عليهم فولاه ورجع سعيد

إلى المدينة فأقام بها ولم يحضر حروب الصحابة كلها فلم يبق من ولاة عثمان إلا معاوية فهو الذى حارب علياً بأهل الشام وبهذا ظهر افتراؤه على التاريخ وجهله به . وطعنه فيه بهذا الكلام بسوء التدبير وطيش الرأى والاستبداد ظاهر .

(٥) وقوله : (أراد فى هذه الظروف أن يحمل الناس على مثل حد السيف مع ماسبق لهم من مضادة الخليفة وثقتهم فى أنفسهم أنه لولاهم مابويع إلى قوله ولما ولى ابن عباس على البصرة ،) فاسد لايخلو من أمرين أحدهما أراد أن يحمل الناس على العسف والجور وهذا باطل لم يصدر من على ولم يقله مؤرخ ينتسب إلى الإسلام ، والثانى حمله رعيته على منهاج العدل وهذا هو المتواتر فى تاريخ الاسلام من سيرته العطرة وهل يعيبه بهذا عاقل ولو كان يعقل ويعلم سيرة الخلفاء الراشدين لعد هذا من مناقبه وأثنى عليه به كما أثنى عليه علماء الاسلام قاطبة اقتداء بالفاروق الذى أثنى عليه وأرشد اليه بقوله (لله درهم ان ولوها الا صيلع ليحملنهم على الجادة ولو كان السيف على رقبته) وسيرته العادلة وشمائله الفاضلة فى مصنفات علماء الاسلام أوضح من الشمس فمن ذلك قالوا كان عبيد الله بن الحر الجعفى من خيار قومه صلاحاً وفضلا واجتهاداً فلما قتل عثمان ووقعت الحرب بين على ومعاوية قصد معاوية لمحبته لعثمان فشهد معه صفين وأقام عنده وكانت له زوجة بالكوفة فلما طالت غيبته بالشام زوجها أخوها رجلا يقال له عكرمة بن الخبيص وبلغ ذلك عبيد الله فأقبل من الشام فخاصم عكرمة إلى على رضى الله عنه فقال له ظاهرت علينا عدونا فقال له أيمنعنى ذلك من عدلك قال لا ، فقص عليه قصته فرد عليه امرأته وكانت حبلى فوضعها عند من يثق به حتى وضعت فألحق الولد بعكرمة ودفع المرأة إلى عبيد الله فعاد إلى الشام فأقام به حتى قتل على رضى الله تعالى عنه .

ومنها قال الشعبى وجد على رضى الله تعالى عنه درعاً له عند نصرانى فأقبل به إلى قاضيه شريح وجلس إلى جانبه وقال لو كان خصمى مسلماً

لساويته وقال هذه درعي ، فقال النصرانى ماهى إلا درعى ولم يكذب أمير المؤمنين ، فقال شريح لعلى ألك بينة ، قال لا وهو يضحك فأخذ النصرانى الدرع ومشي يسيراً ثم عاد وقال أشهد أن هذه أحكام الأنبياء أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه يقضى عليه ثم أسلم واعترف أن الدرع سقطت من على عند مسيره إلى صفين ففرح على باسلامه ووهب له الدرع وفرساً وشهد معه قتال الخوارج وقال له جعدة بن هبيرة يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك فتقضى لهذا على ذاك فلهزه على وقال : إن هذا شيء لو كان لى فعلت ، ولكن إنما ذا شيء لله ، ولما لم يجد ما يركز به هذا البهتان إلا الذين يحن اليهم دائماً سلفه الخوارج مثل بهم واستشهد على سوء سيرته بهم وهم الذين طعنوا فى سيرة النبي الأمين صلى الله تعالى عليه وسلم بقول أحدهم (أرى قسمة ما أريد بها وجه الله) وقوله : (اعدل فانك لم تعدل) وهم الذين لما ارتدوا كنوا أبا بكر رضى الله تعالى عنه بأبى الفصيل احتقاراً له فلما أرجعتهم سيوف الحق إلى الاسلام صاغرين كمنت نارهم تحت ستاره، ثم ظهر وبيصها بعد وقعة القادسية فى أقوالهم:

إذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد   قالت قريش ألا تلك المقادير
فابنا وقد آمت نساء كثيرة   ونسوة سعد ليس فيهن ايم

وهم الذين أضجروا الفاروق بكثرة التشغيب عليه بشكايات عماله العادلين بغياً وأسسوا الفتنة الكبرى بالكوفة ضد الخلفاء الراشدين وهم الذين وسعوا اداً رتها فى الامصار الثلاثة الكوفة والبصرة ومصر وأججوا نارها على ذى النورين حتى قتلوه فالطعن فى سياسة على كرم الله وجهه والاستشهاد عليه بهؤلاء الأوغاد طعن فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وطعن فى الخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم.

(٦) وقوله (وثقتهم فى أنفسهم أنه لولاهم ما بويع) لون آخر من تخبطه وكذبه على التاريخ فى بيعته رضى الله تعالى عنه فقد تقدم فى بحث الخلافة

أنه قال (لما جاء دور على قام جماعة من أهل المدينة والثوار من الآفاق فبايعوه بالخلافة) بمن التبعيضية أى بايعه بعض من أهل المدينة والثوار فيقتضى هذا الكلام ان جل أهل المدينة لم يبايعوه ولا كل الثوار بايعه ثم نقضه بعده بقليل فقال (كأن أهل المدينة وحدهم هم الذين ينتهى اليهم أمر انتخاب الخلفاء وليس لغيرهم معهم رأى) وهذا يقتضى أنهم كلهم بايعوه لأنه صريح فى العموم بالاضافة وأل الجنسية ولا شك انه يناقض قوله (قام جماعة من أهل المدينة والثوار) الدال على البعض، وفى بيعته زعم أن الكلمة العليا فى المدينة كانت للثوار قال (كانت الكلمة العليا فى المدينة إذ ذاك بطبيعة الحال لهؤلاء العابثين الذين قتلوا الخليفة إلى آخر الهراء) وترقى هنا فى البهتان فزعم (أنه لولاهم مابويع) وقد تقدم إبطاله مفصلا، ويقال فى قوله (فلم يحتملوا ذلك له ـ أى الشدة المزعومة ـ حتى قالوا له ارض بالتحكيم وإلا فعلنا بك مافعلنا بعثمان) إن كان مراده بالذين لم يحتملوا سيرته العادلة جميع رعيته فهو بهتان كذبه الواقع والتاريخ المتواتر، وإن كان مراده بهم الخوارج كلاب النار فأى عاقل يجعل عدم احتمالهم عدله دليلا على سوء سيرته وقد كفروه. وكيف يتحمل عدل حيدرة من أبطرته النعمة فلم يحتمل عدل عمر فشغب عليه بعماله وكيف يحتمل عدل حيدرة من أبطرته النعمة فلم يحتمل عدل ذى النورين فشغب عليه حتى قتله وكيف لا يقولون لعلى ذلك وقد قال أحدهم وهو ذو الخويصرة أوحرقوص بن زهير للرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم (اعدل فانك لم تعدل) كيف لا يصرعهم الاعجاب فيرون أنفسهم على الحق وعلياً على الباطل وقد جوّروا الرسول الذى آمنوا به فى زعمهم وقالوا له ذلك القول القبيح ورأوا أنفسهم خيراً منه وأعدل كيف لا يقولون له ذلك وقد لقبوا ذا النورين بنعثل، كيف لا يصرعهم الاعجاب فيكفرون حيدرة ومن معه بعد التحكيم وقد كفروا عثمان قبله وجمهور الصحابة والأمة الاسلامية جمعاء حيث لم يوافقوهم على هواهم، وطعنه فيه بسوء السياسة والتدبير فى هذا الهراء ظاهر.

(٧) وقوله (ولما ولى ابن عباس على البصرة نظر بعضهم إلى بعض وقالوا قثم بن العباس على الحجاز وعبيد الله بن العباس على اليمن وعبد الله بن العباس على البصرة ففيم قتلنا ابن عفان) ، باطل لم أقف عليه وعلى تقدير وجوده وصحته فى التاريخ عنهم لا اعتبار له لأنه إذا كان المدار فى القيام بأمور الناس على كفاءة من أسند اليه الامام شيئاً من أمورهم فالأقارب والأجانب سيان فى ذلك عند من يعقل بل الأقارب أولى عند الامام الذى يلاحظ صلة الرحم ملاحظة خاصة كعثمان رضى الله تعالى عنه وقد تقدم هذا الجواب عنه فى توليته بعض أقاربه وطعنه فيه بهذا الهراء الملصق بالخوارج ظاهر ، وقوله ، (وكانت سآمته منهم وسآمتهم منه تزداد كل يوم إلى قوله وجيش خصمه) صحيح فى سآمته منهم ولم تصل إلى ما زعمه من أنها تزداد كل يوم وحتى انه لم يكن له على أنفسهم سلطان يدعوهم إلى آخر الهراء. فان وجد فيهم من لا ينصح له ومن يتثاقل عن طاعته فهو صحيح ولكن جمهورهم على الاستقامة له فالحكم عليهم كلهم بانهم سئموا امنه وان ذلك يزداد منهم كل يوم وحتى انه لم يكن له عليهم سلطان فاسد كذبه التاريخ ، قال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب الفتن ج ١٣ فى شرح قول الحسن البصرى رحمه الله لما سار الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما إلى معاوية بالكتائب ما نصه: فى رواية عبد الله بن محمد عن سفيان فى كتاب الصلح استقبل والله الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال ، ثم قال وأشار الحسن البصرى بهذه القصة إلى ما اتفق بعد قتل على رضى الله تعالى عنه وكان على لما انقضى أمر التحكيم ورجع إلى الكوفة تجهز لقتال أهل الشام مرة بعد أخرى فشغله الخوارج بالنهروان كما تقدم وذلك فى سنة ثمان وثلاثين ثم تجهز فى سنة تسع وثلاثين فلم يتهيأ ذلك لافتراق آراء أهل العراق عليه ثم وقع الجد منه فى ذلك فى سنة أربعين فأخرج اسحق من طريق عبدالعزيز بن سياه قال لما خرج الخوارج قام على فقال أتسيرون إلى الشام أو ترجعون إلى هؤلاء الذين خلفوكم فى

ديارکم قالوا بل نرجع اليهم فذكر قصة الخوارج قال: فرجع على إلى الكوفة فلما قتل واستخلف الحسن وصالح معاوية كتب إلى قيس بن سعد بن عبادة فرجع عن قتال معاوية ، وأخرج الطبرى بسند صحيح عن يونس بن يزيد عن الزهرى قال جعل على على مقدمة أهل العراق قيس بن سعد بن عبادة وكانو أربعين ألفاً بايعوه على الموت فقتل على فبايعوا الحسن ابن على بالخلافة ثم قال وأخرج الطبرى والطبرانى من طريق اسماعيل بن رشد قال بعث الحسن قيس بن سعد على مقدمته فى إثنى عشر ألفاً يعنى من الأربعين فسار قيس إلى جهة الشام وكان معاوية لما بلغه قتل على خرج فى عساكر من الشام وخرج الحسن بن على حتى نزل المدائن اه.

وبهذا تحقق انه لاصحة لما ذكره ابن جرير فى حوادث سنة أربعين بدون سند وقلده فيه ابن الأثير وابن كثير بصيغة (فيما ذكر) من وقوع الهدنة بين على ومعاوية فيها على وضع الحرب بينهما ويكون لعلى العراق ولمعاوية الشام فلا يدخل أحدهما على صاحبه فى عمله بجيش ولا غارة ولا غزو قال وكتب معاوية إلى على أما إذا شئت فلك العراق ولى الشام وتكف السيف عن هذه الامة ولا تهريق دماء المسلمين ففعل ذلك وتراضيا . والذى حمل المحاضر على هذا التعبير الفاسد قول ابن جرير فى حوادث سنة تسع وثلاثين ، (تفريق معاوية جيوشه فى أطراف على) وابن الاثير فيها (ذكر سرايا أهل الشام إلى بلاد أمير المؤمنين) ومن راجع التاريخ بامعان يجد تلك السرايا التى أرسلها معاوية رضى الله تعالى عنه شبيهة بالمختلس يهجمون على الغارين العزل فيسلبون الأموال ويقتلون ثم يفرون ولا يثبتون لرجال على ومن ثبت منهم قليلا انكسر وفر أيضاً وفى السنة التى قبلها أرسل معاوية عبدالله بن الحضرمى إلى البصرة ليدخلها تحت طاعته فأرسل على اليه جارية بن قدامة السعدى فقاتله فانهزم وانفض جمعه فتحصن فى قصر سنبيل فأحرق جارية القصر بمن فيه فهلك ابن الحضرمى وسبعون رجلا معه ، ولوجود بعض المتكاسلين عن طاعته والمبطنين له الغش فى جيشه

ورعيته كالأشعث بن قيس سمّ كرم الله وجهه من جميعهم.ذكر ابن كثير في بدايته عن يعقوب بن سفيان باسناده إلى أبي صالح الحنفي قال : رأيت على بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى انى لأرى ورقه يتقعقع قال ثم قال : اللهم إنهم منعونى أن أقوم فى الأمة بما فيه فأعطنى ثواب مافيه ثم قال : اللهم إنى قد مللتهم وملونى وأبغضتهم وأبغضونى وحملونى على غير طبيعتى وخلقى وأخلاق لم تكن تعرف لى.اللهم فأبدلنى بهم خيراً منهم وأبدلهم بى شراً منى ، اللهم أمت قلوبهم موت الملح فى الماء قال ابراهيم أحد رجال هذا السند (يعنى أهل الكوفة) وذكر ابن كثير أيضاً عن ابن أبى الدنيا بسنده إلى أبى عبد الرحمن السلمى قال قال الحسن ابن على قال لى على أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سنح لى الليلة فى منامى فقلت يارسول الله مالقيت من أمتك من الاود واللدد قال : ادع عليهم ، فقلت اللهم أبدلنى بهم من هو خير لى منهم وأبدلهم بى من هو شر منى ، فخرج فضربه ابن ملجم ،وسآمته رضىالله تعالى عنه من أهل الكوفة شبيهة بسآمة وضجر الفاروق منهم ودعائه بأن يقبضه الله غير مضيع ولا مفتون وقد تقدمت .

وقوله (وجيش خصمه قاده كبراء قريش وعظماؤها فأرهقوهم بالطاعة وملكوا قلوبهم بالرفق) كذب على التاريخ فلم يكن جميع قواد جيش معاوية من قريش ، وتهويش أجوف يقابل بمثله فيقال جيش على قاده كبراء قريش وعظماؤها أيضاً ،وكان جل قواد جيش معاوية من غيرهم والذين معه من قواد قريش فى صفين خمسة عبيد الله بن عمر ولد فى العهد النبوى .وحبيب ابن مسلمةوالضحاك بن قيس الفهريان من بنى محارب بن فهر وقد اختلف فى صحبتهما.وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ولد بعده عليهالصلاة والسلام وعمرو بن العاص وهو أسنهم وأجلهم أسلم قبل الفتح ، كما كان جل قواد جيش على بها من غيرهم والذين معه منهم خمسة أيضاً : عبد الله بن عباس وهاشم بن عتبة بن أبى وقاص الملقب بالمرقال. وأبو ليلى بن الجراح بن

أخي أبي عبيدة . وجعدة بن هبيرة والمهاجر بن خالد بن الوليد المخزوميان ولو قيل له ولكل متشبع بما لم يعط أنسب هؤلاء الكبراء العظماء الذين رجحت بهم كفة معاوية على كفة على عندك إلى بطونهم وبين الوجه الذى صيرهم كبراء عظماء أهو السبق إلى الاسلام والجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو الجهاد والقيام بالأعمال الجليلة فى خلافة الشيخين لم يكن جوابه الا (جيش معاوية قاده كبراء قريش وعظماؤها) فان كان وجود الكبراء والعظماء من قريش فى جيش معاوية مرجحاً له على على فوجودهم أيضاً فى جيش على مرجح له على معاوية ، ويلزم على هذه النظرية الفاسدة انتصار كل جيش فيه قرشيون كبراء عظماء على جيش ليس فيه منهم أحد وانتصار جيش كله قرشيون على جيش هم فيه أقلية ، وعليها كان اللازم انتصار قريش ببدر الكبرى وهم ألف خلص أوفر عدداً وأقوى عدة على جيش النبي صلى الله تعالى عليه وسلم البالغ فى العدد ثلثهم وجله من الأنصار فلو كانت قريش كلها مع معاوية ماضر ذلك علياً شيئاً لان عزتها وعظمتها بالاسلام وهى به جزء من المسلمين ، ولولم يكن مع على إلا أنصار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لكفاه ذلك عن جميع الناس ، ولم يكن مع معاوية منهم إلا رجلان من صغارهم سناً . مسلمة بن مخلد، والنعمان بن بشير، وقد كان مع على تسعون بدرياً وسبعمائة من أهل بيعة الرضوان وأربعمائة من سائر المهاجرين والانصار ، ولم يكن مع معاوية من مشهورى الصحابة غير عقبة بن عامر الجهنى وعمرو بن العاص وابنه عبد الله حضرها كارهاً طاعة لابيه وكان ممن سمع حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى عمار (عمار تقتله الفئة الباغية) قال الحافظ بن عبد البر في الاستيعاب ، اعتذر رضى الله تعالى عنه من شهوده صفين وانه انما شهدها لعزمة أبيه عليه فى ذلك وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له (أطع أباك) ، وكان يقول مالى ولقتال المسلمين والله لوددت انى مت قبل هذا بعشر سنين ثم يقول أما والله ماضربت فيها بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم ولوددت

انى لم أحضر شيئاً منها واستغفر الله عز وجل من ذلك وأتوب اليه إلا أنه ذكر أن الراية كانت بيده يومئذ فندم ندامة شديدة على قتاله مع معاوية وجعل يستغفر الله ويتوب اليه اه .

ولكن قد تحققنا من مهاتراته أن صحبة الرسول ونصرته والجهاد معه والسبق إلى الاسلام لاقيمة لها عنده ، وقد أرسل معاوية فى سنة أربعين بسر بن أرطاة من بنى عامر بن لؤى فى ثلاثة آلاف إلى الحجاز واليمن ليدخلهما فى طاعته ففعل أفعالا وحشية قتل الصبيان وسبي النساء فبلغ خبره عليا فأرسل جارية بن قدامة السعدى فى ألفين ووهب بن مسعود فى ألفين فسار جارية حتى أتى نجران فقتل بها ناساً من شيعة عثمان وهرب بسر وأصحابه منه واتبعه جارية إلى مكة فقال لأهلها بايعوا أمير المؤمنين فقالوا قد مات فلمن نبايع قال لمن بايع له أصحاب على فبايعوه خوفاً منه ثم سار حتى أتى المدينة فقال لأهلها بايعوا الحسن بن على فبايعوه وأقام بها يوماً ثم رجع إلى الكوفة ، وقد قتل بسر صبيين لعبيد الله بن العباس فلما سمع أمير المؤمنين بقتلهما جزع جزعاً شديداً ودعا على بسر ففقد عقله فكان يهذى بالسيف ويطالبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فيضربه ولم يزل كذلك حتى مات ، وأهل الشام يقولون إن له صحبة ، قال امام الجرح والتعديل يحي بن معين لا تصح له صحبة وهو رجل سوء فتحقق بهذا فساد هذا الكلام وفساد قوله أيضاً (فلم يكن لهاتين الطائفتين توازن عند الخصومة) وطعنه فيه بضعف الرأى وسوء السياسة فيه ظاهر .

(٨) ويقال فى قوله (كان معاوية يتساهل بعض الشىء لرؤس أجناده ويفيض عليهم من العطاء مايجعل رقابهم خاضعة له) إن كان هذا العطاء من الجود بماله الخاص فعلى أسخى منه وإن كان هذا التساهل من العدل فعلى عنده منه أضعاف ماعند معاوية وإن كان من المداراة من نمط مايعطى لمن يغضب بالنهار ويرضى بالليل فليس عند على . قالوا كان مالك بن هبيرة السكونى الكندى من كبار قواد معاوية فى صفين ولما أرسل زياد بن أبيه

حجر بن عـــدى الكندى وأصحابه إلى معاوية وكتب فيهم بأنهم خلعوا طاعتك وأرادوا الفتنة ووضع فى الكتاب شهادة بعض أهل الكوفة وشفع فى نصفهم كبار أصحاب معاوية لقرابتهم لهم قام مالك بن هبيرة هذا وشفع فى حجر بن عدى فقال ياأمير المؤمنين هب لى ابن عمى فلم يشفعه فغضب مالك وخرج فى قومه إلى المكان الذى فيه حجر وأصحابه وهو مرج عذراء ليستنقذه كرهاً ممن يريدون قتله بأمر معاوية فوجدهم قد فرغوا منه فرجع إلى بيته وجلس فيه فلما جاء الليل أرسل له معاوية مائة ألف فرضى وأصبح ذاهبا إلى مجلسه .

وقوله (وعلى يحاسبهم على النقير والقطمير فى وقت هو محتاج اليهم) جهل فادح فى الطعن فيه وفى الخلفاء قبله بل فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كانوا يحاسبون عمالهم فان كانت محاسبته لعماله طعناً فيه عنده لأنها دالة على شحه فهو مقتد بهم وبالرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم فالطعن فيه بها طعن فيهم ووصمه بالشح وصم لهم لا محالة . وقوله (على النقير والقطمير) مبالغة فى البهتان المكذب له تاريخ الاسلام والخلفاء كانوا يحاسبون عمالهم وأشهرهم فى ذلك الفاروق ، وقد زعم سابقاً فى مناقبه انه كان يشاطر عماله أموالهم وهل هذا إلا من المحاسبة لهم وقد صح فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه بعث رجلا من الأزد عاملا على الصدقة فلما قدم حاسبه فقال هذا لكم وهذا اهدى لى فخطب عليه الصلاة والسلام فقال (أيها الناس ما بال الرجل منكم نرسله على مال الله فيأتى فيقول هذا لكم وهذا اهدى لى ألا جلس فى بيت أمه حتى يعلم هل يهدى له) وبهذا تحقق انه جاهل بتاريخ الاسلام جهلا مكعباً وأن بغض على أصمه وأعماه وجعله يتخبط فى دياجير جهله وهواه وهل يصم عاقل بالشح من لم ين فى خلافته لبنة على لبنـة وهل يصم عاقل بالشـح من كان يكنس بيت المـال ثم يصلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة انه لم يحبس فيه المال عن المسلمين وهل يصم عاقل بالشح من شهد له الخليفة الأموى

العادل عمر بن عبد العزيز بأنه أزهد الناس فى الدنيا قالوا تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائلون فلان ، وقال قائلون فلان ، فقال عمر ابن عبد العزيز : ازهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب.

وقوله (حتى كان شىء من ذلك سبباً فى تغير قلب ابن عباس عليه وفرقته له فترك البصرة وذهب إلى مكة) ، غير صحيح وإن صححه ابن الأثير فى كامله ، وقد جزم الحافظ ابن حجر فى ترجمته فى الاصابة بأنه لم يزل والياً على البصرة حتى قتل على فاستخلف عليها عبد الله بن الحارث ومضى إلى الحجاز وكذلك ابن كثير فى بدايته قال لم يزل عليها حتى مات على وحكى هذا الذى صححه ابن الأثير بصيغة التمريض وقد قلد ابن الأثير فى تصحيحه عزله رواية باطلة فى ابن جرير ملخصها أن ابن عباس أساء إلى أبى الأسود الدؤلى فكتب هذا فيه إلى أمير المؤمنين على ناصحا له ، بأن ابن عباس أكل ما تحت يديه بغير علمك ولم يسعنى كتمانك ، وان ابن عباس لما خرج من البصرة بعد عزله استدعى أخواله بنى هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلها فحمل مالا وقال هذه أرزاقنا اجتمعت فتبعه أهل البصرة فلحقوه بالطف يريدون أخذ المال منه فقالت قيس والله لا يوصل اليه وفينا عين تطرف ، فقال رئيس الأزد صبرة بن شيمان لقومه ان قيساً أخواننا وجيراننا وأعواننا على العدو وإن الذى يصيبكم من هذا المال لقليل وهم لكم خير من المال فأطاعوه وانصرفوا وانصرفت معهم ربيعة وقاتلهم بنو تميم فحجز بينهم المنصرفون ومضى إلى مكة اه.

أقول : أين المحاسبة على النقير والقطمير فى هذه الأسطورة التى استشهد بها على اتصاف حيدرة بالشح افتراء ، فلو صح عزل ابن عباس عن البصرة وخروجه منها على هذه الصفة المزرية من أخذه المال واحتمائه بأخواله للذهاب به معه إلى الحجاز وخروج أهل البصرة وراءه لانتزاعه منه ومقاتلة بعضهم لأخواله عليه . لكان طعناً فى ابن عباس وحده حتى لو كان المال له حقاً ،ولو صحت هذه الأسطورة لكانت منقبة لعلى كرم الله وجهه دلت

على عدله ونزاهته وعدم محاباته لقرابته ووقوفه مع الحق ولو عقل ولم يغط داء النصب على قلبه ولم تطمس بصيرته لعدها من مناقبه لكنها باطلة سنداً فقدرواها ابن جرير عن عمر بن شبةقال حدثنى جماعة عن أبى مخنف عن سليمان بن راشد عن عبدالرحمن بن عبيد أبى الكنود قال مر عبد الله ابن عباس على أبى الأسود الدؤلى إلى آخر الأسطورة ، فعمر بن شبة وان كان ثقة عند الدار قطنى فإخباره عن جماعة غير معينين يقدح فيه لانه يحوج المحص لها على فن الرواية إلى البحث عن أحوال هؤلاء المبهمين واحداً واحداً لوسماهم وقد أبهمهم فلا سبيل إذاً للبحث عنهم وإخبار هؤلاء المبهمين على فرض تعيينهم وعدالتهم عن أبى مخنف لوط بن يحيى الهالك عند جميع أئمة الرواية برهان على بطلانها ولا يرفعها روايته لها عن سليمان بن راشد إن كان المصرى الثقة عند ابن حبان وإن كان غيره فهو مجهول وعبد الرحمن بن عبيد أبو الكنود اس الاسطورة مجهول أيضاً ، وطعنه بهذا البهتان فى حيدرة بالشح وسوء التدبير ظاهر .

(٩) وفرقه بين عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما فى الشدة التى لطخهما بها فى قوله (ليس شأن على فى ذلك شأن عمر فان عمر كان يشتد على عماله والأمة كلها معه) . من المضحكات فاسد بثلاثة أوجه :

الأول عمر عاجز عن عماله . فلا يستطيع أن يشتد على واحد منهم إلا إذا كانت الأمة كلها معه تساعده على ذلك والطعن فيه على هذا الوجه بالخور وضعف الرأى والسياسة وفى الخليفة أبى بكر رضى الله تعالى عنه الذى استخلفه من بعده على المسلمين وهو فى أقصى غاية من العجز ولا يخلو استخلافه له من أمرين إما أن يكون عالماً بعجزه ومع ذلك استخلفه عليهم وعليه فقد غش المسلمين باستخلافه عليهم من لا يصلح للخلافة وحاشا كل مؤمن تقى من غش إخوانه المسلمين فضلا عن الصديق الأكبر ، وإما أن يكون جاهلا عجزه ومع ذلك ولاه عليهم وهذا أيضاً غش لهم لا يصح وقوعه منه ولا يسوغ له تولية من يجهل أخلاقه على المسلمين .

الثانى : عمر رضى الله عنه قادر على الشدة على أى واحد من عماله وحده ومع ذلك تكون الامة كلها معه عليهم وكونها كلها معه عليهم على هذا الوجه عبث وتحصيل للحاصل ، فان قيل المراد بكون الامة كلها معه رضاها بشدته عليهم ، قلت هذا فاسد أيضاً بثلاثة أوجه :

الاول عامة الامة إذ ذاك على فرض صحة شدته لا يعلمون فيم اشتد على عماله وفيم عزلهم فرضاهم بها فرع عن علمهم بها .

الثانى : علمهم بها على تقدير امكانه لا يستلزم رضاهم بها .

الثالث : علم الخاصة بشدته المزعومة على عماله لا يستلزم أيضا رضاهم بها وتصرف الامام العادل فى رعيته باجتهاده لا يتوقف على كون الامة كلها أو بعضها معه كما لا يقدح فى تصرفه كون معظمها عليه عند العقلاء .

الثالث : هذه الشدة التى لطخ بها الفاروق سابقاً ولاحقا وعــدّها فى مناقبه مفتراة عليه رضى الله عنه لا أصل لها وهو رضى الله عنه كغيره من الخلفاء لا يشتد على عماله بأكثر من عزلهم إذا شكاهم أهل عملهم بل يثنى عليهم فقد أثنى على سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وقال فى وصيته لما طعن إن أصابت الإمرة سعداً فذاك وإلا فليستعن به الذى يلى الامر فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة ، وأثنى على خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وأثنى على عمار فى الكتاب الذى كتبه لاهل الكوفة لما ولاه عليهم وقال لهم فى وصيته أيضا . لا تقروا لى عاملا أكثر من سنة وأقروا الاشعرى أربع سنين . ولعله اغتر فى هــذه الشدة التى وصم بها الفاروق بالاسطورة التى رواها ابن جرير فى جـ٣ ص ١٦٧ الطبعة الجديدة عن واضع الاحاديث المتهم بالزندقة سيف بن عمر والمجاهيــــل ، وملخصها أن الفاروق لما بلغه أجازة خالد بن الوليد للأشعث بن قيس بعشرة آلاف لما وفد عليه . كتب إلى أبى عبيدة يأمره باهانة خالد أمام الناس وسؤاله من أين له هذا المـال الذى أجاز به الاشعث وأن أبا عبيدة استحيا من ذلك ولم يجد بداً من امتثال أمره فأمر بلالا أن ينفذ أمر الخليفة فى خالد فنفذه بلال ثم عمم

خالدا بيده وتكلم بكلام فيه إجلال خالد وبيان عذره وعذر أبى عبيدة فيما صنعاه به وأن عمر استقدم خالدا بعد هذا إلى المدينة وحاسبه وأخذ منه عشرين ألفا ثم أكرمه بعد هذا وعوضه عنها وأثنى عليه وكتب الى الامصار يقول لهم انى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا اليه ويبتلوا به فأحببت أن يعلموا ان الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة اه) .

وقوله (وأما على فكان معظم الامة عليه) بهتان ظاهر يقال فى ابطاله ما تقدم فى ابطال شدة الفاروق ومقصوده بمعظم الأمة معاوية وأهل الشام وهو بهتان ثان فان أهل الشام إذ ذاك لا يبلغون ربع الامة الطائعة لعلى كرم الله وجهه وقوله (فضلا عن ان كثيرا من التهم كانت تلصق بعماله من قوم يشون بهم كالحال فى قيس بن سعد وعبد الله بن عباس) صحيح لو سلم عمال الخلفاء قبله من كلام الناس فيهم وإلصاق التهم بهم، بل لو سلم الانبياء وخلفاؤهم من كلام الناس فيهم والصاق التهم بهم وسلامة اى مخلوق كان من كلام الناس فيه احدى المستحيلات، فالناس لم يرضوا عن خالقهم، اتخذوا له أنداداً عبدوهم من دونه ونسبوا اليه مالا يليق بجلاله. والناس قتلوا انبياء الله تعالى ورموهم بالبهتان، والعرب كذبت سيد الوجود فاظهره الله عليهم وقادهم الى الحق صاغرين. والناس كنوا أبا بكر بابى الفصيل احتقاراً له لما ارتدوا، والناس لقبوا عثمان رضى الله تعالى عنه بنعثل والصقوا به تهماً باطلة، والرافضة كفرت الشيخين والصحابة والامة الاسلامية جمعاء. فلم تضرهم تلك الحماقة. والخوارج كفروا عثمان وعليا ومعاوية وجمهور الصحابة والامة الاسلامية جمعاء فلم تضرهم تلك الحماقة. وبعض الاحداث من شبان قريش كرهوا عمر لمنعه لهم من الخروج الى الامصار فلم يضره ذلك، وقد اثر عنه انه قال ماترك الحق لعمر صديقا، وقيس ابن سعد رضى الله عنه من اجلاء الصحابة ومن دهاة العرب واهل الرأى والمكيدة فى الحرب والنجدة والسخاء وكان حامل راية الانصار مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح وكان عنده بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير وكان بعد

أبيه سيد قومه غير مدافع وكان أبوه وجده كذلك وابوه سعد بن عبادة رضى الله عنه من اجلاء الصحابه وسيد الخزرج، وعبدالله بن عباس دعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الصحيح قال (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) وقال المهاجرون لأمير المؤمنين عمر الا تدعو أبناءنا لمجالسك كما تدعو ابن عباس فقال ذاكم فتى الكهول له لسان سئول وقلب عقول. وقال ابن مسعود فيه لو أدرك اسناننا ماعاشره منا احد ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس وقال طاووس رأيت سبعين من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تدارؤوا فى امر صاروا الى قول ابن عباس وقال مسروق كنت اذا رأيت ابن عباس قلت اجمل الناس فاذا نطق قلت افصح الناس فاذا تحدث قلت اعلم الناس. وارسله عثمان رضى الله عنه سنة قتله أميراً على الموسم فخطب الناس وجعل يفسر سورة النور فقال رجل لو سمعت هذا فارس والروم لأسلمت وحضر مع ابن أبى سرح غزو إفريقية فتكلم مع ملكها جرجير فقال له ماينبغى إلاأن تكون حبر العرب فلقب الحبر ويلقب أيضا البحر وترجمان القرآن ولما كان أميراً على البصرة كان يغشى الناس فى رمضان فما ينقضى الشهر حتى يفقههم وسعى ساع اليه برجل فقال له ان شئت نظرنا فان كنت كاذباً عاقبناك وإن كنت صادقاً نفيناك وإن شئت أقلتك. قال هذه ، وشتمه رجل فقال له انك لتشتمنى وفى ثلاث إنى لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فى حكمه فأحبه ولعلى لاأقاضى اليه أبداً . وإنى لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فافرح به ومالى بها سائمة ولاراعية. وإنى لآتى على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ماأعلم .

فذلكة البهتان والأباطيل

فى ترجمته لعلى كرم الله وجهه

وقوله (وعلى الجملة فان أكبر الاسباب فى عدم استقامة الأمر لعلى إلى آخر الهراء) فذلكة البهتان والأباطيل اللذين اختارهما واستفادهما من

الرافضة ومن روايات المتهمين الوضاعين ومن هواه، وأعرض عن استفادة شمائل حيدرة رضى الله تعالى عنه من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وأعرض أيضا عن استفادتها من كتب السنة الصحيحة وأعرض أيضا عن استفادتها من كتب طبقات الصحابة وأعرض أيضا عن استفادتها من كتب التاريخ الإسلامى. وأعرض أيضا عن استفادتها من كلام علماء الاسلام الاثبات، وتتلخص هذه الفذلكة الهوجاء فى طعنه. فى أربعة أمور الغطرسة والاعجاب بالرأى والجبروتية وسوء السياسة فى تدبير الخلافة وسيجازى على هذا البهتان جزاء الافاكين ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ ﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾.

وصفه للخلافة وكذبه على عمر فى الشورى

وبهتانه فى على ومعاوية أيضا وافتراؤه على عمر فى سعد

قال فى ص ٨٦ ج ٢ وكانت الناس تبايع الخليفة على العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وزادوا فى بيعة عثمان وسنة الشيخين أبى بكر وعمر وحذفت هذه الزيادة فى بيعة على لأنه أباها لما عوض عليه الأمر عبد الرحمن بن عوف وكان الخلفاء يستشيرون فيما يعرض لهم من الأمور ولكنهم لم يكونوا على درجة واحدة فى ذلك وكان أكثرهم اهتماما بالشورى عمر بن الخطاب فانه كان قلما يقدم على أمر الا بعد أن يستشير ويمحص الآراء وكانت له شورى خاصة من أعلام الصحابة ومشيختهم من المهاجرين والأنصار ومشيخة قريش مثل عثمان بن عفان والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وعلى بن أبى طالب ومن ماثلهم وكان يلحق بهم عبد الله بن عباس لما يراه من فقهه وجودة رأيه، وشورى عامة من كل من له رأى من المسلمين يعرض عليهم الأمر فى المسجد بعد أن يدعو (الصلاة جامعة) فيقول كل مابداله وربما استشار بعد ذلك خاصته، وكان كثيرا ما يرجع عن رأيه متى تبين له الحق. وناهيك برجل كان يقول من رأى منكم

فى اعوجاجا فليقومه،ورجال الشورى كانوا مختارين من قبله الا أنه لم يكن أحد يمنع من ابداء رأيه مهما كان صاحب الرأى صغير القدر لأن حياتهم كانت مبنية على المساواة ، ولم ينقص هذا النظام البديع الا شىء واحد وهو تعيين من لهم الصوت فى انتخاب الخلفاء بوصف يبينهم لأن عدم هذا التعيين كان سببا من أسباب الفرقة بين على ومعاوية لأن عليا كان يرى أن هذا الحق لاهل المدينة وحدهم لا يشركهم فى ذلك أهل الامصار الاخرى. فمتى بايع أهل المدينة لواحد تمت بيعته وليس لاحد بعد ذلك أى اعتراض ، ومعاوية ومن معه من أهل الشام كانوا يرون غير ذلك وأن البيعة لا تتم الا برضى أهل الامصار فكانت تلك الفرقة الهائلة وتلتها الحروب العظيمة بين المسلمين ، لم يكن للخلافة فى هذه الدولة شىء من شارات الملك ولا ابهته بل كان الخليفة يسير فى طريقه وفى بيته كسائر الناس لا حاجب ولا حارس يقف للصغير والكبير وكان عمر يكره أن يكون لعماله حجاب حتى أنه أرسل لسعد بن أبى وقاص من أحرق باب دار الامارة الذى حال بين العامة وبين رفع شكواهم اليه اه) .

أقول : قد اشتمل هذا الكلام على دعاو كثيرة كلها لا أصل لها منها كون الخلفاء كلهم كانوا يبايعون على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وانهم زادوا فى بيعة عثمان (وسنة الشيخين أبى بكر وعمر) ومنها كونهم كانوا يستشيرون فيما يعرض لهم من الامور وانهم لم يكونوا فى الاستشارة على درجة واحدة وان الفاروق اكثرهم اهتماماً بها وانه قلما يقدم على امر الا بعد ان يستشير فيه ويمحص الآراء وانه كانت له شورى خاصة وشورى عامة وانه كان يعرض الامر فى هذه عليهم فى المسجد بعد ان يدعوا للصلاة جامعة ويقول كل ما بداله فيها وانه كان كثيراً ما يرجع عن رأيه متى تبين له الحق ، وعلى بهتان مكرر فى الخلافة وفى على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما وعلى افتراء فى عمر وسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنهما فقوله (وكانت الناس تبايع الخليفة على العمل بكتاب الله

وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم) دعوى لم تذكرها كتب الاسلام فى بيعة الشيخين ، واول من بويع على العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنة الشيخين عثمان رضى الله تعالى عنه. ففى كتاب الاحكام فى باب كيف نبايع الناس الامام من صحيح الامام البخارى قال عبد الرحمن بن عوف لعثمان رضى الله تعالى عنهما (ابايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده) فقوله (وزادوا فى بيعة عثمان وسنة الشيخين أبى بكر وعمر) غير صحيح لان زيادة ماذكر فى بيعه عثمان مفرعة على وجود اشتراط العمل بكتاب الله وسنة رسوله فى بيعة الشيخين قبله ولا وجود لذلك فى التاريخ (وقوله وحذفت هذه الزيادة فى بيعة على لانه اباها لما عرض عليه الامر عبد الرحمن بن عوف)صحيح وعلى رضى الله تعالى عنه مصيب فى امتناعه منها لان اتباعه لسنتهما لا يخلو من امرين اما تقليدهما فى جميع الاحكام وهذا لا يسوغ للامام المجتهد عند جمهور علماء الاسلام واما اتباع سيرتهما فى العدل وهذا تحصيل الحاصل لمن كان اهلا للامامة فلا معنى لاشتراط ذلك عليه الا تأكيد عقد البيعة : قال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى شرح بيعة عبد الرحمن بن عوف لعثمان رضى الله تعالى عنهما ج ١٣ اخرج الذهلى فى الزهريات وابن عساكر فى ترجمة عثمان رضى الله تعالى عنه عن المسور بن مخرمة قال قال عبد الرحمن هل انت ياعلى مبايعى ان وليتك هذا الامر على سنة الله ورسوله وسنة الماضيين قبل ، قال لا ولكن على طاقتى ، فاعادها ثلاثاً فقال عثمان أنا ياأبا محمد ابايعك على ذلك قالها ثلاثا فقام عبد الرحمن فدخل المسجد ثم رقى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم اشار الى عثمان فبايعه فعرفت ان خالى عبد الرحمن اشكل عليه امرهما فاعطاه احدهما وثيقته ومنعه الآخر اياها واستدل بهذه القصة الأخيرة (يعنى سنة الشيخين) على جواز تقليد المجتهد وان عثمان وعبد الرحمن كانا يريان ذلك بخلاف على واجاب من منعه وهم الجمهور بان المراد بالسيرة مايتعلق بالعدل ونحوه لا التقليد فى الاحكام الشرعية واذا فرعنا على جواز تجزى الاجتهاد احتمل ان يراد بالاقتداء بهما

فيما لم يظهر للتابع فيه الاجتهاد فيعمل بقولها للضرورة اه .

وقال الامام الباقلانى فى تمهيده راداً على الشيعة (وان قالو وكيف يكون عقد عبد الرحمن لعثمان صحيحاً ، وقد عقد له على شرط تقليده فى الاحكام لابى بكر وعمر ، وما روى عنه من أنه قال لعلى نبايع لك ونعقد لك هذا الامر على ان تحكم بكتاب الله وسنة نبيه وسنة الشيخين من بعده وان علياً قال (ليس مثلى من استظهر عليه ولكن اجتهد رأيى) وانه عرض ذلك على عثمان فرضى بالشرط وضمنه وعقد له عليه ، وقد اتفقنا على ان التقليد من العالم لغيره حرام فى الدين، يقال لهم هذا الخبر من اخبار الآحاد وليس هو مما يعلم صحته ضرورة ولا بدليل فان كان التقليد حراماً فان الصحابة قد كانت اعلم بذلك واتقى لله من ان تدخل فى الحرام من غير انكار له ،وكان يجب على على رضى الله عنه مع امتناعه من قبول الشرط ان يقول هذا حرام فى الدين لا يحل فعله ، وليس لنا ان نطعن على الصحابة بشيء نضيفه اليهم لا نجيزه علينا بروايات الآحاد ، فسقط التعلق بهذه الروايه ، وقد يمكن ان كانت هذه الرواية صحيحة ، الا يكون عبد الرحمن اراد بسنة الشيخين اتباعهما على التقليد فى الاحكام ، وانما اراد السيرة بالعدل والانصاف وألا يكون قال ذلك أيضا على شك منه فى ان علياً سيحكم بالانصاف والعدل ان صار الأمر اليه وانما قال ذلك على مذهب التقرير له والتأكيد والتبرئة له ليقع الرضا من الجماعة وتزول الفتنة ويستميل بذلك قلوب السامعين له ، فيكون عبد الرحمن مصيباً فى اشتراطه وتقريره وتأكيد الأمر ويكون على مصيبا فى الامتناع منه ويكون عثمان مصيبا أيضا فى قبول الاشتراط لما علمه من ان عبد الرحمن ما قصد إلا التأكيد والتقرير واشتراط السيرة بالعدل ويدل على ذلك ويؤكده علمنا وعلم سائر الناس أن أحكام أبى بكر وعمر فى كثير من الفقهيات مختلفة كتوريث الجد والمفاضلة فى العطاء من عمر وتسوية أبى بكر بين الناس فيه وغير ذلك وأن عثمان لا يمكنه ولا يجوز أن يحكم بحكميهما المختلفين فدل ذلك على أنه إنما

أراد اشتراط السيرة بالعدل والإنصاف ، وقد يمكن أيضا فى تأويل هـذا الخبر أن نقول أن عبد الرحمن إنما اشترط على عثمان ترك التقليد فى الأحكام لأن سيرة أبى بكر وعمر ترك التقليد فيها والنهى عن ذلك فلذلك لم يقلد عمر أبا بكر وخالفه ولا قلد أبو بكر عمر فى شىء من مسائل الحلال والحرام وقد علم أن من سيرتهما اجتهاد الامام وترك التقليد لغيره فكيف يدعوه عبد الرحمن إلى التقليد وترك الاجتهاد وهـذا ضد سنتهما . فبان انه لم يدعه إلا إلى ما ذكرنا وأن عليا قدر فيه انه دعاه إلى التقليد فأصاب فى امتناعه من قبول الشرط ، وقد قال قوم من الفقهاء أيضا أن تقليد العالم للعالم والحكم بالتقليد جائز سائغ فى الدين وهى مسألة اجتهاد أعنى تقليد العالم للعالم فلعل عثمان وعبد الرحمن كانا يريان جواز التقليد والحكم به.وعلى رضى الله تعالى عنه لايرى ذلك فأصابا فيما تعاقدا عليه ، وأصاب على فى امتناعه من غير قدح فى العقد لأنه لا يحرم ذلك على من رآه ، وإن وجب عليه ألا يفعله لانه ليس من رأيه واجتهاده اه .

وقوله (وكان الخلفاء يستشيرون فيما يعرض لهم من الامور) دعوى لا يستطيع جميع متشدقة الأرض اثباتها على أبى بكر رضى الله تعالى عنه بمثال واحد فكيف بأكثر منه الذى يدل له تعبيره بكان التى تدل هنا على الدوام والاستمرار يعنى أن الخلفاء يستشيرون كثيراً وأكثرهم فيها الفاروق ولم يرد فى التاريخ أن عثمان رضى الله تعالى عنه كان يستشير الناس إلا فى أمر واحد وذلك لما هاجت عليه الفتنة بالأمصار جلب عمالها إليه واستشارهم فى الدواء الذى يسكن به هذه الفتنة.على أن راويه شعيب المجهول عن سيف بن عمر الوضاع عن المجهولين وقوله (ولكنهم لم يكونوا على درجة واحدة فى ذلك) دعوى أخرى جوفاء تقتضى أنه حقق درجة كل واحد من الخلفاء المستشيرين وهم أبو بكر وعمر وعثمان بالأمثلة فوجد عمر أكثرهم فى ذلك ، ولم يحقق سوى جادة التلبيس التى اعتاد ركوبها ولم يرد فى التاريخ

أن الفاروق استشار الناس فى الأمور المهمة إلا فى ثلاث لما ملكت الفرس يزدجرد فبعث وزيره رستم على جيش جرار إلى القادسية فاستشار الفاروق أعيان الصحابة فى المسير بنفسه إليهم فأشاروا عليه بالمقام وتولية سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قائدا لجيش المسلمين فولاه ذلك . والثانية لما اجتمعت الفرس بعد فتح مدائن كسرى ووقعة جلولاء على الفيرزان بنهاوند وهم أمير المؤمنين عمر بالمسير إلى العراق وتجهيز الجيوش منها للفرس استشار أيضاً أعيان الصحابة فحبذ له بعضهم المسير وأشار عليه على كرم الله وجهه بالمقام والاكتفاء بالكتابة إلى أهل البصرة بأن تسير فرقة منهم مددا لاخوانهم أهل الكوفة على الأعاجم فقال عمر هذا هو الرأى الذى كنت أحب أن أتابع عليه وعين النعمان بن مقرن المزنى قائدا لجيش الاسلام فثل عروش الفرس بها ، والثالثة لما خرج إلى الشام يتفقد جيوش المسلمين بها فلما وصل إلى سرغ بلغه أن الطاعون وقع بها ببلدة عمواس فاستشار من معه من المهاجرين والانصار ومشيخة قريش فى الاقدام عليه والرجوع إلى المدينة فاختلفوا عليه فناس نهوه عن الاقدام عليه وأشاروا عليه بالرجوع إلى المدينة وآخرون أشاروا عليه بالاقدام فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائباً فقال عندى فى هذه المسألة علم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمعته عليه الصلاة والسلام يقول (إذا سمعتم به - يعنى الطاعون - بأرض فلا تقدموا عليها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) فرجع بمن معه إلى المدينة وهذه مسطرة فى صحيح الامام البخارى وقوله (وكان أكثرهم اهتماما بالشورى عمر بن الخطاب إلى قوله ولم يكن ينقص هذا النظام البديع) ، مشتمل على سبع دعاو : الاولى قوله وكان أكثرهم اهتماما بالشورى عمر بن الخطاب ، قد تحقق أن هذه الدعوى لم يثبتها له التاريخ إلا فى ثلاثة أمور، الثانية قوله (فانه قلما يقدم على أمر إلا بعد أن يستشير) وهذا كذب مكشوف وذم له لا مدح لأنه إذا كان يستشير الناس فى كل أموره أو جلها فهو ضعيف الرأى غير صالح للخلافة ، الثالثة

قوله (وكانت له شورى خاصة) الرابعة قوله (كانت له شورى عامة) وهذا كذب مكشوف أيضا فلم يقل العلماء أن عمر كانت له شوريان خاصة وعامه، الخامسة قوله (بعد أن يدعو (للصلاة جامعة) فيقول كل ما بدا له) ،السادسة قوله (وكان كثيرا ما يرجع عن رأيه متى تبين له الحق) ، وفى هذه وصفه بكثرة الخطأ فى رأيه والرجوع إلى الناس ، وكان فى قوله (وناهيك برجل كان يقول من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه) تدل على الدوام والاستمرار أى كان هجيراه فى مدة خلافته كلها هذا القول ، وهذا لون آخر من الكذب ، والسابعة قوله إلا أنه لم يكن أحد يمنع من ابداء رأيه مهما كان صاحب الرأى صغير القدر ، كل واحدة من هذه الدعاوى لا سند لها إلا هواه ، وقوله (لأن حياتهم كانت مبنية على المساواة) تلبيس لا يخلو من أمرين الأول حياتهم عند أمير المؤمنين عمر مبنية على المساواة فى الأحكام الاسلامية وهذا غير مقصود له ولا اختصاص لعمر به بل جميع أمراء المسلمين يجب عليهم المساواة بين المسلمين فيها ولا يسوغ لهم تمييز الغنى على الفقير ولا الكبير على الصغير ، والثانى حياتهم مبنية على المساواة عنده من حيث المشاورة فهم كلهم متساون فيها عنده لا فرق عنده بين الصحابى الجليل والأعرابى الجلف ولا بين الكبير والصغير وهذا مقتضى كلامه الذى قصد به مدح عمر وهو ذم له فاسد بديهة قد كذبه تاريخ الفاروق المستفيض فان ابنه عبدالله كان رجلا فاضلا ولم يكن يحضره فى مجلسه للمشاورة أو غيرها وكان ابن عباس أصغر منه سنا وكان لا يغيب عن مجلسه وكان لأجلاء الصحابة أبناء أذكياء وكان لا يحضرهم مجلسه ، وقوله (ولم يكن ينقص هذا النظام البديع إلا شىء واحد وهو تعيين من لهم الصوت فى انتخاب الخلفاء بوصف يبينهم) فاسد قدم إبطاله فى بحث الخلافة وخلاصة إبطاله أن الامامة من مسائل الفروع حق واجب على الامة وجوباً كفائياً إذا قام به من يعتد به من أهل الحل والعقد من تيسر حضوره ولو واحدا بايع من هو أهل لها وجبت طاعته وسقط عن باقى

الامة ، ولم يشترط الله فى كتابه العزيز ولا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى سنته ولا الصحابة والتابعون وأتباعهم ولا من بعدهم من علماء الاسلام تعيين من لهم عقد الامامة لشخص بوصف يبينهم ، بل اتفقوا على عدم اشتراط تعيين من لهم عقد الامامة لشخص بوصف يبينهم ، بل اتفقوا على عدم اشتراط تعيين من لهم عقدها وحلها بوصف مخصوص أو بيئة مخصوصة أخذا من مبايعة عدد قليل من الصحابة للصديق فى سقيفة بنى ساعدة فانعقدت له وصارت حجة وإجماعا على غيرهم من المسلمين الذين لم يحضروها وعلى من بعدهم وهكذا بيعة الفاروق وذى النورين وحيدرة فان بيعة أبى حفص وعثمان رضى الله تعالى عنهما لم تقع مباشرة إلا من أهل المدينة وبيعة حيدرة وقعت منهم ومن أناس من أهل الامصار فمن يقول أن نظام خلافة الخلفاء الاربعة البديع ينقصه شىء فهو متنطع مشاق لله ولرسوله متبع غير سبيل المؤمنين ، وقوله (لان عدم هذا التعيين كان سببا من أسباب الفرقة بين على ومعاوية) طعن مكرر وما كفاه فى هذا الطعن ازدراؤه بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اللذين لم يشترطا تعيين من لهم الصوت فى انتخاب الخلفاء بوصف يبينهم ، وما كفاه فيه ازدراؤه بإجماع الصحابة على بيعة الخلفاء الأربعه وبالامة الإسلامية التى اعتبرت تلك الاجماعات. ولم يقل أحد من علمائها أن نظام بيعة الخلفاء الاربعة ناقص لانه لم يعين فيه من لهم الصوت فى انتخاب الخلفاء بوصف يبينهم ، حتى زاد فيه أن عدم التعيين كان سببا من أسباب الفرقة بين على ومعاوية لم يكفه ما عليه المسلمون ونطق به تاريخهم بأن سبب الخلاف بين على ومعاوية واحد وهو مطالبة معاوية لعلى بتسليم قتلة عثمان اليه ليقتص منهم وقول على له (ادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكمهم إلى) فأبى معاوية إلا تسليمهم أولا ، بل افترى على تاريخ المسلمين فزاد عليه أسبابا كثيرة منها عدم تعيين من لهم الصوت فى انتخاب الخلفاء بوصف يبينهم ، وقوله (لان عليا كان يرى أن هذا الحق لاهل المدينة وحدهم إلى قوله

ومعاوية) تلبيس وتهويش فلوصح عنه التصريح بهذا لكان صحيحا حقا لان الخلفاء الثلاثة قبله يرون هذا مثله وذلك أن الامامة إذا انعقدت لشخص فى أى مصر هو به من أهل الحل والعقد لزمت سائر امصار المسلمين الاخرى ، ولا تتوقف على مشاركتهم وليس لاحد منهم الاعتراض عليها بعد انعقادها له وعلى رضى الله تعالى عنه كان بالمدينة وقت البيعة وأهلها من أجلاء أهل الحل والعقد فبيعتهم له وحدهم كافية تامة لازمة لجميع الأمصار الاسلامية ليس لأحد منهم الاعتراض عليها على أن طائفة من أهل الامصار وهم المحاصرون لعثمان رضى الله عنه بايعوا أيضا معهم على أن أهل الامصار لما بلغتهم بيعته بايعوا أيضا ما عدا الشاميين كما أن بيعتهم لابى بكر تامة لازمة لاهل مكة والطائف وجواثى بالبحرين والعرب الذين حول مكة والمدينة ليس لأحد منهم الاعتراض عليها وبيعتهم للفاروق وذى النورين كذلك وبهذا تبين فساد تلبيسه وتهويشه ، وقوله (ومعاوية ومن معه من أهل الشام كانوا يرون غير ذلك وأن البيعة لاتتم إلا برضا أهل الامصار) افتراء على معاوية ومن معه باطل بخمسة أوجه : الأول ـ معاوية ومن معه لم ينازعوا عليا فى خلافته ولم يقولوا له أن بيعتك غير تامة لأننا غير راضين بها وهذه كتب الإسلام تاريخا وغيره لا يوجد فيها هذا الافك الذى تقوله عليهم. الثانى معاوية رضى الله عنه يعلم هو ومن معه جزما ان اشتراط رضا أهل الامصار فى بيعة أى خليفة غير معتبر ولا يقوله عاقل فلو اعتبر ماصحت بيعة أبى بكر رضى الله عنه لأن أباه أبا سفيان وخالد بن سعيد بن العاص لم يرضيا بها ابتداء وسيد الخزرج سعد بن عبادة لم يرض بها ابتداء ودواما والأعراب الذين منعوا الزكاة لم يرضوا بها كذلك بل لقبوه بأبى الفصيل ازدراء فهل يقول عاقل أن بيعة الصديق غير تامة لأن من ذكرناهم لم يرضوا بها بل يلزم على هذيانه هذا أن لا تتم لله تعالى فى أرضه رسالة رسول من رسله أصلا لأن الناس كذبوهم وقتلوا بعضهم فهذا الخليفة الأعظم أبو البشر لم يرض أحد بنيه بأمر الله فعصاه وقتل أخاه ظلما وكفر ، وهذا نوح عليه الصلاة والسلام

لم يرض ابنه صحبته فى السفينة (فرضى الناس غاية لا تدرك) .الثالث لو فرض وجود هذا المفترى على معاوية وأهل الشام(صانهم الله منه) فى التاريخ ولو برواية واهية ما ساغ له لما تنازل له الحسن بن على رضى الله عنهما عن الخلافة فدخل الكوفة فبايعه أهلها الا كتفاء ببيعتهم والرجوع إلى الشام ولوجب عليه على هـذا البهتان الذى ألصقه به انتظار مجىء الخبر اليقين اليه ببيعة بقية الأمصار ورضاهم به خليفة وهى البصرة وملحقاتها وفارس ومصر واليمن والحجاز كذلك. الرابع لو فرض صحة وقوع هذا الذى افتراه عليه منه ما تمت بيعته وما اعتبرت خلافته وان كانت من جميع الأمصار المذكورة لان خوارج المصرين الكوفة والبصرة لم يرضوا بإسلامه واسلام من معه ابتداء ودواما أى قبـل التحكيم وبعده فضلا عن رضاهم ببيعته وامامته وهم ذوو شوكة وعصبية قوية لرأيهم . ولا يقال لا اعتبار لرأى الخوارج وعـدم رضاهم بإمامته لانهم بالنسبة الى الأمة المبايعة له عدد قليل لانا نقول وكذلك لا اعتبار لرأيه ورأى من معه على تقدير صحته عنهم لانهم عدد قليل بالنسبة الى الامة المبايعة لحيدرة فالإلزام فى الرأى والاقلية مشترك بين الطرفين فان لزم من رأيه ورأى من معه القدح فى امامة على لزم أيضاً من رأى الخوارج القدح فى خلافته وان لم يلزم من رأيه القدح فى خلافة على لم يلزم أيضاً من رأيهم القدح فى خلافته . الخامس اعتراف معاوية بأفضلية على وأحقيته بالخـلافة عليه الذى أثبته التاريخ وقد نقلته سابقاً مبطل لهـذا الرأى لو صح عنه فكيف وهو بهتان عليه ، وامتناعه من مبايعته حتى يسلم اليه قتلة عثمان ليقتص منهم لا يؤثر فى امامة على شيئاً ومبايعتـه له لو وقعت لا تسقط حقـه فى المطالبة بدم عثمان بالوجه المشروع ، وبهذا ظهر فساد هـذا الـكلام وفساد قوله المبنى عليـه (فـكانت تلك الفرقة الهائلة وتلتها الحروب العظيمة بين المسلمين) وتحقق أنه لم يكتب فى رفع مقام معاوية وحط مقام على من أول بحث الخلافة الى آخر ما يتعلق بهما الا الاباطيل والفرى ، وقوله (وكان عمر يكره أن يكون لعماله حجاب حتى انه أرسل لسعد بن أبى وقاص من

أحرق باب دار الأمارة الى آخر الهراء) فرية بلا مرية ضمها للأباطيل الموضوعة فى مناقبه التى تقدمت فان فرض صحة شدة عمر واهانته لخامس الاسلام وأول من اهراق دماً من المشركين وأول من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى وأحدستة الشورى الاهانة الفظيعة بضربه بالدرة لشرهه الى المال ومزاحمته عليه كما زعم سابقاً وحرق باب دار أمارته الذى حال بين العامة وبين رفع شكواهم اليه كما افترى هنا . فكيف كانت شدته واهانته لجميع عماله الذين هم دون هذا السيد فى الفضل والمناقب فمن المستحيل سلامتهم منها واختصاص سعد رضى الله عنه بها ، وتحقق أيضاً انه لم يكتب فى سيرة الفاروق رضى الله تعالى عنه الا الاباطيل والفرى التى يعتقدها له مناقب وهى مثالب والفاروق رضى الله تعالى عنه غنى عن افترائه وأباطيل الوضاعين بمناقبه المسطرة فى التاريخ المقطوع به والمظنون الصحيح وقد ألف فيها علماء الاسلام تآليف حافلة ، كما ان حيدرة رضى الله تعالى عنه غنى عن اباطيل الرافضة والوضاعين بما ذكر وتحقق ايضا انه لا يقدس من الصحابة إلا أربعة أبابكر وعمر وخالداً ومعاوية وهذا عنده فى الدرجة الاولى وبعده الفاروق، اخرج محمد بن عثمان بن ابى شيبة فى تاريخه بسند جيد عن ابن اسحاق قال كان اشد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة عمر وعلى والزبير وسعد بن ابى وقاص وقد كان سعد هذا رضى الله تعالى عنه مستجاب الدعوة فقد دعا على أوباش الكوفة لما شكوه لعمر بغيا دعا على اسامة بن قتادة الذى زعم ان سعداً لا يغزو فى السرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية فقال اللهم ان كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره واكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن ،فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عير عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك ، ودعا على الجراح بن سنان الأسدى ورفقائه لما زعموا انه لا يحسن الصلاة فقال اللهم ان كانوا خرجوا أشراً وبطراً ورياء فأجهد بلاءهم فجهدوا فقطع الجراح بالسيوف يوم بادر الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة

وقتل أربد بالوجء ونعال السيوف ، ودعا على رجل من بجيلة يوم القادسية لما قال :

ألم تر أن الله اظهر دينه وسعد بباب القادسية معصم
فابنا وقد أيمت نساء كثيره ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال اللهم اكفنا يده ولسانه فجاءه سهم غرب فاصابه فخرس ويبست يداه معاً ، ورأى جماعة عكوفا على رجل فأدخل رأسه بين اثنين فاذا هو يسب علياً وطلحة والزبير فنهاه عن ذلك فلم ينته ، فقال له ادعو عليك ، فقال الرجل تتهددني كأنك نبي ، فانصرف سعد فدخل داراً فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال اللهم ان كنت تعلم ان هذا الرجل قد سب اقواماً قد سبق لهم سابقة الحسنى وانه قد أسخطك سبه اياهم فاجعله اليوم آية وعبرة فخرجت بختية نادة من دار فلا يردها شيء حتى دخلت بين اضعاف الناس فافترق الناس فأخذته بين قوائمها فلم تزل تتخبطه حتى مات فجاء الناس يشتدون الى سعد يقولون استجاب الله تعالى دعاءك يا ابا اسحاق .

المحاضرة الثانية والثلاثون

ابطال زعمه مساواة أمية بن عبد شمس لعمه هاشم فى الشرف

قال فى ص ٩٦ ج ٢ الدولة الاموية ـ كان امية بن عبد شمس بن عبد مناف سيداً من سادات قريش فى الجاهلية يعادل فى الشرف والرفعة عمه هاشم بن عبد مناف وكانا يتنافسان رياسة قريش وكان أمية رجلا تاجراً كثير المال أعقب كثيراً من الاولاد ، والمال وكثرة العصبة كانا فى الجاهلية من اكبر اسباب السيادة بعد شرف النسب اه) ،

أقول كانت ولاية بيت الله الحرام لاسماعيل منذ بناه مع ابيه الخليل عليهما الصلاة والسلام الى وفاته وبعده تولته جرهم القحطانية للخؤولة التى لهم على اولاده الذين انتشروا فى تهامة ونجد فلما طغوا وبغوا سلط الله عليهم خزاعة التى خرجت من اليمن منتجعة مع عمرو بن عامر الكاهن لما شعر بقرب انفجار سد مأرب فلما وصلت مكة طلبوا من جرهم السكنى معهم بها فمنعوهم فوقعت الحرب بينهم فغلبتهم خزاعة وأجلوهم عنها وتولوها مكانهم دهراً ولما ساد قصى بن كلاب أحد أجداد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قريش قال لهم انكم أولى بولاية كعبة أبيكم اسماعيل من خزاعة.ودعاهم مع طائفة من بنى كنانة إلى اخراج خزاعة وبنى بكر بن كنانة من مكة فأجابوه لذلك فكتب إلى اخيه من أمه رزاح بن ربيعة القضاعى يدعوه إلى نصرته والقيام معه فقدم عليه بقومه فى الموسم وبعده تحارب مع خزاعة وبنى بكر فانتصر عليهم وأجلاهم من مكة وجمع قومه فأنزل بنى تيم الأدرم بن غالب وبنى محارب بن فهر وبنى بغيض بن عامر بن لؤى وبعض بنى الحارث بن فهر بظواهر مكة فسموا قريش الظواهر ، وأنزل سائر بطون قريش بطحاءها فسموا قريش البطاح ، ولما أسكنهم بمكة وماحولها وقسم مكة أرباعا بينهم فبنوا المساكن تيمنوا به فملكوه عليهم فكان أمره فى قومه كالدين المتبع فى حياته وبعد موته فكانوا لا يبرمون أمراً من أمورهم إلا فى داره من

تزويج رجل وامرأة أو عقد لواء للحرب أو غير ذلك واتخذ دار الندوة لذلك وفيها كانت قريش تقضى أمورها وكان اليه زيادة عليها حجابة الكعبة وسقاية الحاج ورفادته بالطعام أيام الموسم ولواء الحرب فحاز شرف قريش كله ، ولما كبر وكان عبد الدار أكبر أولاده الأربعة ضعيفا وقد ساد عبد مناف وعبد العزى وعبد بن قصى فى حياة أبيهم قال له والله لألحقنك بهم فأعطاه دار الندوة وحجابة الكعبة ولواء الحرب فكان يعقد لقريش ألويتهم وسقاية الحاج ورفادته بالطعام وهى خرج تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها الى قصى فيصنع منه طعاما للحاج يأكله الفقراء وكان قد قال لقومه انكم جيران الله وأهل بيته وان الحاج ضيف الله وزوار بينه وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ففعلوا فكانوا يخرجون من أموالهم فيصنع به الطعام أيام منى فجرى الأمر على ذلك فى الجاهلية وفى الاسلام إلى أواخر القرون الوسطى يصنعه الخلفاء كل عام بها . فأما حجابة البيت فبقيت فى نسل عبدالدار الى اليوم ، وأما لواء الحرب فأبطله الإسلام ويقال إن بنى عبد الدار قالوا يارسول الله اجعل اللواء فينا فقال الاسلام أوسع من ذلك ، وصارت دار الندوة لحكيم بن حزام فباعها لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما بمائة ألف درهم فليم على بيعها وقيل له بعت مكرمة آبائك وشرفهم فقال ذهبت والله المكارم إلا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله فأينا المغبون وصارت كلها داخل المسجد الحرام فى جانبه الشمالى ، وقد أجمع بنو عبد مناف الأربعة أن يأخذوا مابأيدى بنى عبد الدار من المكارم التى أعطاها قصى لأبيهم بالقوة ورأوا أنهم أولى بها منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم ، فأيدهم على رأيهم أربعة من بطون قريش ، بنو أسد بن عبد العزى بن قصى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر ، وأيد بنى عبد الدار أربعة بطون منهم أيضا بنو مخزوم وبنو سهم بن هصيص وبنو جمح وبنو عدى بن كعب فعقد بنو

عبد مناف مع من انضم اليهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا وأخرجوا جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لحلفائهم عند الكعبة فغمسوا فيها أيديهم وتعاقدوا وتعاهدواهم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا المطيبين، وعقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الأحلاف، ثم سوند بين القبائل وتهيأوا للحرب فدخل بنو محارب بن فهر وبنو عامر بن لؤى اللتان اعتزلتا الفريقين بينهما بالصلح فاصطلحوا على أن يعطى بنو عبد مناف الرفادة والسقاية ، وتبقى الحجابة والندوة واللواء لبنى عبدالدار ، فتولى الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف وكان موسرا فكان يستعين على اطعام الحجاج أيام الموسم بقريش فيرفدونه بأموالهم ثم جاءت أزمة شديدة فكره أن يكلف قريشا الرفادة فسافر الى الشام بجميع ماله فاشترى به كعكا ودقيقا ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله ودقه وصنع به للحجاج طعاما شبه الثريد فبذلك سمى هاشما واسمه عمرو وكان أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة وكان أفخر قومه وأعلاهم وكانت مائدته منصوبة لا ترفع لا فى السراء ولا فى الضراء وكان يحمل بن السبيل ويؤدى الحقوق قال الشاعر :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه   قوم بمكة مسنتين عجاف
سنت اليه الرحلتان كلاهما   سفر الشتاء ورحلة الإيلاف

وهو أول من مات من أولاد عبد مناف ، فتولى الرفادة والسقاية أصغرهم سنا شقيقه المطلب وكان هذا ذا شرف فى قومه وفضل وكانت قريش تسميه الفيض لسماحته وفضله ثم مات المطلب بردمان من أرض اليمن بعد شقيقه عبد شمس الذى مات بمكة فولى الرفادة والسقاية بعد المطلب ابن أخيه عبدالمطلب بن هاشم فأقامها للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه واحبه

قومه وعظم خطره فيهم فلما مات صار ذلك لابنه العباس حتى جاء الاسلام اذا تقرر هذا علم أن قوله (كان أمية بن عبدشمس يعادل فى الشرف والرفعة عمه هاشم بن عبد مناف وكانا يتنافسان رياسة قريش وكان وكان الى آخر هرائه) افتراء مكشوف على التاريخ وهو بين أيدينا حمله عليه تغاليه فى تقديس معاوية ونصبه لعلى فاذا كان أمية يساوى فى الشرف والرفعة عنده عمه هاشماً فابنه حرب يساوى فيهما ابن عم أبيه عبد المطلب بن هاشم وأبو سفيان بن حرب يساوى فيهما أبا طالب بن عبد المطلب ومعاوية بن أبى سفيان يساوى فيهما على بن أبى طالب بل يربو عليه عنده حتى يكون قياس مينه مطردا ، على أنه باطل بوجهين : الأول نقل ابن الأثير فى كامله عن ابن الكلبى النسابة قال كان هاشم اكبر ولد عبد مناف وقيل انه وعبدشمس توأمان واتفقوا على أنه مات بغزة وعمره عشرون أو خمس وعشرون سنة وعليهما فلو فرض أمية بن عبدشمس بكرى أبيه يكون أقصى عمره عند موت عمه هاشم طفلا لا يتجاوز عشر سنين ويكون عمر أبيه عبد شمس اذ ذاك عشرين او خمساً وعشرين ان كان توأماً لأخيه هاشم ودون ذلك ان كان اصغر منه وعليه فيستحيل عادة معادلة طفل فى الشرف والرفعة لرجل بالغ ومنافسته له فى رياسة قريش ، ويلزم على هذا الهراء ان يكون اشرف من أبيه عبد شمس ومن عميه المطلب ونوفل الذين ماتوا بعد هاشم وقد كذب التاريخ هذا اللازم الثانى. ذكر ابن جرير الذى يعتمد عليه فى الاباطيل الموافقة لهواه شعر وهب بن عبد قصى يمدح هاشما لما اطعم قومه والحجاج الثريد قال فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان ذا مال فتكلف ان يصنع صنيع هاشم فعجز عنه فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه الى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وقدره ولم تدعه قريش واحفظوه. قال فانى انافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحرها ببطن مكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضى بذلك امية وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى فنفر هاشماً عليه فاخذ هاشم الابل فنحرها واطعمها من حضره وخرج امية الى الشام فاقام بها عشر

سنين فكانت هذه اول عداوة وقعت بين هاشم وامية اه.

زادابن الاثير فى كامله فى الكاهن الخزاعى وهو جد عمرو بن الحمق (الصحابى المشهور) ومنزله بعسفان وكان مع امية همهمة بن عبد العزى الفهرى وكانت ابنته عند امية فقال الكاهن والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم امية الى المآثر اول منه وآخر وابو همهمة بذلك خابر اه.

وكان يقال لهاشم والمطلب البدران لجمالهما، ولا يمكن صحة هذه القصة الا على قول ابن اسحاق فى سيرته بأن عبد شمس أسن من أخيه هاشم وأن هاشما مات وعمره خمس وعشرون سنة فيفرض عليهما تقدم عبد شمس على هاشم فى الولادة بخمس سنين على أقل تقدير حتى يكون ابنه أمية قد استكمل سن البلوغ خمسة عشر عاما الذى يمكنه به مساجلة الرجال ومع هذا فلا يرفعها إلا ترجيح القول بأن عبد شمس أكبر من هاشم مع أبطال جزمهم بموت هاشم وعمره عشرون أو خمس وعشرون سنة بل يقال عاش أكثر من هذا حتى يمكن بلوغ أمية مبلغ الرجال فى المساجلة وتأثل المال ولا سبيل لترجيح عبد شمس على هاشم فى السن وعكسه الا بالنقل ولا نقل فى ذلك ولا فى مقدار تقدم كل منهما على أخيه فيه ولا فى ابطال ماجزموا به من عمر هاشم وقد ذكروا أن عبد المطلب تربى بالمدينة عند إخواله بنى النجار من الخزرج فقدم به عمه المطلب مكة وأوقفه على ملك أبيه وسلمه اليه ولما مات المطلب وثب عليه عمه الباقى نوفل بن عبد مناف فاغتصب أرضه فمشى عبد المطلب إلى رجال قومه فسألهم النصرة على عمه فقالوا لسنا بداخلين بينك وبين عمك فلما رأى ذلك كتب إلى إخواله يصف لهم حال نوفل معه فخرج أبو أسعد بن عدس النجارى فى ثمانين راكبا وبلغ عبد المطلب فخرج الى الأبطح فتلقاه وقال المنزل ياخال فقال حتى ألقى نوفلا فأقبل ونوفل جالس فى الحجر مع مشايخ قريش حتى وقف على رأسه ثم سل سيفه وقال ورب هذه البنية لتردن على

ابن اختناركحه أو لأملأن منك السيف قال فانى ورب هذه البنية أرد ركحه فأشهد عليه من حضر وأقام عند عبد المطلب ثلاثا واعتمر ورجع إلى المدينة فقال فى ذلك أبو عمرو الكنانى :

لعمرى لأخوال لشيبة قصرة … من اعمامه دنيا أبر وأوصل
أجابوا على بعد دعاء ابن أختهم … ولم يثنهم إذ جاوز الحق نوفل
جزى الله خيرا عصبة خزرجية … تواصوا على بر وذو البر أفضل

فلما رأى ذلك نوفل حالف بنى أخيه عبد شمس على بنى هاشم فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحلف فحالف خزاعة فى الكعبة وكتبوا بينهم كتابا . فأمية ابن عبد شمس لم يبلغ فى الرفعة والشرف منزلة ابن عمه عبد المطلب فضلا عن عمه هاشم وسيادة عبد المطلب على قريش وشهرته فى العرب أوضح فى التاريخ من الشمس ونقل ابن كثير فى بدايته فى ترجمة معاوية عن المدائنى عن سلمة قال قيل لمعاوية أيكم كان أشرف أنتم أو بنو هاشم قال كنا أكثر أشرافا وكانوا هم أشرف فيهم واحد لم يكن فى بنى عبد مناف مثل هاشم فلما هلك كنا أكثر عددا وأكثر أشرافا وكان فيهم عبد المطلب لم يكن فينا مثله فلما مات صرنا أكثر عددا وأكثر أشرافا ولم يكن فيهم واحد كواحدنا فلم يكن الا كقرار العين حتى قالوا منا نبى فجاء نبى لم يسمع الأولون والآخرون بمثله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فمن يدرك هذه الفضيلة وهذا الشرف اه .

التهويش والتلبيس

والكذب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى التاريخ

قال فى ص ٩٧ ج ٢ وقد كان حرب بن أمية قائد قريش كلها يوم الفجار وهو الذى تحمل الديات فى ماله حينما دعا الناس إلى الصلح فى ذلك اليوم رهن لسدادها ولده أبا سفيان وكان حرب يسمر مع عبد المطلب بن هاشم

وقد دامت الألفة بينهما طويلا وأبو سفيان كان صديقا للعباس بن عبد المطلب فلم يكن هذان البطنان متعاديين فى الجاهلية كما يظنه بعض من لا يدقق فى المسائل التاريخية وإنما كان يظهر فى بعض الأحيان شيء من التنافس الضرورى وجوده فى الأحيان المتقاربة ، وقد أشرنا الى ذلك فيما مضى ولم يكن هذان البطنان مختلفين فيما به الشرف فى الجاهلية الأولى بل كان كل منهما قد أخذ منه قسطا وافراً لما جاءت النبوة ودعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس إلى الله أجابه من بنى عبد شمس جمع كما أجابه من بنى هاشم وعاداه كثير من هؤلاء كما صد عنه كثير من أولئك إلا أن بنى هاشم وبنى المطلب حدبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم للعصبية القومية العربية حيث حماه أبو طالب كبير بيته (ثم قال) جاءت الحروب الإسلامية والمشاهد الكبرى النبوية من بدرفما بعدها ولم ينل حظ الوقوف بجانب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا عدد قليل من بنى عبد شمس وكان القائد الأكبر لقريش فى بدر من بنى عبد شمس بن عبد مناف وهو عتبة ابن ربيعة ورئيسهم فى أحد والأحزاب أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ولم يزل الأمر على ذلك حتى تأذن الله بفتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة وكان أبو سفيان رجلا عظيما فى نفسه ذا شرف يخشى على قومه أن تصيبهم مهانة أو مذلة ويتبع تلك الصفة غالبا محبة الفخر والذكر فأنهى العباس ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأعطاه الرسول فى ذلك اليوم تأليفا له وتحببا اليه مالم يعطه أحداً وهو أن أمر منادياً ينادى بمكة من أغمد سيفه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فسوى بين بيته وبين بيت الله وهذا شرف عظيم لم ينل أحد مثله للان وفى ذلك اليوم أسلم معظم المتأخرين عن الاسلام من رجالات قريش وذوى النجدة فيها وكانوا يسمون مشيخة الفتح وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسر الناس باسلامهم وكان يقابلهم قائما فاتحا ذراعيه معا نقالهم كما فعل بصفوان بن أمية والحارث بن هشام وغيرهم ولم ير

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان عفوه عنهم سيكون عيباً لاحقا بهم يعيرون به فى مستقبل أيامهم.وبعد انتهاء فتح مكة ولى عليها شابا من بنى عبدشمس استعمل أبو بكر مشيخة الفتح ومن لم تلحقهم أعمالهم بالسابقين فى حروب الردة فابلوا فيها بلاء عظيما وأغنوا غناء حسنا ثم سير بهم إلى ثغور الشام ، ثم قال ، وممن اشتهر غناؤهم وعظم ذكرهم يزيد بن أبى سفيان فقد كان ولاه أبو بكر قيادة أحد الجنود الأربعة التى توجهت لفتوح الشام وكان الوالى على دمشق لعمر بن الخطاب وكان أخوه معاويه عاملا على احدى الجهات الشامية فلما مات يزيد استعمل عمر على عمله أخاه معاوية مضافا إلى ماكان له قبل من العمل اه .أقول لما غلبت خزاعة جرهما على مكه والحرم التى هؤلاء قبل خروجهم منه فى زمزم غزالين من ذهب وسيوفا ودروعا وطموها حتى لا تنتفع بها خزاعة فبقيت لا يعرف مكانها مع علم قريش بأن لأبيهم إسماعيل بئرا حول الكعبة إلى زمان عبد المطلب ابن هاشم فأمر بحفرها فى رؤيا رآها ثلاث ليال ودل عليها فحفرها واستخرج السيوف والدروع فجعلها بابا للكعبة وحلاه بالغزالين قال ابن اسحاق فعفت زمزم على المياه التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف اليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ماسواها من المياه ولأنها بئر اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب فقال مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة وما أقاموا للناس من ذلك وبزمزم حين ظهرت لهم وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد شرف بعضهم لبعض شرف وفضل بعضهم لبعض فضل .

ورثنا المجد من آبا ثنا فنما بنا صعدا
ألم نسق الحجيج ونن حر الدلاقة الرفدا
ونلقى عند تصريف الـ منايا شددا رفدا
فان نهلك فلم نملك ومن ذا خالد أبدا

وزمزم في أرومتنا ونفقأ عين من حسدا

فقوله (وقد كان حرب بن أمية قائد قريش كلها يوم الفجار الى قوله وكان حرب يسمر) صحيح وذكره لرفع مقام معاوية تهويش مدفوع بما تقدم من فخر ابن أخيه مسافر بن أبي عمرو وبقول العلماء كان بنو عبدمناف أهل بيت واحد شرف بعضهم لبعض شرف وفضل بعضهم لبعض فضل لجميعهم ، وبأنه ماتولى قائداً على قريش كلها يومئذ إلا لكونه اسن بني عبد مناف وكانوا يقدمون الأسن منهم ، وقد وقعت حرب الفجار في شعبان بعد وفاة عبد المطلب باثنتي عشرة سنة وعمره صلى الله تعالى عليه وسلم عشرون سنة ، وفي ذي العقدة بعد ثلاثة أشهر منها ضم بنو هاشم إلى شرفهم التألد الخالد شرفا آخر مؤبداً بجده لهم إلى قيام الساعة ليس شرف ساعة أو يوم ذاك هو حلف الفضول المعقود لنصر كل مظلوم بمكة من أهلها أو من غيرهم ويعسوبه الذي بدأ الكلام فيه ودعا اليه الزبير بن عبد المطلب عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي وكان ذاقدر وشرف في قريش ولم يعطه ثمنها فاستعدى عليه الزبيدي الاحلاف من قريش وهم بنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب فأبوا أن يعينوه على العاص وانتهروه فلما رأى الزبيدي ذلك طلع على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة وصاح بأعلى صوته .

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام الزبير بن عبد المطلب وقال ما لهذا مترك فاجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب ابنا عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان التيمي لسنه وشرفه فصنع لهم طعاماً وتحالفوا في ذي القعدة قياماً وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يداً

واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة ومارساً حراء وثبير مكانهما وعلى التأسى فى المعاش ، فسمت قريش هذا الحلف حلف الفضول فقالوا لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر ، وكان هذا الحلف أكرم وأشرف حلف سمع به فى العرب ، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه بضاعة الزبيدى ودفعوها إليه وقال الزبير بن عبد المطلب فى ذلك :

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا　　ألا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا　　فالجار والمعتر فيهم سالم

وقال أيضاً :

حلفت لنعقدن حلفا عليهم　　وإن كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا　　يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت انا　　أباة الضيم نمنع كل عار

وقدم رجل من خثعم مكة معتمراً أو حاجا ومعه بنت يقال لها القتول من أجمل نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج السهمى وغيبها عنه فقال الخثعمى من يعدينى على هذا الرجل فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة وقال ياالحلف الفضول فإذا هم يعنقون إليه من كل جانب وقد انتضوا سيوفهم يقولون جاءك الغوث فما لك فقال إن نبيها ظلمنى فى ابنتى وانتزعها منى قسراً فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فقال افعل ولكن متعونى بها الليلة فقالوا لا والله ولا سبحة لقحة فأخرجها إليهم وهو يقول :

راح صحبي ولم أحيِّ القتولا　　لم أودعهم وداعا جميلا
إذ أجد الفضول أن يمنعوها　　قد أرانى ولا أخاف الفضولا

روى الحميدى والحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب

ان لى به حمر النعم ولو دعيت اليه فى الإسلام لأجبت) وقدأراد الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما أن يدعو به فى الإسلام لمنازعة بينه وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فى مال وكان الوليد يومئذ أميراً على المدينة لعمه معاوية فتحامل على الحسين فى حقه لسلطانه فقال له الحسين أحلف بالله لتنصفنى من حق أو لآخذن سيفى ثم لأقومن فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم لأدعون بحلف الفضول فقال عبد الله بن الزبير وكان حاضراً وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا وبلغ ذلك المسور بن مخرمة الزهرى فقال مثل ذلك وبلغ عبد الرحمن بن عثمان بن عبيدالله التيمى فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى ، ووفد محمد بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ابن عبد مناف على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير رضى الله عنهما فلما دخل عليه قال له ياأبا سعيد ألم نكن نحن وأنتم يعنى بنى عبد شمس وبنى نوفل ابنى عبد مناف فى حلف الفضول قال أنت أعلم فقال عبدالملك لتخبرنى ياأبا سعيد بالحق من ذلك فقال لا والله لقد خرجنا نحن وأنتم منه قال صدقت .

وقوله (وكان حرب يسمر مع عبد المطلب بن هاشم) صحيح ومنادمته له دليل على تفوقه عليه فى الشرف وقد قطع عبد المطلب منادمة حرب ونادم عبد الله بن جدعان التيمى وسبب ذلك أن جارا يهودياً لعبد المطلب يقال له أذينة كان تاجراً وله مال كثير فغاظ ذلك حرب بن أمية فأغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله فقتله عامر بن عبدمناف بن عبدالدار وصخر بن عمرو بن كعب التيمى جد أبى بكر فلم يعرف عبد المطلب قاتله فلم يزل يبحث حتى عرفهما واذا هما قد استجارا بحرب بن أمية فأتى حرباً ولامه وطلبهما منه فأخفاهما فتغالظا فى القول حتى تنافرا وجعلا بينهما نفيل

ابن عبد العزى العدوى جد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فحكم على حرب فأخذ منه عبد المطلب مائة ناقة دفعها الى ابن عم اليهودى .

وقوله (وأبو سفيان كان صديقا للعباس بن عبد المطلب) صحيح ولكن انتفاع أبى سفيان بصداقة العباس أكثر من انتفاع العباس بصداقته كما ذكر ذلك ابن عباس لمعاوية فى محاورة وأعظم انتفاع لأبى سفيان بالعباس يوم الفتح فانه لولا العباس لذهب أبو سفيان ضحية لسيف الفاروق ، ولولاه ماقال صلى الله تعالى عليه وسلم (من دخل دار أبى سفان فهو آمن) .

قدم قيس بن نشبة السلمى مكة فى الجاهلية فباع ابلا له فلواه المشترى حقه وكان يقوم فيقول :

يا آل فهر كنت فى هذا الحرم فى حرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لايمنع منى من ظلم

فبلغ ذلك العباس بن مرداس فكتب اليه أبياتا منها

وائت البيوت وكن من أهلها مددا تلق ابن حرب وتلق المرء عباسا

فقام العباس بن عبد المطلب وأخذ له بحقه وقال أنا لك جار مادخلت مكة فكانت بينه وبين بنى هاشم مودة حتى بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوفد عليه قيس وأسلم وحسن اسلامه .

وقوله (فلم يكن هذان البطنان متعاديين إلى قوله ولم يكن هذان البطنان مختلفين) صحيح ان لم يثبت حسد أمية بن عبد شمس لعمه هاشم ومنافرته له ومغلوبيته فيها ولم يثبت اغتصاب نوفل بن عبد مناف أركاح ابن أخيه عبدالمطلب ومحالفته لبنى أخيه عبدشمس على بنى أخويه هاشم والمطلب لما أرجع بنو النجار لابن أختهم عبد المطلب أركاحه منه قهرا ولم تثبت دسيسة حرب بن أمية على قتل جار عبد المطلب وأخذ ماله ومنافرته له ومغلوبيته فيها ، فان لم يصح هذا كله مع كونه منقولا فى التاريخ ومع

كون الباغى البـادىء بالشر نوفلا وأمية وحربا ، فقد صحت بل تواترت عداوة بنى عبدشمس وبنى نوفل لبنى عميهم هاشم والمطلب بعد بعثته عليه الصلاة والسلام ودعائه لهم مع قريش الى الدين الحق فقد ظاهروا قريشا فى كل موطن قاموا به ضد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقرابتهم بنى هاشم والمطلب وأشهرها اتفاقهم مع قريش على كتابة الصحيفة الظالمة على مقاطعة بنى هاشم والمطلب حتى يسلموا اليهم النبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه فدخل بسبب ذلك بنو هاشم وبنو المطلب الشعب مع أبى طالب وانحـازوا هم مع قريش وحاصروا معهم بنى عمهم فيه واتفاقهم أيضا مع قريش على قتله صلى الله عليه وسلم فى داره ليلة هجرته ، ولأجل ماذكر قال صلى الله عليه وسلم لجبير بن مطعم وعثمان بن عفان رضى الله عنهما ، (انما بنو هاشم والمطلب شىء واحد) روى الإمام البخارى فى صحيحه عن جبير بن مطعم قال مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله صـلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله أعطيت بنى المطلب من خمس غنـائم خيبر وتركتنا ونحن وهم منـك بمنزلة واحدة فقال (انما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد) وفى رواية قال إنا وبنو المطلب لم نفترق فى جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شىء واحد وشبك بين أصابعه) وبهذا تحقق عدم معرفته لظاهر التاريخ فضلا عن تدقيق مسائله وقوله (ولم يكن هذان البطنان مختلفين فيما به الشرف فى الجاهلية الأولى إلى قوله لما جاءت النبوة) صحيح ولـكن جسام المكارم كانت بيد الهاشميين كما نطق به التاريخ .

وقوله (لما جاءت النبوة إلى قوله ان بنى هاشم) تلبيس فى قوله أجابه من بنى عبد شمس جمع كما أجابه من بنى هاشم يقتضى أن الذين أجابوه إلى الإسلام من بنى عبد شمس مثـل الذين أجابوه من بنى هاشم وهو كذب على التاريخ فان الذين بادروا إلى الإسلام فى أول الدعوة من بنى عبدشمس وبنى نوفل وحلفائهم قليلون جدا وجل بنى هاشم والمطلب وحلفائهم أسلم

وفى قوله (وعاداه كثير من هؤلاء) يعنى بنى هاشم وبنى المطلب وهو كذب على التاريخ أيضاً بل صادقه ودافع عنه جلهم إلا عمه أبا لهب ، وقوله (كما صد عنه كثير من أولئك) يعنى بنى عبد شمس وبنى نوفل غير صحيح بل جلهم عاداه وصد عنه وقوله (إلا أن بنى هاشم وبنى المطلب حدبا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للعصبية القومية العربية حيث حماه أبو طالب كبير بيته) تلبيس أيضاً صحيح فى الذين لم يسلموا منهم فانهم حدبوا عليه كما قال أما المسلمون منهم فانهم حدبوا عليه للدين لا للعصبية القومية العربية وكانوا كلهم ركناً شديداً فى حمايته صلى الله عليه وسلم ، وقوله (حيث حماه أبو طالب كبير بيته) صحيح ولكن ليس أبو طالب كبير بيته فقط بل هو سيد فى قريش مرموق من أشرافهم بعين الإجلال والتوقير مع كونه فقيراً وكان يقال لم يسد من قريش مملق إلا عتبة ابن ربيعة وأبو طالب فإنهما سادا بغير مال قال معاوية بن أبى سفيان يخاطب عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما .

نجوت وقد بل المرادى سيفه ... من ابن أبى شيخ الأباطح طالب

وقد زاد شرفه وشدة شكيمته على قريش لما طلبوا منه أن يسلم اليهم النبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه فى زعمهم لأنه سب آلهتهم وسفه أحلامهم ويعطوه بدله عمارة بن الوليد بن المغيرة يتخذه ابناً فأبى فكتبوا تلك الصحيفة الظالمة وقد ذكر بن اسحاق فى سيرته قصته معهم مفصلة وذكر كثيراً من قصائده الحماسية فى ذلك منها قصيدته اللامية التى مطلعها :

ولما رأيت القوم لا ود فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة ... يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة ... وابيض عضب من تراث المقاول

ومنها :

يطاع بنا أمر العدا ود أننا ... يسد بنا أبواب ترك وكابل

كذبتم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم فى بلابل
كذبتم وبيت الله نبزى محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم بالحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وانا لعمر الله إن جد ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل
بكف فتى مثل الشهاب سميدع أخى ثقة حامى الحقيقة باسل
شهوراً وأياماً وحولا محرماً علينا وتأتى حجة بعد قابل
وما ترك قوم لا أبالك سيداً يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضل

ومنها :

جزى الله عنا عبدشمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل
بميزان قسط لا يخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا بنى خلف قيضاً بنا والغياطل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصى فى الخطوب الأوائل

والركن الشديد على أحد الأقوال فى قوله تعالى ﴿ لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾ هو عشيرة الرجل وعليه قالوا ما بعث الله نبياً بعد لوط إلا فى عزة من قومه ويؤيده قول قوم شعيب له عليه الصلاة والسلام لما أفحمهم بالحجج ولجأوا إلى التهكم والسفاهة ﴿ ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز ﴾

وقوله : (جاءت الحروب الإسلامية والمشاهد الكبرى النبوية إلى قوله وكان أبو سفيان رجلا عظيما فى نفسه) صحيح فلم يحضر بدراً الكبرى مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بنى عبد شمس غير أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعثمان بن عفان تخلف لتمريض زوجه رقية بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو بدرى بالسهم والأجر وحضرها معه من حلفائهم ستة

عشر رجلا ولم يحضرها من بنى نوفل معه صلى الله تعالى عليه وسلم غير حليفهم عتبة بن غزوان وحليفه قال المفسرون نزل قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلو قومهم دار البوار ﴾ فى قريش المقاتلين له صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر وروى عن الخليفتين الفاروق وحيدرة انها نزلت فى الأفجرين من قريش بنى مخزوم وبنى أمية فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين وأما بنو مخزوم فأهلكوا يوم بدر ويشهد له ان قتلى قريش بها سبعون رجلا أربعة وعشرون من بنى مخزوم وباقيهم من سائر بطون قريش وقوله (وكان أبو سفيان رجلا عظيما فى نفسه إلى قوله وفى ذلك اليوم أسلم معظم المتأخرين) تهويش وكذب على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى التاريخ فقوله وكان أبو سفيان رجلا عظيما فى نفسه تهويش لا معنى له ، وقوله ذا شرف يخشى على قومه أن تصيبهم مهانة أو مذلة مشترك بين رؤساء قريش قبل الإسلام وبعده لا عظمة لأحد فى نفسه ولا شرف له إلا بالتقوى والتفقه فى الدين قال الله تعالى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام اذا فقهوا) وقال أيضا (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين) ومحبة الفخر والذكر ناشئة عن العظمة وليست تابعة لها ، قال ابن هشام فى سيرته قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم. أمر بقتلهم وان وجدوا تحت أستار الكعبة وقال أيضا قال العباس قلت يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن اه .

وفى الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، وبهذا تحقق كذبه على التاريخ وعلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سبعة مواضع من قوله فأعطاه الرسول الى قوله وفى ذلك اليوم أسلم

معظم المتأخرين ، (١) تأليفا له ، فالتأليف هنا لامحل له على أنه انما يكون بالمال وقد أعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم من غنائم هوازن فى حنين مثل سائر المؤلفة قلوبهم من أشراف قريش ورؤساء العرب وممن أعطاهم من رؤساء قريش مثله حويطب بن عبد العزى والحارث بن هشام بل أعطى صفوان بن أمية شعباً مملوءاً غنماو لاشك أن هذا أكثر مما أعطيه أبو سفيان (٢) (وتحببا اليه) هذا اللفظ علاوة على كونه افتراء عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قبيح جدا فى جانبه عليه الصلاة والسلام يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام محتاج الى أبى سفيان فيتحبب اليه أى يطلب محبته وعطفه ، (٣) مالم يعطه أحدا ، (٤) أمر منـاديا ينـادى بمكة (٥) من أغمد سيفه فهو آمن (٦) فسوى بين بيته وبين بيت الله (٧) وهذا شرف عظيم لم ينل أحد مثله للآن ، فاذا كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد عهد لأمرائه بأن لا يقاتلوا بمكة إلا من قاتلهم فهذا أمان عام منه صلى الله عليـه وسلم لكل مشرك قرشى وغيره لم يقاتل المسلمين ولو لم يدخل بيوتها ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (١)(من دخل دار أبى سفيان فهو آمن) (٢) (ومن دخل المسجد فهو آمن)(٣) ومن أغلق عليه بابه فهو آمن بالعطف بالواو التى تقتضى مطلق التشريك فى الحكم(٤) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم(من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن)، تخصيص بعد تعميم مشترك بين هذه الأربعة دار أبى سفيان ودار حكيم ابن حزام وبيت كل واحد من قريش وبيت الله فقصره المساواة لبيت الله فى هذا الشرف العظيم الأمان على دار أبى سفيان جهل بالتاريخ وايغال فى التعصب لمعاوية وقوله (وفى ذلك اليوم أسلم معظم المتأخرين عن الإسلام الى قوله وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسر الناس بإسلامهم) صحيح ولتقدم كثير من رؤسائهم فى السن سموا مشيخة لا لما قصده فى سياق كلامه من تقدمهم فى الفضيلة على أهل السابقة فان كتـاب الله والسنة الصحيحة كذباه قال الله تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله

الحسنى ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد لما بلغه أنه سب عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنهما (دعوا أصحابى لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه) هذا مع كون خالد أفضل من هؤلاء المشيخة قطعاً لأنه أسلم مختارا وهاجر قبل الفتح ، والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسره إسلام جميع الناس ولكن قوله (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسر الناس باسلامهم) لم يذكر فى كتب السير والأحاديث فهو من وضعه لرفع مقام معاوية رضى الله عنه

وقوله (وكان يقابلهم الى قوله ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم) افتراء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثلاث كلمات احوال مترادفة فى جملة واحدة وهى قوله وكان يقابلهم قائما فاتحا ذراعيه معانقالهم ، لم يردعه الحديث المتواتر الذى رواه اكثر من ستين صحابياً عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) عن كثرة الافتراء عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اجل هذا الوعيد الشديد فى هذا الحديث اتفق علماء الاسلام على ان الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم من اكبر الكبائر كما اتفقوا على انه لا يسوغ لمسلم ان يقول قال رسو الله صلى الله عليه وسلم حتى يتحقق من اخرجه من ائمة الحديث المشهورين كاصحاب الكتب الستة وليعتقد البسطاء صدقه مثل لافترائه بصفوان ابن امية والحارث بن هشام وزاد فى البهتان عليهما قوله وغيرهم يعنى جميع مسلمة الفتح كان صلى الله عليه وسلم يقابلهم . فاتحا معانقا قائما إلى آخر الافتراء وهذه كتب الحديث صحاحاً ومسانيد وكتب السير وطبقات الصحابة لا يوجد فيها ولو برواية ضعيفة مفتراه ، وهذه ترجمة صفوان بن امية والحارث بن هشام وسهيل ابن عمرو وهم من مشيخة الفتح ورؤساء قريش من الاستيعاب والاصابة والسيرة ، صفوان بن امية الجمحى هرب يوم الفتح فلحقه ابن عمه عمير بن وهب بأمان من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرجع معه حتى وقف به عنده صلى الله تعالى

عليه وسلم فقال ان هذا يزعم انك قدامنتنى قال صدق قال فاجعلنى فيه (يعنى الاسلام) بالخيار شهرين قال انت بالخيار فيه اربعة اشهر وحضر حنيناً مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مشرك فأعطاه من غنائم هوازن كثيراً فقال صفوان اشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي فأسلم وروى مسلم والترمذى عنه انه قال لقد اعطانى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لأبغض الناس الى فما زال يعطينى حتى إنه لأحب الناس الى قالوا كان صفوان بن امية احد العشرة الذين انتهى اليهم شرف الجاهلية ووصله لهم الاسلام من عشر بطون من قريش . والحارث بن هشام المخزومى أخو أبي جهل اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وكان من المؤلفة قلوبهم ومن فضلاء الصحابة وخيارهم خرج فى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأهله وماله من مكة إلى الشام مجاهداً فتبعه أهل مكة يبكون فقال لهم لو استبدلت بكم داراً بدار ما أردت بكم بدلا ولكنها النقلة إلى الله فلم يزل مجاهداً بالشام حتى مات فى طاعون عمواس رضى الله عنه كما مات به سهيل بن عمرو أحد مشيخة قريش وسيد بنى عامر بن لؤى أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ولما وقف عليه الصلاة والسلام يومه عند الكعبة واجتمعت اليه قريش وقال لهم ماذا تقولون قال له سهيل هذا نقول خيراً ونظن خيراً أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت وكان رضى الله تعالى عنه خطيب قريش وهو الذى تولى مصالحة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الحديبية عن قريش وقد أسر يوم بدر فقال عمر رضى الله عنه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعنى انزع ثنيتى سهيل فلا يقوم عليك خطيبا ابدا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم دعه فعسى أن يقوم مقاما تحمده فلما توفى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وارتدت العرب وماج أهل مكة قام سهيل بن عمرو خطيبا فيهم فقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت والله إنى لأعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها إلى غروبها فلا يغرنكم هذا من أنفسكم (يعنى أبا سفيان) فانه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم ولكنه قد جثم

على صدره حسد بنى هاشم ، روى البخارى فى تاريخه والباوردى عن الحسن البصرى قال كان المهاجرون والأنصار بباب عمر فجعل يأذن لهم على قدر منازلهم وثم جماعة من الطلقاء فنظر بعضهم إلى بعض وقال أبو سفيان مارأيت كاليوم قط انه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت الينا فقال لهم سهيل بن عمرو على أنفسكم فاغضبوا دعى القوم ودعيتم فاسرعوا وأبطأتم أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتا من بابكم هذا الذى تتنافسون فيه فكيف بكم اذا دعيتم الى أبواب الجنة ، ودخل مع الحارث ابن هشام رضى الله تعالى عنهما على أمير المؤمنين عمر يوما فجلسا وهو بينهما فجاء المهاجرون الأولون فجعل عمر يقول ههنا يا سهيل ههنا ياحارث فينحيهما عنه وجعل الأنصار يأتون فينحيهما عنه كذلك حتى صارا فى آخر الناس فلما خرجا من عند عمر قال الحارث بن هشام لسهيل بن عمرو ألم تر ما صنع بنا فقال سهيل بن عمرو إنه الرجل لالوم عليه - ينبغى أن نرجع باللوم على أنفسنا دعى القوم فأسرعوا ودعينا فأبطأنا فلما قام الناس من عند عمر أتياه فقالا له ياأمير المؤمنين قد رأينا مافعلت بنا اليوم وعلمنا أنا اتينا من قبل أنفسنا فهل من شيء نستدرك به مافاتنا من الفضل فقال لا أعلم إلا هذا الوجه وأشار لهما إلى ثغر الروم فخرجا إلى الشام فماتا بها وروى ابن شاهين من طريق ثابت البنانى قال قال سهيل بن عمرو والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقه أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمرى أن يتلو بعضه بعضا. وقوله (ولم ير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى قوله وبعد انتهاء فتح مكة) لمز لأمير المؤمنين حيدرة بأنه كان يعير معاوية بأنه من الطلقاء وهو افتراء عليه لا يستطيع أحد أن يثبته عليه ولو مرة واحدة وليس التعيير من شيم الافاضل من غير الصحابه فضلا عن الصحابة فضلا عن أكابرهم على أنه على فرض صحته عنه ليس بتعيير لأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقبهم به فان كان ذما فقد ذمهم الرسول به من قبله فهو مقتد به وإن كان تعييرا فقد

غيرهم به الفاروق من قبله فله اسوة به . قال الحافظ بن حجر فى فتحه فى باب الاستخلاف ج ١٣ مانصه : أخرج ابن سعد من طريق عبد الرحمن ابن أبزى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال هذا الأمر (يعنى الخلافه) فى أهل بدر مابقى منهم أحد ثم فى أهل أحد ثم فى كذا وليس فيها لطليق ولا لمسلمة الفتح شيء اه .

وقد تقدم النقل عن الحسن البصرى رحمه الله تعالى أنه قال فى إذن عمر للصحابة على قدر منازلهم (وثم جماعة من الطلقاء) نعوذ بالله من الجهل المركب بتاريخ الذين مدحهم الله وأثنى عليهم ومن الحقد عليهم ، وقوله (وبعد انتهاء فتح مكة ولى عليها شابا من بنى عبد شمس) صحيح وهو عتاب ابن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس وكان عمره حين ولى نيفا وعشرين سنة وأبوه أسيد ابن عم أبى سفيان بن حرب ، ويقال له لم ترك صلى الله عليه وسلم عظيم الشرف الذى تحبب اليه فى زعمك فلم يوله على مكة مع سنه وقربه إلى أمية وولى الشاب الذى هو أبعد منه فى النسب إلى أمية. قالوا كان عتاب صالحاً فاضلا شديدا على المريب لينا على المؤمنين ، لما دحر الخليفة أبو بكر رضى الله عنه الاعراب المرتدين بالأبرق عقد أحد عشر لواء لأجلاء من الصحابة لقتال المرتدين وهم خالد بن سعيد بن العاص الأموى وعمرو بن العاص السهمى وخالد بن الوليد والمهاجر بن أبى أمية وعكرمة بن أبى جهل المخزوميون وهؤلاء كلهم من صميم قريش ليس فيهم من مشيخة الفتح غير عكرمة. والعلاء بن الحضرمى وحذيفة بن محصن الغلفاءى وسويد بن مقرن المزنى وعرفجة بن هرثمة وشرحبيل بن حسنة ومعن بن حاجز وأرسل الصديق أربعة قواد إلى الشام لحرب الروم أبو عبيدة بن الجراح وهو أجلهم وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان وهذا من مشيخة الفتح فلم يكن فى القواد الاحد عشر من مشيخة الفتح غير عكرمة ولم يكن منهم فى القواد الأربعة غير يزيد ابن أبى سفيان وبهذا ظهر كذبه على التاريخ فى قوله بصيغة الجمع (استعمل

أبو بكر مشيخة الفتح ومن لم تلحقهم أعمالهم بالسابقين فى حروب الردة فابلوا فيها بلاء عظيما واغنوا اغناء حسناً) ولم يكتف بهذا الكذب المكشوف على الصديق وعلى التاريخ وهو بين أيدينا بل ترقى فيه فقال (ثم سيرهم إلى ثغور الشام) وقواد الجيوش بالشام كلهم اشتهر غناؤهم وعظم ذكرهم بها وقد ولى الفاروق لما تولى الخلافة أبا عبيدة بن الجراح قائدا عاماً لجيوش المسلمين بها واستخلف أبو عبيدة لما مات فى طاعون عمواس معاذ بن جبل جبل رضى الله عنهما واستخلف هذا عند موته عقب أبى عبيدة عمرو بن العاص أسلم يزيد بن أبى سفيان يوم الفتح وحسن إسلامه واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على صدقات أخواله بنى فراس من كنانة قالوا كان من فضلاء الصحابة وقال أبو عمر بن عبد البركان أفضل أولاد أبى سفيان وكان يقال له يزيد الخير وأمره عمر على فلسطين وأقره على دمشق لما مات معاذ ابن جبل وكان معاذ استخلفه عليها وقوله (فقد كان ولاه أبو بكر قيادة أحد الجنود الأربعة التى توجهت لفتوح الشام) صحيح قال ابن حجر فى الإصابة فى ترجمة أبى سفيان روى يعقوب بن سفيان وابن سعد باسناد صحيح عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول يانصر الله اقترب قال فنظرت فاذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد ويقال فقئت عينه يؤمئذ وروى يعقوب أيضا من طريق ابن إسحاق عن وهب بن كيسان عن ابن الزبير قال كنت مع أبى عام اليرموك فلما تعبي المسلمون للقتال لبس الزبير لامته ثم جلس على فرسه وتركنى فنظرت إلى ناس وقوف على تل يقاتلون مع الناس فأخذت فرساً ثم ذهبت فكنت معهم فاذا أبو سفيان فى مشيخة من قريش فجعلوا إذا مال المسلمون يقولون ايه بنى الأصفر وإذا مالت الروم يقولون ياويح بنى الأصفر وهذا يبعده ماقبله والذى قبله اصح اه .

وجل مشيخة الفتح لم يحضروا حروب الردة ولا غيرها ولم يبرحوا من

الحجاز منهم حكيم بن حزام وحويطب بن عبد العزى ومخرمة بن نوفل وسعيد بن يربوع وصفوان بن أمية وغيرهم .

وقوله (وكان أخوه معاوية عاملا على احـدى الجهات الشامية) غير صحيح ، وقوله (فلما مات يزيد استعمل عمر على عمله أخاه معاوية مضافا الى ماكان له قبل من العمل) صوابه استخلفه أخوه يزيد على عمله لما مرض وأقره أمير المؤمنين عمر عليه ولم يكن عاملا قبل هذا على شيء حتى يضاف هذا اليه ، قد أعماه غلوه فى رفعـة مقام معاوية وحط مقـام على الى أقصى ما يمكنه عن تاريخهما فامتطى له هواه فسار به على جادة الأباطيل والافتراء عليهما وعلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من أمية بن عبد شمس الى هنا كما سار به عليها من أول بحث الخلافة الى أمية فقـــد وقع فيما رمى به المؤرخين فى مقدمة محاضراته من تعصبهم وتحكيمهم فى حوادثه عواطفهم بل أربى عليهم قال فيها (كثير ممن اشتغلوا بالتاريخ كانت عواطفهم تتحكم فى حوادثه تحكما تضيع به الفائدة من دراسة التاريخ فان عاطفة الحب تجعل ماليس بحسن حسنا وتجتهد فى تأويل الحوادث بوجه ليس فيه غضاضة حتى ماأدى منها الى سقوط فاعله وخيبته ، وعاطفة الكراهة تدعو الى ضد ذلك فتجعل الحسن قبيحاً وتستنبط من الخير شرا ولم يخاص من هذا الشر العظيم الذى يطمس معالم التاريخ ويضيع الفائدة من تجارب الأمم الا نفر قليل جداً اه) فقد حكم عليـه بهذا الشر العظيم ابن أخت خالته ، كما أربى على الواضعين قديماً فى فضائل معاوية أشياء لاأصل لها قال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب المناقب ج ٧ عنـد قول الإمام البخارى (ذكر معاوية) :قال الامام اسحق بن راهويه والنسائى وغيرهما لم يصح فى فضائل معاوية شيء ، أخرج ابن الجوزى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبى ما تقول فى على ومعاوية فأطرق ثم قال اعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه له عيبا فلم يجـدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه فاطروه كيدا منهم لعلى قال

ابن حجر فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له اه.
قلت وقد ذكر ابن كثير فى بدايته فى ترجمة معاوية رضى الله عنه كثيرا من المختلقات الموضوعة فى فضائله منها قال (قال محمد بن سعد أنبأنا على بن محمد عن محمد بن الحكم عمن حدثه أن معاوية لما احتضر أوصى بنصف ماله أن يرد الى بيت المال كانه يريد أن يطيب له لأن عمر بن الخطاب قاسم عماله اه) وعلامات الوضع على هذه الاسطورة ظاهرة فى أوجه كثيرة منها محمد ابن الحكم بهذا اللفظ مجهول وقوله عمن حدثه أن معاوية، أشد توغلا فى الجهل بحال من حدثه فيعتبر هذا السند كله بين معاوية وبينه منقطعاً ومنها قال أنه لما احتضر أوصى بنصف ماله يرد فى بيت المال كانه يريد أن يطيب له، فانه ان تحقق أنه كله ماله فوصيته برد نصفه لبيت المال مخالفة لسنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى وصية المريض بثلث ماله المشروعة المشروحة فى حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وحاشا معاوية رضى الله عنه من مخالفة سنته عليه الصلاة والسلام وان لم يتحقق كونه كله له فالواجب اللائق بمقام صحبته وورعه أن يرده كله لبيت مال المسلمين بمجرد شكه فى ذلك ولا يسوغ له تأخيره الى وقت احتضاره ولا يطيب له مشكوك فيه فى حال صحته فضلا عن حالة مرضه واحتضاره فوصيته برد نصفه لبيت المال مع تحقق ملكيته له مخالفة للسنة ومع عدم تحقق ملكيته له فاسدة لو كانت فى حال الصحة فكيف بحالة المرض لأنها وصية فيما لا يملكه ولا يطيب له النصف الباقى لورثته والحالة هذه، ومنها قوله (لأن عمر بن الخطاب قاسم عماله) فانه تعليل غير مستقيم ومبنى على باطل وتقويمه أن يقال قاسم الخليفة معاوية عماله أموالهم لأن الخليفة عمر بن الخطاب قاسم عماله أموالهم فالمعلل وهو مقاسمة معاوية عماله أموالهم معدوم والمعلل به وهو مقاسمة عمر بن الخطاب عماله أموالهم كذلك ولا يصح أن تكون مقاسمة عمر بن الخطاب لعماله أموالهم لو صحت علة لوصية معاوية عند احتضاره، على أن مقاسمة الفاروق لعماله أموالهم أسطورة قد ابطلتها

سابقاً ، كما ذكر ابن جرير فى ترجمته أيضاً أسطورة دالة على ثلبه رضى الله تعالى عنه لو صحت نصها : حدثنى عبدالله بن أحمد قال حدثنى أبى قال حدثنى سليمان قال حدثنى عبد الله عن حرملة بن عمران قال أتى معاوية فى ليلة أن قيصر قصد له فى الناس وان ناتل بن قيس الجذامى غلب فلسطين وأخذ بيت مالها وأن المصريين الذين كان سجنهم هربوا وأن على بن أبى طالب قصد له فى الناس فقال لمؤذنه اذن هذه الساعة وذلك نصف الليل فجاء عمرو بن العاص فقال لم أرسلت الى قال أناما أرسلت اليك قال ما أذن المؤذن هذه الساعة إلا من أجلى قال رميت بالقسى الأربع قال عمرو أما هؤلاء الذين خرجوا من سجنك فانهم إن خرجوا من سجنك فهم فى سجن الله وهم قوم شراة لارحلة بهم فاجعل لمن أتاك برجل منهم أو برأسه ديته فانك ستؤتى بهم وانظر قيصر فوادعه وأعطه مالا وحللا من حلل مصر فانه سيرضى منك بذاك وانظر ناتل بن قيس فلعمرى ماأغضبه الدين ولا أراد إلا ماأصاب فاكتب اليه وهب له ذلك وهنئه إياه فان كانت لك قدرة عليه ، وإن لم تكن فلا تأس عليه واجعل حدك وحديدك لهذا الذى عنده دم ابن عمك قال وكان القوم كلهم خرجوا من سجنه غير أبرهة بن الصباح فقال له معاوية مامنعك من أن تخرج مع أصحابك قال مامنعنى منه بغض لعلى ولاحب لك ولكنى لم أقدر عليه فخلى سبيله اه) .

أقول علامات الوضع على هذه الأسطورة ظاهرة من ركاكة ألفاظها منها أن ناتل بن قيس غلب فلسطين والصواب على فلسطين وهى باطلة رواية ودراية فبطلانها رواية بستة أوجه :

الأول عبد الله بن أحمد وأبوه ان كان هو ابن أحمد بن حنبل الامام فلا كلام فيهما وان كان غيره فهو مجهول فمن الجائز أن يكون الواضع لها فى تاريخ ابن جرير دلس باسمهما لتروج عند الناس وقد وضع الوضاعون قديماً كتباً مملوءة بالأباطيل ونسبوها لعلماء مشهورين لكى تروج فراجت وسليمان مجهول ، وعبد الله الثانى مجهول أيضاً وحرملة بن عمران التجيبى

المصرى المتوفى سنة ١٦٠ وإن كان ثقة فبينه وبين زمان معاوية مع على رضى الله تعالى عنهما انقطاع كبير ١٦٤ سنة فلو لم يكن فى اسنادها إلا انقطاعها لكان كافياً فى بطلانها .

الثانى : لم يذكر التاريخ الاسلامى أن ناتل بن قيس الجذامى غلب على فلسطين وأخذ بيت مالها فى زمان على ومعاوية .

الثالث : لم يذكر أيضاً هؤلاء المصريين الذين زعمت الأسطورة أن معاوية حبسهم .

الرابع : لم يذكر أيضاً أن قيصر قصد فى الناس لمعاوية .

الخامس : لم يذكر أن معاوية كان فى غفلة عن قصد على له حتى جاءه ذلك مع الحوادث الثلاثه دفعة واحدة فى نصف الليل بل نطق باستعداده لعلى قبل استعداد على له وسبقه إلى محل المعركة صفين .

السادس : لم يذكر أن معاوية أمر مؤذنه بالأذان فى نصف الليل لأجل مباغتة هذه الحوادث الاربع له فيه ولم يذكر مجىء عمرو اليه والمحاورة التى وقعت بينهما واشارته عليه بما أشار به .

وبطلانها دراية من أحد عشر وجهاً : الأول قصد قيصر له لايخلو من أمرين إما أن يكون قد دخل حدود الشام وأغار على المسلمين فقتل وسبى فيستحيل فى هذه الحالة رضاه بمال وحلل من حلل مصر ويستحيل من معاوية موادعته بمال وحلل وعدم رد عاديته وقد أنكى فى المسلمين ولو حصل هذا لنقله التاريخ الإسلامى ولكان طعنا فى دينه ووصما فى شمائله المقطوع بها الحزم والشجاعة وجودة الرأى والتدبير وغيرها ولكان الواجب عليه حينئذ ديناً ومروءة المبادرة إلى مبايعة ابن عمه وأخيه فى الدين والخنوع له بدل الخنوع لقيصر وإما أن يكون لا زال فى داخل بلاده وإنما بعث اليه يهدده بالغزو فموادعته بمال وحلل من حلل مصر فى هذه الحالة مستحيلة من باب أولى لأنها لو وقعت لدلت على منتهى خوره وعلى ضد ما وصفه القرآن به من الشدة على الكفار والرحمة للمؤمنين ، وخضوعه فى هذه الحالة لابن عمه

الذى هو أقوى من قيصر عدوهما معاً بمبايعته والدخول فى طاعته كان أوجب وألزم وأشرف له وأسلم عاقبة وأعز ديناً ومروءة : الثانى دلالتها على غفلة معاوية وعدم حزمه حيث أنه لم يأخذ بالحزم والاحتياط لهذه الطوارىء قبل حلولها حتى دهمته كلها فى دفعة واحدة ليلا وهو الاحوذى الاريب . الثالث الكذب المفضوح فى قوله فقال لمؤذنه أذن هذه الساعة وذلك نصف الليل فجاءه عمرو بن العاص فيقتضى انه لم يجئه أحد غيره وهو ظاهر من سياقها وهذا لا يعقل لان الاذان فى بلدة كبيرة نصف الليل من أمير مصر لا بد أن يستثير جماً غفيراً من أهلها أو يستثير على الاقل أعيان أصحابه بالمبادرة اليه لا شخصا واحداً منهم وإن جاءه أعيان أصحابه فلا بد أن تجول المشاورة بينهم كلهم ثم يأخذ معاوية بعد ذلك بالرأى الذى يراه أقعدوا صلح ومن المستحيل أن يكون معاوية رضى الله عنه وجميع أهل الشام أغبياء لا يحسنون رأيا ولا تدبيراً ولا يسيرهم ولا يدبرهم فى الامور العظيمة إلا عمرو بن العاص وفى قوله فقال لم أرسلت إلى قال أنا ما أرسلت اليك قال ما أذن المؤذن هذه الساعة إلا من أجلى ، الرابع قول معاوية لعمرو فى زعم الواضع رميت بالقسى الأربع وشروع عمرو بالإشارة عليه فى كل واحدة منها قبل استفساره عنها ماهى يدلان على علمهما بها قبل طروقها وعلمهما بها قبل يدل على افتعالها ، الخامس تدل أن معاوية وأهل الشام مغفلون ليس عندهم رأى ولا تدبير إلا عمرو بن العاص فانه الوحيد فى ذلك بينهم بدليل قوله ما أذن المؤذن فى هذه الساعة إلا من أجلى ، السادس لم تكن مصر تحت طاعة معاوية لما قصده حيدرة حتى يأخذ منها حللا يرضى بها قيصر بل كانت تحت طاعة أمير المؤمنين على ولم يستول عليها معاوية إلا فى سنة ثمان وثلاثين بعد انتهاء صفين وأمر الحكمين وقتل الخوارج بالنهروان فهذا كذب مفضوح . السابع زعم أن هؤلاء الهاربين من سجن معاوية مصريون شراة أى خوارج ومصر إذ ذاك تحت طاعة أمير المؤمنين فمن اين لمعاوية بهم حتى سجنهم وإن كانوا شراة فخروجهم ببلدهم على

أميرها لأمير المؤمنين هو المتعين وأميرها هو الذى يتولى تأديبهم بالسجن أو غيره.لامعاوية الذى لا سلطان له على بلدهم فهذا كذب مفضوح أيضاً الثامن لم يذكر مقدار المال والحلل المشار بإعطائهما لقيصر . التاسع لم يذكر هل نفذ معاوية المال والحلل المجهولين لقيصر . العاشر لم يذكر هل رضى قيصر بهما أم سخطهما . الحادى عشر كان حسان بن مالك بن بحدل الكلبى عاملا لمعاوية ولابنه يزيد على فلسطين فلما مات يزيد وابنه معاويةوبايع زفر ابن الحارث بقنسرين لابن الزبير وبايع له بحمص أيضاً النعمان بن بشير والضحاك بن قيس الفهرى بدمشق يبايع له أيضاً سراً ، استخلف حسان بن بحدل على فلسطين روح بن زنباع الجذامى وسار إلى الأردن يدعو إلى بنى أمية فثار ناتل بن قيس الجذامى بروح بن زنباع فأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير أيضاً سنة أربع وستين فلما ملك مروان الشام هرب ناتل من فلسطين ولحق بابن الزبير بمكة ، فتغلبه على فلسطين ومبايعته بها لابن الزبير صحيح ولكن بعد موت معاوية بن يزيد وأين هذا من زمان قصد أمير المؤمنين على لمعاوية فبين الزمانين ثمانية وعشرون عاماً لخروجه على معاوية علاوة على كونه لا يعقل بحال قد فضحه التاريخ ، وقد قرر استاذ فى التاريخ فى مدرسة بمكة المكرمة فى هذه الأيام أن معاويةرضى الله تعالى عنه كان يدفع فى مدة محاربته لعلى رضى الله عنه جزية لقيصر ملك الروم فراجعه الطلبة فصمم على رأيه ، كما قرر هو أوغيره لهم أن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ما تنازل عن الخلافة لمعاوية لحقن دماء المسلمين وإنما تنازل له بها لأنه لايعرف السياسة ويحب المال والنساء ، ولعله اغتر بهذه الأسطورة أو قلد فيها وفى الثانية المستشرقين كغيره من العصريين يقلدون أباطيل الوضاعين ويثقون بطعن الأجانب ودسائسهم فى تاريخ الإسلام ورجاله ولا يثقون بتاريخهم الثابت تواتراً وظنا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله لقد اتسع الخرق على الراقع ، قال المحاضر فى ترجمة معاوية ص ٩٩ (وكان بعد اسلامه يكتب بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى خلافة أبى بكر ولاه

قيادة جيش مدداً لأخيه يزيد بن أبى سفيان وأمره أن يلحق به فكان غازيا تحت امرة أخيه وكان على مقدمته فى فتح مدن صيدا وعرقة وجبيل وبيروت وهى سواحل دمشق ثم ولاه عمر ولاية الأردن ، وفى ص ١٠٠ قال طريق انتخاب معاوية لم ينتخب معاوية للخلافة انتخابا عاما يعنى من جميع أهل الحل والعقد من المسلمين وإنما انتخبه أهل الشام للخلافة بعد صدور الحكمين ولا يعتبره التاريخ بذلك خليفة فلما قتل على رضى الله تعالى عنه وبايع جند العراق ابنه الحسن رأى من مصلحة المسلمين أن يبايع معاوية ويسلم الأمر اليه فبايعه فى ربيع الأول سنة ٤١ فبيعته اختيار من أهل الشام وبطريق الغلبة والقهر من أهل العراق إلا أنها انتهت فى الآخر بالرضا عن معاوية والتسليم له من جميع الأمة ماعدا الخوارج اه

أقول قال ابن حجر فى الاصابة فى ترجمة عبد الله بن الأرقم الزهرى استكتبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يجيب عنه الملوك وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ويختم ولا يقرؤه لأمانته عنده واستكتب أيضا زيد بن ثابت وكان يكتب الوحى وكان إذا غاب ابن الأرقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب إلى أحد أمر من حضر أن يكتب فمن هؤلاء عمر وعلى وخالد بن سعيد والمغيرة ومعاوية اه

وقوله (فى خلافة أبى بكر ولاه قيادة جيش مدداً لأخيه يزيد) غير صحيح . وقوله(وكان على مقدمته فى فتح مدن صيدا وعرقة وجبيل وبيروت) ممكن ولكن لم أقف فى التاريخ على أن هذه المدن فتحها يزيد بن أبى سفيان وعلى مقدمته أخوه معاوية وإنما فيه كتب عمر إلى يزيد بن أبى سفيان يأمره بغزو قيسارية فغزاها وبها بطارقة الروم فحاصرها أياماً وكان بها معاوية أخوه فاستخلفه عليها وصار يزيد إلى دمشق فاقام معاوية عليها حتى فتحها فى شوال سنة تسع عشرة ، وقوله ثم ولاه عمر ولاية الأردن غير صحيح أيضاً وقوله (لم ينتخب معاوية للخلافة انتخابا عاما يعنى من جميع أهل الحل والعقد من المسلمين) فاسد من أربعة أوجه الأول قوله لم ينتخب للخلافة

انتخابا عاما ، الثانى تفسيره لهذا العموم بقوله من جميع أهل الحل والعقد ، الثالث تعيينه هنا من لهم الحق فى انتخاب الخليفة بأنهم جميع أهل الحل والعقد مناقض لما قدمه فى بحث الخلافة بقوله (لم يرد فى الكتاب أمر صريح بشكل انتخاب خليفة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله (وكذلك لم يرد فى السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة) وقوله فى بيعة الصديق (مضت هذه البيعة من غير أن يتبين للناس البيئة التى لها الحق فى انتخاب الخليفة) وقوله : (لم يكن فى طريقة من هذه الطرق الثلاث حل لتلك المسألة المتشابهة الأطراف) وقوله (وغاية ما أمكن شراح هذه القاعدة أن يقولوه إن قالوا هم أهل الحل والعقد ولكن من هم أهل الحل والعقد أهم ولاة الأمصار أم قواد الجيش أم أعيان الأمة كل ذلك لم يبين) فاذا لم يرد فى الكتاب أمر صريح بشكل انتخاب خليفة ولم يرد فى السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة ومضت بيعة الصديق ولم يتبين للناس البيئة التى لها الحق فى انتخاب الخليفة ولم يكن فى طريقة من طرقها الثلاث (يعنى بيعة الصديق واستخلافه الفاروق وتعيين هذا ستة الشورى لها وتنازل جل رجالها عنها لعثمان وعلى وتقديم أهل الحل والعقد بالمدينة عثمان على على) حل لها عنده ولم يمكن لشراح الخلافة أن يقولوا فى من لهم الحق فى انتخاب الخليفة إلا بأنهم هم أهل الحل والعقد وأهل الحل والعقد غير معروفين عنده فى خلافة الخلفاء الأربع ولا مبينين ، فكيف تبين له هنا ما لم يتبين للصحابة والأمة الإسلامية هناك وكيف استطاع حل ما لم تحله الصحابة والأمة الاسلامية فى طرق الخلافة الثلاث وكيف عرف من لهم الحق فى انتخاب الخليفة فى بيعة معاوية بأنهم جميع أهل الحل والعقد وجهلهم وشكك فيهم فى بيعة الخلفاء الأربعة بقوله ولكن من هم أهل الحل والعقد إلى آخر هرائه فهل هذا منه إلا عين التناقض والافتيات على الله وعلى رسوله والازدراء باجماع الصحابة والأمة الإسلامية على بيعة الخلفاء الأربعة بالإيغال فى التعصب لمعاوية إلى أقصى درجة ممقوتة نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان ، الرابع

حيث أعترف هنا لأجل معاوية بأن من لهم الحق فى انتخاب الخليفة هم أهل الحل والعقد فاشتراط انعقاد بيعة الخليفة بمبايعة جميعهم لم يقله مسلم كما تقدم وانتخاب أهل الشام له بعد صدور الحكمين لوصح لا يعتبره التاريخ كما قال ولا الدين . فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال إذا بويع خليفة ثم بويع آخر فاقتلوا الآخر وقوله (فبيعته اختيار من أهل الشام وبطريق الغلبة والقهر من أهل العراق) كذب مكشوف على التاريخ فان أهل العراق بايعوه أيضا بيعة اختيار تبعاً لخليفتهم الحسن بن على الذى تنازل له عنها وبايعه مختاراً فما حاربهم حتى غلبهم وقسرهم ، على بيعته وقوله (إلا أنها انتهت فى الآخر بالرضا عن معاوية والتسليم له من جميع الأمة ماعدا الخوارج) فاسد لأنه حكم على ضمائر الأمة كعادته ولا يعلم مافى قلوبهم لمعاوية من الرضا وضده إلا علام الغيوب وهل يعقل رضا المغلوب المقهور بقلبه عن غالبه وقاهره ولا يستطيع أى عاقل أن يثبت رضاهم عنه مع بيعتهم له مختارين فكيف به مع زعمه بيعتهم له مغلوبين مقهورين فلو أكتفى بقوله إلا أنها انتهت فى الآخر بالتسليم له من جميع الأمة لسلم من هذا الخبط ولكن حمله عليه ما افتراه سابقاً فى وصفه الخلافة إجمالا على معاوية وأهل الشام فى عدم مبايعتهم علياً ، (بأنهم كانوا يرون أن البيعة لاتتم إلا برضا أهل الأمصار) يعنى وهم لم يرضوا ببيعة على ، فرضا أهل الأمصار جميعا عنده شرط فى صحة الخلافة فخلافة على غير تامة ولا صحيحة عنده لأن أهل الشام لم يبايعوه ولم يرضوا ببيعته ، وخلافة معاوية صحيحة تامة لأن جميع الأمة رضيت عنه وسلمت له ومن كثرة خبطه نسى شرطا ثانيا زاده فى بحثها وهو (محبة الناس للخليفة) .

المحاضرة الثالثة والثلاثون

العهد بالخلافة ليزيد باشارة المغيرة بن شعبة

قال فى ص ١١٦ ج ٢ البيعة ليزيد بولاية العهد فكر معاوية أن يأخذ على الناس البيعة ليزيد ابنه بولاية العهد، وكان الواضع لهذه الفكرة المغيرة ابن شعبة قبل وفاته فانه دخل على يزيد وقال له قد ذهب أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكبراء قريش وذوو أسنانهم وإنما بقى أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وأعلمهم بالسنة والسياسة ولا أدرى مايمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة قال أوترى ذلك يتم قال نعم فأخبر يزيد أباه بما قال المغيرة فأحضره معاوية وسأله عما قال ليزيد فقال قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفى يزيد منك خلف فاعقد له فإن حدث بك حادث كان كهفاً للناس وخلفاً منك ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة، قال ومن لى بذلك قال أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك قال فارجع إلى عملك وتحدث مع من تثق به فى ذلك وترى ونرى اه.

أقول اتفق المؤرخون على أن معاوية رضى الله عنه أراد عزل المغيرة ابن شعبة عن الكوفة فوفد عليه وكاده بتولية ابنه يزيد فأقره على عمله ورضى عنه ورجع إلى الكوفة وسعى فى ذلك عند من يثق به ويعلم أنه شيعة لبنى أمية فأجابوه إلى بيعته فأوفد منهم عشرة وأعطاهم ثلاثين ألف درهم وجعل عليهم ابنه موسى فقدموا على معاوية وزينوا له بيعة يزيد ودعوه إلى عقدها فقال لهم لا تعجلوا بإظهار هذا وكونوا على رأيكم ثم قال لموسى بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم قال بثلاثين ألفاً قال لقد هان عليهم دينهم، وذكر ابن جرير بسنده أن المغيرة بن شعبة كتب إلى معاوية أما بعد فإنى قد كبرت سنى ودق عظمى وشنفت لى قريش فإن رأيت أن تعزلنى فاعزلنى فكتب اليه معاوية جاءنى كتابك تذكر فيه إنه كبرت سنك فلعمرى ما أكل

عمرك غيرك وتذكر أن قريشا شنفت لك ولعمرى ما أصبت خيراً إلا منهم وتسألنى أن أعزلك فقد فعلت فإن تك صادقا فقد شفعتك وإن تك مخادعا فقد خدعتك.وقال ابن جرير أيضا وكتب معاوية إلى زياد يستشيره فى هذا الأمر فكرهه زياد وأرسل إليه رسولا محنكا من خاصته أمره أن يبدأ بيزيد فينصحه بالكف عن إظهار اللهو وكتب زياد الى معاوية يأمره بالتؤدة ولا يعجل فقبل ذلك معاوية وكف يزيد عن كثير مما يصنع ، أنا برىء من عهدة صحة هذا كله ، والكلام الذى ذكره المحاضر من قوله كان الواضع لهذه الفكرة المغيرة الى قوله وترى ونرى ، من كامل ابن الأثير وقد حذف منه ما لا يوافق هواه بعد قوله وترى ونرى مباشرة ؛ وهو : فودعه ورجع الى أصحابه فقالوا مه قال لقد وضعت رجل معاوية فى غرز بعيد الغاية على أمة محمد وفتقت عليهم فتقا لا يرتق أبدا اه.

قلت انى برىء من عهدة كل ما يمس بكرامة الصحابيين الجليلين معاوية والمغيرة والمنقول أن معاوية عهد الى ابنه يزيد باشارة المغيرة بن شعبة عليه بذلك وتوفى المغيرة سنة خمسين للهجرة وفى ثلاث وخمسين توفى زياد ، وفى ست وخمسين كتب معاوية الى عمال الأمصار بتقريظ يزيد وأن يوفدوا اليه الوفود فكان فيمن أتاه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم الانصارى والأحنف بن قيس فى وفد أهل البصرة فقال محمد بن عمرو ابن حزم لمعاوية ان كل راع مسئول عن رعيته فانظر من تولى أمر أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر الأحنف أن يدخل على يزيد فدخل عليه فلما خرج من عنده قال كيف رأيت ابن أخيك قال رأيت شبابا ونشاطا وجلدا ومزاحا ثم أن معاوية قال للضحاك ابن قيس الفهرى لما اجتمع الوفود عنده انى متكلم فاذا سكت فكن أنت الذى تدعو الى بيعة يزيد وتحثنى عليها فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الإسلام وحرمة الخلافة وحقها وما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض ببيعته فعارضه الضحاك فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال يا أمير المؤمنين

انه لابد للناس من وال بعدك وقد بلونا الجماعة والألفة فوجدناهما أحقن للدماء وأصلح للدهماء وآمن للسبل وخيرا فى العاقبة والأيام عوج رواجع والله كل يوم هو فى شأن ويزيد بن أمير المؤمنين فى حسن هديه وقصد سيرته على ماعلمت هو من أفضلنا علما وحلما وأبعدنا رأيا فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك ومفزعا نلجأ اليه ونسكن فى ظله ، وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك ثم قام يزيد بن المقنع العذرى فقال هذا أمير المؤمنين وأشار الى معاوية فان هلك فهذا وأشار الى يزيد ومن أبى فهذا وأشار إلى سيفه فقال معاوية اجلس فأنت سيد الخطباء وتكلم من حضر من الوفود فقال معاوية للأحنف ما تقول يا أبا بحر فقال نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد فى ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه فان كنت تعلمه لله تعالى وللأمة رضاً فلا تشاور فيه وان كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة وانما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا وقام رجل من أهل الشام فقال ماندرى ماتقول هذه المعدية العراقية وانما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف ، فتفرق الناس يحكون قول الاحنف اه .

وقد نقل المحاضر هذا الكلام من كامل ابن الاثير ولكنه حذف منه مالا يوافق هواه

تلبيسه فى العهد الى يزيد

وتخبطه فى الخلافة أيضا وتدليسه فى نقل التاريخ

قال فى ص ١١٩ و١٢٠ ج ٢ ونقول إن فكر معاوية فى اختيار الخليفة بعده حسن جميل وأنه مادام لم توضع قاعدة لانتخاب الخلفاء ولم يعين أهل الحل والعقد الذين يرجع اليهم الاختيار فأحسن ما يفعل هو أن يختار الخليفة ولى عهده قبل أن يموت لأن ذلك يبعد الاختلاف الذى هو شر على الأمة من جور إمامها وقد فعل معاوية ما يظهر معه إنه لم يستبد بالأمر دون الأمة فطلب وفود الامصار فحضروا عنده وأجابوه إلى طلبته من بيعة

يزيد ابنه والذى ينقده التاريخ من أمره هو (١) إنه استهان بأولئك النفر الذين لم يرضوا ببيعة يزيد وهم من سادة الأمة الذين يتطلعون لولاية أمر المسلمين فلم يهتم بخلافهم بل ادعى أنهم بايعوا لينال بيعة أهل مكه وهذا غير لائق بمقام خليفة المسلمين لاجرم أن كان من نتائج ذلك تلك الحوادث المحزنة التى سنوضحها فى خلافة يزيد (٢) مما انتقده الناس أنه اختار ابنه للخلافة وبذلك سن فى الإسلام سنة الملك المنحصر فى أسرة معينة بعد أن كان أساسه الشورى ويختار من عامة قريش وقالوا إن هذه الطريقة التى سنها معاوية تدعو فى الغالب إلى انتخاب غير الأفضل الأليق من الأمة وتجعل فى أسرة الخلافة الترف والانغماس فى الشهوات والملاذ والرفعة على سائر الناس ، أما رأينا فى ذلك فان هذا الانحصار كان أمراً حتما لا بد منه لاصلاح أمر المسلمين وألفتهم ولم شعثهم فانه كلما اتسعت الدائرة التى منها يختار الخليفة كثر الذين يرشحون أنفسهم لنيل الخلافة وإذا انضم إلى ذلك اتساع المملكة الإسلامية وصعوبة المواصلات بين أطرافها وعدم وجود قوم معينين يرجع اليهم الانتخاب فان الاختلاف لا بد واقع، ونحن نشاهدانه مع تفوق بنى عبد مناف على سائر قريش واعتراف الناس لهم بذلك وهم جزء صغير من قريش فانهم تنافسوا الأمر وأهلكوا الأمة بينهم فلو رضى الناس عن أسرة ودانوا لها بالطاعة واعترفوا باستحقاق الولاية لكان هذا خير مايفعل لضم شعث المسلمين اه .

أقول قوله هنا (ان فكر معاوية فى اختيار الخليفة بعده حسن جميل) وقوله سابقا (فكر معاوية أن يأخذ على الناس البيعة ليزيد ابنه بولاية العهد) فاسد من أربعة أوجه :

الأول الفكر والتفكير لايكونان إلا فى أمر صعب دقيق وعهد معاوية لابنه بالخلافة ليس بدقيق حتى يحتاج إلى فكر وتفكير .

الثانى فكره فى اختيار الخليفة بعده يدل على أنه فكر فى اختيار واحد من أشخاص معينين كل واحد منهم صالح للخلافة فاختار منهم ابنه لكونه

أفضلهم وأصلحهم لها وهذا بهتان على معاوية وعلى التاريخ فلا تفكير ولا فكر ولا اختيار .

الثالث قوله سابقاً (وكان الواضع لهذه الفكرة المغيرة بن شعبة قبل وفاته) دليل على أن لا تفكير ولا فكر ولااختيار لمعاوية أصلا وانما هو منفذ ماأسسه ووضعه له المغيرة .

الرابع وصفه لهذا الفكر الذى لاوجود له عند معاوية بالحسن والجمال فى قوله (ان فكر معاوية فى اختيار الخليفة بعده حسن جميل) وبهذا ظهر تلبيسه بهـــذا الكلام على البسطاء وقوله (وانه مادام لم توضع قاعدة لانتخاب الخلفاء ولم يعين أهل الحل والعقد الذين يرجع اليهم الاختيار الى قوله وقد فعل معاوية مايظهر معه) جهل فادح تقدم ابطاله فى بحث الخلافة بما حاصله : أن الخلافة من مسائل الفروع وليست من القواعد كما هذى به هناك وهنا حق واجب على الأمة وجوباً كفائياً لمصالحهم الدينية والدنيوية إذا قام بعض من أهل الحل والعقد ذو رأى ولو واحـــداً بمبايعة من فيه الأهلية لها من الرجال انعقدت له الإمامة ولزمت جميع المسلمين ، وبهذا ظهر جهله الفادح ، ويقال له إذا كان الله جل وعلا لم يضع قاعدة لانتخاب الخلفاء ولارسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وضع ذلك واجماع الامة من الصحابة وغيرهم على بيعة الخلفاء الأربعة لايكفى عندك فى تعيين أهل الحل والعقد الذين يرجع اليهم اختيار خليفة للمسلمين ، فعهد معاوية لابنه بالخلافة مخالف لكتاب الله ولسنة رسوله ان كانت الخلافة من القواعد كما زعمت لأنه وضع مالم يضعه الله ورسوله ، ولإجماع الأمة الاسلامية إن كانت من مسائل الفروع كما قال علماء الاسلام ، لأنه عين مالم يستطع الصحابة والأمة الإسلامية معهم تعيينه ، فهل يقول من له مسكة من عقل ودين أن عهده لابنه بالخلافة (والحالة هذه) أحسن مايفعل نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان وما أشد سرعة تناقضه فقد قال قريباً فى بيعة معاوية : (لم ينتخب معاوية للخلافة انتخاباً عاماً يعنى من جميع أهل الحل والعقد

من المسلمين وانما انتخبه أهل الشام للخلافة) فقد اعترف فى هذا الكلام بأهل الحل والعقد وقال ان أهل الشام منهم وقوله (وقد فعل معاوية مايظهر معه انه لم يستبد بالأمر دون الأمة الى قوله والذى ينقده التاريخ) منقوض بقوله بعده (انه استهان بأولئك النفر الذين لم يرضوا ببيعة يزيد وهم من سادة الأمة) وهل هذا إلا عين الاستبداد ، وقوله (فطلب وفود الأمصار فحضروا عنده) صحيح ولكن يوفد اليه فى الغالب الوجهاء الذين لهم هوى فى السلطان . قال ابن حجر فى الاصابة فى ترجمة جارية بن قدامة السعدى : ولجارية هذا قصة مع معاوية يقول فيها فقال له سل حاجتك ياأبا قندس قال تقر الناس فى بيوتهم فلاتوفدهم اليك فانما يوفدون اليك الأغنياء ويذرون الفقراء . وذكر السيوطى فى تاريخ الخلفاء لجارية هذا قصة أخرى مع معاوية قال أخرج ابن عساكر عن الفضل بن سويد قال وفد جارية بن قدامة على معاوية فقال له معاوية أنت الساعى مع على بن أبى طالب والموقد النار تجوس قرى عربية تسفك دماءهم ، فقال جارية يامعاوية دع عنك علياً فما أبغضنا عليا منذ أحببناه ولا غششناه منذ صحبناه ، قال ويحك ياجارية ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية ، قال : أنت يامعاوية كنت أهون على أهلك اذ سموك معاوية ، قال لا أم لك ، قال أم ماولدتنى إن قوائم السيوف التى لقيناك بها بصفين فى أيدينا ، قال انك لتهددنى قال انك لم تملكنا قسرة ولم تمتحنا عنوة ولكن أعطيتنا عهودا ومواثيق فان وفيت لنا وفينا وان ترغب الى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالا مداداً وأدرعاً شداداً وأسنة حداداً فان بسطت الينا فترا من غدر زلفنا اليك بباع من ختر ، فقال معاوية لاأكثر الله فى الناس أمثالك اه .

وقولة (وأجابوه إلى طلبته من بيعة يزيد ابنه) ،صحيح وجلهم كان محبذا لها وبعضهم كالأحنف تكلم بكلام متزن معقول وبعضهم غطت على عقله الطاعة العمياء فلم يبال بمصلحة المسلمين فتكلم بما تكلم به وهو يزيد بن المقنع العذرى لذلك أمره معاوية بالجلوس وجبر خاطره وفرحه بقوله له

فأنت سيد الخطباء ، وأشد منه ذلك الذى قال أنه لا يدرى ما تقول هذه المعدية العراقية وإنما عنده سمع وطاعة وضرب وازدلاف ، يعنى بكلامه هذا الأحنف بن قيس،فان كان لا يدرى كلام هذا السيد الحكيم الذى دراه رجال العرب الألباء الحاضرون معه هذا الحفل العظيم وتفرقوا وهم يحكونه معجبين به دون جميع الخطباء حقيقة فهو سائمة وإن كان يدريه ولكن حملته الطاعة العمياء على ماقال فهو آلة مسخرة لا هم له فى مصلحة المسلمين وعلى كليهما كان اللازم عليه الابتعاد بسمعه وطاعته و و . . . عن هذا الحفل الذى يظهر فيه المرء بأصغريه واتقاء مأثور مابقى مسجلا فى صحيفته وفى التاريخ من القول ، وقد حذف المحاضر كلام هذا الانسان وكلام يزيد ابن المقنع وتفرق الناس وهم يحكون كلام الأحنف وغير هذا من كلام ابن الأثير الذى نقله . قال عطية بن قيس خطب معاوية فقال اللهم إن كنت انما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ماأملت وأعنه وان كنت انما حملنى حب الوالد لولده وأنه ليس لما صنعت به أهلا فأقبضه قبل أن يبلغ ذلك ، وقوله والذى ينقده التاريخ من أمره هو (١) (انه استهان بأولئك النفر الذين لم يرضوا ببيعة يزيد وهم من سادة الآمة الى قوله بل ادعى أنهم بايعوا) نقله المؤرخون ولو صح لكان اجتهادا منه قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء جعله أبوه ولى عهده وأكره الناس على ذلك كما تقدم اه .

وقوله (بل ادعى أنهم بايعوا لينال بيعة أهل مكة الى قوله (٢) مما انتقده الناس) غير صحيح وقد انتقد معاوية رضى الله تعالى عنه فى استخلافه ابنه الصحابة وأنكروا عليه قتله لحجر الخير بن عدى فقوله بصيغة العموم (مما انتقده الناس انه اختار ابنه للخلافة وبذلك سن فى الإسلام سنة الملك إلى قوله وقالوا ان هذه الطريقة) صحيح ولكنه صحابى مجتهد مقتد فيه فى الجملة بالشيخين رضى الله عنهما الصديق فى استخلافه الفاروق والفاروق فى استخلافه واحداً من ستة يعينه أهل الحل والعقد فان قيل الصديق لم يستخلف ابنه أو ابن عمه طلحة بن عبيدالله مع أهليتهما لها والفاروق لم يستخلف

ابنه أو ابن عمه سعيد بن زيد مع أهليتهما لها قلت هو كذلك ولكن من المعلوم قطعاً عند كل عاقل أن الأمة فى عصر الشيخين ليست مثل الأمة التى كانت فى عصر معاوية فان الأمة التى بيدها أزمة الأمور فى عصرهما أهل دين مكين واتحاد متين وكلها جسد واحد والأفاضل الذين فيهم أهلية الخلافة من غير قرابتهما من قريش كثيرون فلم يسوغ لهما دينهما واجتهادهما الصائب أن يستخلفا على أمة فاضلة المفضول من قرابتهما مع وجود الأفضل منه فى غيرها والافاضل فى عصر معاوية مكثورون بالأمة التى جل ولاة أمورها مالوا إلى الدنيا فهم لايريدون إلا صاحبها والحجاز إذ ذاك وإن كان فيه كثير من أفاضل الصحابة وأبنائهم قرشيون وغيرهم فالشوكة التى يرفع بها عماد الخليفة فى مصرين العراق والشام، لذلك لما بويع أمير المؤمنين على كرم الله وجهه انتقل الى الكوفة وأهل العراق ذوو أهواء وتشغيب متأصل فيهم من عصر الفاروق كما تقدم لذلك قال فيهم دغفل النسابة (يردون جميعاً ويصدرون شتى) وأهل الشام أهل طاعة واتحاد تام قد تأسسا لمعاوية فيهم، ولذلك (والله أعلم) تغلب مروان وابنه على ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما مع مبايعة جل الأمة له لكونه لم ينتقل من الحجاز الى الشام وقد قال له الحصين بن نمير أنت أحق بهذا الامر هلم فلنبايعك ثم أخرج معنا الى الشام فان هذا الجند الذين معى هم وجوه أهل الشام وفرسانهم فوالله لايختلف عليك اثنان، لهذه الامور التى يدركها (والله أعلم) من أمعن فى التاريخ استخلف معاوية ابنه مع علمه بأن كل واحد من أبناء أكابر الصحابة القرشيين خير منه وكان يزيد ظاهر الاستقامة اذ ذاك وقد أرسله أبوه قائد جيش حاصر القسطنطينية والقلوب بيد الله يقلبها كيف شاء فلم يأل معاوية فى اجتهاد مصلحة المسلمين نصحاً، وقوله (وقالوا ان هذه الطريقة التى سنها معاوية الى قوله أما رأينا فى ذلك) صحيح ولكن حمله على تولية ابنه ما ذكرته من الامور واذا كان المستخلف ظاهر الاستقامة فلا تبعة على من ولاه اذا انغمس بعد ذلك فى الرفاهية والشهوات، وقوله بأداة

التفصيل ونون العظمة (أما رأينا فى ذلك فان هذا الانحصار كان أمراً حتما لابد منه - لصـــلاح أمر المسلمين وألفتهم ولم شعثهم) معناه أما حصر معاوية الخلافة فى ابنه فى رأى الأمة الاسلامية فليس بحتم ، وأما حصره لها فى ابنه فى رأيه هو وحده فحتم لابد منه أى واجب ولا يخلو هذا الواجب من كونه شرعيا أو عقليا أو طبيعيا أو عاديا وهو فاسد فيها كلها فإن الشرع لم يوجب تولية يزيد على المسلمين والعقـل يجوز تولية غـير القرشى ولو عبداً حبشيا مجدع الاطراف ويجوز لم شعث المسلمين به وجمع ألفتهم وكذلك العادة وكم من ملك ليس بقرشى بل ليس بعربى جمع الله به شمـل المسلمين ولم شعثهم وكان فى رفع منار الإسـلام خيراً من يزيد بن معاوية والتاريخ الإسـلامى برهان على ذلك ، والطبيعة هنا لا مدخل لها أصلا وبقى لهذا الواجب الذى زعمه وجه خامس وهو عصبية بنى أمية فى قريش وهو مراده وقد سرقه من مقدمة ابن خلدون وتشبع به فنسبه الى نفسـه بنون العظمة وزاد عليه انه حتم لابد منه وسيأتى ذكره فى مقتل الحسين رضى الله تعالى عنه وأبطاله .

وقوله (فانه كلما أتسعت الدائرة إلى قوله وإذا انضم إلى ذلك) تعليل فاسد لأن من فيـه أهلية الامامة إذ ذاك لا يرشح نفسه لها لدينه وحيائه ومروءته والنـاس الذين خـــيرهم غالب على شرهم هم الذين يرشحونه ويقدمونه لها فقوله (كثر الذين يرشحون أنفسهم لنيل الخلافة) فاسد لقياسه أهل هذا العصر الذين شرهم غالب على خيرهم على رجال ذلك العصر وقوله (وإذا انضم الى ذلك اتساع المملـكة الإسلامية وصعوبة المواصلات بين أطرافها) مبنى على مازعمه سابقاً من أن بيعة الخليفة لا تتم حتى يبايعه جميع أهل الامصار وقد أبطلته ، وقوله (وعدم وجود قوم معينين يرجع اليهم الانتخاب) طعن مكرر فى الخلافة تقدم أبطاله فى بحثها ، والاختلاف بين الأمة الاسلامية قد وقع منذ كسر باب الفتنة وهو قتل الفاروق رضى الله تعالى عنه كما تقـدم تقريره مراراً سواء وجدت هـذه الاسباب التى

زعمها أو فقدت وعليه فقوله : (فان الاختلاف لابد واقع) فاسد أيضاً وقوله (ونحن نشاهد إلى قوله فلو رضى الناس عن أسرة) بالغ فى البذاءة والسفاهة والبهتان والوقاحة وسوء الادب على الصحابيين الجليلين على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما أقصى غاياتهـا وقد تقـدم تبرير الله ورسوله وأهل الحق قاطبة لهما فى حربهما مفصلا مطنبا ، ولم يستح من المخلوق ولا من الخالق (والحياء من الإيمان) فى دعواه المشاهدة للاحوال التى وقعت بين على ومعاوية معبراً بصيغة العظمة (ونحن نشاهد إلى آخر الهراء) وهو وكل متنطع لا يستطيع أن يحقق أى حادثة وقعت فى بلده وشاهدها مع جم غفير من الناس فكيف يدعى المشاهدة للأحوال التى بينه وبينها أكثر من ألف وثلاثمائة سنة سبحان الله هذا بهتان عظيم علاوة على كونه أذى كبيراً لأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الممدوحين فى الكتب السماوية المغاظ بهم الكفار ، وقوله (فلو رضى الناس عن أسرة ودانوا لها إلى آخر الهراء) يبطل نفسه بنفسه لأنه بأداة الامتناع فلا فائدة فيه الا تضخيم حجم الكتاب ومن المحال رضا الناس عن واحد فكيف بأسرة والناس لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم ومدبرهم والمنعم عليهم بجلائل النعم وأى نبى من أنبيائه وخواص خلقه رضى عنه الناس .

تنبيـه

يتفكه بعض الناس الآن فى المجالس بالطعن فى الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بأنه كان فى أيام الحرب بين على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما يأكل مع معاوية ويصلى مع على وهـذا طعن قبيح فيـه رضى الله تعالى عنه وهو طعن أيضا فى على ومعاوية بأنهما اقتسما الدين والدنيا فالدين عند على والدنيا عند معاوية ، فان قيل ليس هذا مرادهم وإنما مرادهم أن طعام معاوية أدسم أى أكثر دسماً من طعام على والصلاة خلف على أحكم أى أكثر إتقاناً من الصـلاة خلف معـاوية كما يصرحون به أحياناً ، قلت

لا يخرجه هذا التفسير عن الطعن فيه وفيهما وهو بهتان وإثم مبين على هذا الصحابي الذي توطن المدينة ولم يخرج منها ولم يحضر حروب الصحابة أصلا حتى مات بها ، وجاء فى الصحيح عنه أنه قال حفظت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعاءين من العلم فاما أحدهما فبثثته لكم وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا الحلقوم ، قال العلماء أراد بالأول ما فيه التشريع والأحكام وبالثانى ما فيه الإخبار عن امراء السوء من بنى أمية الذين بدلوا سنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤيده ماجاء فى الصحيح عنه رضى الله تعالى عنه أنه قال سمعت الصادق المصدوق يقول (هلكة أمتى على يدى غلمة من قريش) فقال مروان لعنة الله عليهم غلمة فقال أبو هريرة لو شئت أن أقول بنى فلان وبنى فلان لفعلت والمراد بالأمة أهل زمانهم ، وصح عنه أنه كان يدعو فيقول اللهم لا تدركنى سنة الستين وفى رواية عنه فى الصحيح اللهم إنى أعوذبك من رأس الستين وامارة الصبيان وفى رواية ابن أبى شيبة أن أباهريرة كان يمشى فى السوق ويقول اللهم لا تدركنى سنة ستين ولا إمارة الصبيان، وفى هذا إشارة إلى أن أول الاغيلمة كان فى سنة ستين وهو كذلك فان يزيد ابن معاوية تولى فيها وبقى إلى سنة أربع وستين وقد استجاب الله دعاء أبى هريرة فمات سنة ثمان وخمسين ، وإنما استعاذ منها لما علم من قبيح أفعال يزيد بواسطة إعلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له ، قالوا وكان يزيد يعزل الشيوخ ويولى الشبان والأعراب الأجلاف .

لعن بنى امية لأمير المؤمنين على رضى الله عنه

لم يثبت عن معاوية

قال فى ص ١٢١ ج ٢ ومما ننقده على هذا العهد اهتمام معاوية بالتشهير بعلى على المنابر مع أن الرجل قد لحق بربه وانتهى بأمره وكان يعلم يقينا أن هذه الأقوال مما يهيج صدور شيعته وتجعلهم يتأففون ويتذمرون ولاندرى ما الذى حمله على أن جعل ذلك فرضا حتما فى كل خطبة كأنه ركن من أركانها لا تتم إلا به اه .

أقول لم يثبت عن معاوية رضى الله عنه أنه سب علياً أو لعنه مرة واحدة فضلا عن الاهتمام به والتشهير به على المنابر وقد تقدم ثناؤه وترحمه عليه فى أثر ضمرة بن حمزة الكنانى وغيره ، فكلامه هذا باطل لا أصل له عنه رضى الله عنه والذى جعل ذلك فرضا حتما فى كل خطبة كأنه ركن من أركانها لا تتم إلا به هو مروان بن الحكم ، قالوا كان معاوية يعاقب فى معظم خلافته على إمارة المدينة بين مروان وسعيد بن العاص فكان سعيد فى إمارته لا يلعن عليا ولا يتعرض لذكره وكان مروان يلعنه ويبالغ فى ذلك فى كل جمعة وكان الحسن بن على رضى الله عنهما يعلم ذلك فيسكت ولا يدخل المسجد إلا عند الإقامة فلم يرض بذلك مروان حتى أرسل للحسن فى بيته بالسب البليغ له ولأبيه ومنه ما وجدت مثلك إلا مثل البغلة يقال لها من أبوك فتقول أبى الفرس فقال الحسن للرسول أرجع اليه فقل له والله لا أمحو عنك شيئا مما قلت بأن أسبك ولكن موعدى وموعدك الله فإن كنت كاذباً فالله أشد نقمة قد أكرم جدى أن يكون مثلى مثل البغلة ، قالوا وهو أول من قدم خطبة العيد على الصلاة لأن الناس كانوا ينصرفون بعد صلاة العيد حالا ولا يحبون سماع خطبته لسبه عليا فيها فخالف سنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقدم الخطبة على الصلاة ليحبس الناس للصلاة ، روى عبد الرزاق عن الثورى عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال أول من قدم الخطبة على الصلاة يوم العيد مروان فقال له رجل خالفت السنة فقال له مروان إنه قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ماعليه ، سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (من رآى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) وأخرج عبد الرزاق أيضا عن حجر المدرى قال قال لى على بن أبى طالب كيف بك إذا أمرت أن تلعننى قلت أوكائن ذلك قال نعم قلت فكيف أصنع قال العنى ولا تبرأ منى قال فأمرنى محمد بن يوسف أخو الحجاج وكان أميراً لعبد الملك بن مروان على اليمن أن ألعن عليا فقلت إن

الأمير أمرنى أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله فما فطن لها الأرجل ، وروى ابن وهب عن حفص بن ميسرة عن عامر بن عبد الله بن الزبير أنه سمع ابناً له يتنقص عليا كرم الله وجهه فقال يابنى إياك والعودة إلى ذلك فان بنى مروان شتموه ستين سنة فلم يزده الله بذلك إلا رفعة وان الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا وإن الدنيا لم تبن شيئا إلا عاودت على ما بنت فهدمته ، ونقل ابن حجر الهيتمى فى الصواعق المحرقة عن البارزى حكاية عجيبة عن المنصور أنه رآى رجلا بالشام ووجهه وجه خنزير فسأله فقال إنه كان يلعن علياً كل يوم ألف مرة وفى يوم الجمعة أربعة آلاف مرة وأولاده معه فرآى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر مناماً طويلا من جملته أن الحسن شكى اليه فلعنه ثم بصق فى وجهه فصار موضع بصاقه خنزيراً وصار آية للناس اهـ.

المحاضرة الرابعة والثلاثون

يزيد بن معاوية وما ورد فى ذمه

(١) أخرج أبو يعلى فى مسنده بسند فيه انقطاع كما قال ابن كثير وضعيف كما قال السيوطى والهيتمى عن أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد) ويتقوى هذا الحديث بما تقدم فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (هلاك أمتى على يدى غلمة من قريش) وبما تقدم أيضا عنه أنه كان يدعو يقول اللهم لا تدركنى سنة الستين وأنه كان يستعيذ من رأس الستين وإمارة الصبيان .

(٢) وأخرج الرويانى فى مسنده عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه

قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أول من يبدل سنتى رجل من بنى أمية يقال له يزيد) قال فى الصواعق فى هذين الحديثين دليل أى دليل على أن خلافة معاوية ليست كخلافة من بعده من بنى أمية فانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر أن أول من يثلم أمر أمته ويبدل سنته يزيد فافهم أن معاوية لم يثلم ولم يبدل وهو كذلك لأنه مجتهد ويؤيد ذلك مافعله الإمام المهدى (كما عبر به ابن سيرين وغيره) عمر بن عبد العزيز برجل نال من معاوية بحضرته فضربه ثلاثة أسواط مع ضربه لمن سمى ابنه يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطا فإن قيل صح أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال (أول جيش من أمتى يركبون ثبج هذا البحر قد أوجبوا وأول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر (الاستانة مغفور لهم) حديث صحيح رواه الامام أحمد ومسلم وغيرهما عن أم حرام بنت ملحان ، وكان يزيد أمير الجيش الذى غزا مدينة قيصر ، فالجواب أن العلماء قالوا لا يلزم من مدح الجيش مدح أميرهم فان الجيش كان فيه بعض أفاضل الصحابة وسادات

التابعين ولا يلزم من دخول يزيد فى عموم الجيش عدم خروجه منه بدليل خاص إذ لاخلاف بين أهل العلم أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم مغفور لهم ، بشرط أن يكونوا من أهل المغفرة حتى لو أرتد واحد ممن غزاها بعد ذلك لم يدخل فى ذلك العموم اتفاقا ، قالوا ويزيد ليس مس أهلها حتى أطلق بعضهم جواز لعنه لأمره بقتل الحسين ورضاه به وباباحته المدينة واستحلاله حرمة الكعبة ، قال ابن حزم فى جمهرة الأنساب فى يزيد بن معاوية كان قبيح الآثار فى الإسلام قتل أهل المدينه وأفاضل الناس بقية الصحابة رضى الله تعالى عنهم يوم الحرة فى آخر دولته وقتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وأهل بيته فى أول دولته وحاصر ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما فى المسجد الحرام واستخف بحرمة الكعبة والإسلام فأماته الله فى تلك الأيام اه.

تدليسه فى نقل تاريخ حادثه الحسين رضى الله عنه

قال فى ص ١٢٨ ج ٢ قدم عليهم جيش سيره ابن زياد لقتال الحسين يقدمه عمر بن سعد بن أبى وقاص فلما قدم أرسل إلى الحسين رسولا يسأله ما الذى جاء به فقال الحسين كتب إلى أهل مصركم هذا ان أقدم عليهم فأما إذ كرهونى فانى أنصرف عنهم فكتب عمر الى ابن زياد بذلك فقال : الآن إذ عرضت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناص ثم كتب إلى ابن سعد يأمره أن يعرض على الحسين بيعة يزيد فاذا قبل ذلك رأينا رأينا وأن يمنعه هو ومن معه من الماء وكان الحسين يعرض عليهم أن يدعوه يرجع إلى المكان الذى خرج منه ، وليس بصحيح أنه عرض عليهم أن يضع يده فى يد يزيد فلم يقبلوا منه تلك العودة وعرضوا عليه أن ينزل على حكم ابن زياد اه.

أقول قوله (فلما قدم أرسل إلى الحسين رسولا الى قوله وكان الحسين يعرض عليهم أن يدعوه) مذكور فى ابن الأثير وابن كثير والذى فيهما

وفى ابن جرير أيضاً أن الحسين رضى الله عنه بعث إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظه الأنصارى أن ألقنى الليلة بين عسكرى وعسكرك فخرج اليه عمر فاجتمعا وتحادثا طويلا ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره وتحدث الناس أن الحسين قال لعمر بن سعد أخرج معى إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين فقال عمر أخشى أن تهدم دارى قال أبنيها لك خيرا منها قال تؤخذ ضياعى قال أعطيك خيرا منها من مالى بالحجاز فكره ذلك عمر وتحدث الناس بذلك ولم يسمعوه وقيل بل قال له اختاروا منى واحدة من ثلاث أما أن أرجع إلى المكان الذى أقبلت منه وإما أن أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بينى وبينه رأيه وإما أن تسيروا بى إلى أى ثغر من ثغور المسلمين شئتم فأكون رجلا من أهله لى مالهم وعلى ماعليهم، ثم التقى الحسين وعمر ابن سعد مرارا ثلاثا أو أربعاً فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله أطفأ النائرة وجمع الكلمة وقد أعطانى الحسين أن يرجع إلى المكان الذى أقبل منه أو أن نسيره إلى أى ثغر من الثغور شئنا أو أن يأتى أمير المؤمنين يزيد فيضع يده فى يده وفى هذا لكم رضا وللامة صلاح، فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه نعم قبلت، فقام اليه شمر بن ذى الجوشن فقال أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده فى يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه فان عاقبت كنت ولى العقوبة وان عفوت كان ذلك لك والله لقد بلغنى أن الحسين وعمر يتحدثان عامة الليل بين العسكرين فقال ابن زياد نعم مارأيت أخرج بهذا الكتاب إلى عمر فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى فان فعلوا فليبعث بهم الى سلما وان أبو فليقاتلهم وان فعل فاسمع له وأطع وان أبى فأنت الأمير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث إلى برأسه وكتب معه إلى عمر بن سعد : أما بعد فانى لم أبعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندى شافعاً انظر فان نزل

الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سلماوان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطىء الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وإن انت ابيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام ، وبهذا ظهر تدليسه فى سوق الحادثة من التاريخ .
وقوله(وكان الحسين يعرض عليهم أن يدعوه يرجع الى المكان الذى خرج منه) تدليس أيضاً لاقتصاره على أحد شقى كلام عقبة بن سمعان .
وقوله (وليس بصحيح أنه عرض عليهم أن يضع يده فى يد يزيد) ترجيح لكلام عقبة بن سمعان الذى حذف أحد شقيه وتضعيف للكلام السابق الدال على أن الحسين رضى الله تعالى عنه خيرهم فى واحدة من خصال ثلاث بدون مرجح سوى هواه مع أن راوى الكلامين واحد وهو أبو مخنف لوط بن يحى ، وهذا كلام عقبة بن سمعان قال ابن الأثير وقد روى عن عقبة بن سمعان أنه قال صحبت الحسين من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وسمعت جميع مخاطباته الناس إلى يوم مقتله فوالله ما أعطاهم مايتذاكر به الناس من أنه يضع يده فى يد يزيد ولا أن يسيروه الى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعونى أرجع الى المكان الذى أقبلت منه أودعونى أذهب فى هذه الأرض العريضة حتى ننظر مايصير اليه أمر الناس فلم يفعلوا .

فمن أين له ترجيح هذا الكلام الذى حذف أحد شقيه على الكلام الدال على أن الحسين خيرهم فى واحدة من خصال ثلاث وراويهما واحد وعلى تسليم رجحانه عليه لا يحل لهم أن يمنعوه من الرجوع الى المكان الذى جاء منه أو الذهاب فى أرض الله العريضة وهو وحيد لاعدد له ولا مدد ولا ناصر ويرغموه على النزول على حكم ابن مرجانه، قال الحافظ ابن حجر فى إصابته فى ترجمة الحسين رضى الله تعالى عنه ولم يبلغ الحسين ذلك (يعنى قتل ابن عمه ورسوله إلى الكوفة مسلم بن عقيل) حتى كان بينه وبين القادسية

ثلاثة أميال فلقيه الحر بن يزيد التميمى فقال له ارجع فانى لم أدع لك خلفى خيراً وأخبره الخبر فهم أن يرجع وكان معه أخوة مسلم فقالوا والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل فساروا وكان عبيد الله قد جهز الجيش لملاقاته فوافوه بكربلاء فنزلها ومعه خمسة وأربعون نفساً من الفرسان ونحو مائة راجل فلقيه الحسين وأميرهم عمر بن سعد بن أبي وقاص وكان عبيد الله ولاه الرى وكتب له بعهده عليها اذا رجع من حرب الحسين فلما التقيا قال له الحسين اختر منى احدى ثلاث أما أن الحق بثغر من الثغور وأما أن أرجع الى المدينة وإما أن أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية فقبل ذلك عمر منه وكتب به إلى عبيد الله فكتب اليه لا أقبل منه حتى يضع يده فى يدى فامتنع الحسين فقاتلوه فقتل معه أصحابه وفيهم سبعة عشر شابا من أهل بيته ثم كان آخر ذلك أن قتل وأتى برأسه إلى عبيد الله فأرسله ومن بقى من أهل بيته إلى يزيد ومنهم على بن الحسين كان مريضاً ومنهم عمته زينب فلما قدموا على يزيد أدخلهم على عياله ثم جهزهم إلى المدينة قلت وقد صنف جماعة من القدماء فى مقتل الحسين تصانيف فيها الغث والسمين والصحيح والسقيم وفى هذه القصة التى سقتها غنى ، وقد صح عن إبراهيم النخعى انه كان يقول لو كنت فيمن قاتل الحسين ثم أدخلت الجنة لاستحييت ان أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقال حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بأبى وأمى يارسول الله ماهذا قال هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم فكان ذلك اليوم الذى قتل فيه ، وعن عمار عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها سمعت الجن تنوح على الحسين ابن على رضى الله تعالى عنهما اه .

وهذا كلام ابن خلدون الذى اعتمد عليه سابقاً فى زعمه تحتم العهد إلى يزيد لصلاح أمر المسلمين ولا حقاً فى طعنه فى الحسين وتبريره عمل يزيد .

كلام ابن خلدون

الذى توكأ عليه المحاضر مع ما فيه حجة عليه

قال فى مقدمته فى الفصل الثلاثين فى ولاية العهد مانصه : وأما الحسين فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره بعث شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره فرأى الحسين أن الخروج على يزيد متعين من أجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنها من نفسه بأهليته وشوكته فأما الأهلية فكانت كما ظن وزيادة وأما الشوكة فغلط يرحمه الله تعالى فيها لأن عصبية مضر كانت فى قريش وعصبية عبد مناف إنما كانت فى بنى أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وإنما نسى ذلك أول الإسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحى وتردد الملائكة لنصرة المسلمين فأغفلوا أمور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعها ونسيت ولم يبق إلا العصبية فى الحماية والدفاع ينتفع بها فى إقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى إذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت وأصبحت مضر أطوع لبنى أمية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل فقد تبين لك غلط الحسين إلا أنه فى أمر دنيوى لا يضره الغلط فيه وأما الحكم الشرعى فلم يغلط فيه لأنه منوط بظنه وكان ظنه القدرة على ذلك ولقد عذله ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية أخوه وغيره فى مسيره إلى الكوفة وعلموا غلطه فى ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما أراده الله ، وأما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فرأوا أن الخروج على يزيد وإن كان فاسقا لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا أنكروا عليه ولا أثموه لأنه مجتهد وهو أسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأثيم هؤلاء

بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره فإنهم أكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين يستشهد بهم وهو بكربلاء على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدرى وأنس بن مالك وسهل بن سعد وزيد بن أرقم وأمثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعلمه انه عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يحد الشافعى والمالكى الحنفى على شرب النبيذ واعلم أن الأمر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافه عن اجتهادهم وإنما انفرد بقتاله يزيد وأصحابه . ولا تقولن إن يزيد وإن كان فاسقاً ولم يجز هؤلاء الخروج عليه فأفعاله عندهم صحيحة واعلم انه إنما ينفذ من أعمال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة عندهم من شرطه أن يكون مع الإمام العادل وهو مفقود فى مسألتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد بل هى من فعلاته المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق أيضا واجتهاد . وقد غلط القاضى أبو بكر بن العربى المالكى فى هذا فقال فى كتابه الذى سماه بالعواصم والقواصم مامعناه : أن الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل ومن أعدل من الحسين فى زمانه فى إمامته وعدالته فى قتال أهل الآراء وأما ابن الزبير فانه رأى ما رآه الحسين وظن كما ظن وغلطه فى أمر الشوكة أعظم لأن بنى أسد لا يقاومون بنى أمية فى جاهلية ولا إسلام اه.

مناقشته فى بعضه بابطال العصبية التى ادعاها لبنى امية فى عبد مناف وغير ذلك

أقول كلام ابن خلدون هذا مع مافيه من المآخذ حجة على المحاضر فأما المآخذ التى عليه فمنها (١) عصبية مضر فى قريش وكلامه فيها ناقص الأطراف وتقويمه هكذا عصبية العرب فى مضر وعصبية مضر فى قريش وعصبية قريش

فى بنى عبد مناف وعصبية بنى عبد مناف انما كانت فى بنى أمية فقوله مسهبا فى تقريرها (وأما الشوكة فغلط يرحمه الله فيها لأن عصبية مضر كانت فى قريش إلى قوله وأما الحكم الشرعى فلم يغلط فيه) باطل من وجوه كثيرة منها (١) تقدم أن قريشا قبل جمع قصى بن كلاب لهم واستيلائه على مكة لم تكن لهم مكانة فى مضر فضلا عن كون عصبيتها فيهم بل كانوا مندمجين فى بنى كنانة ، وبنو أمية بل جميع بنى قصى إذ ذاك كانوا فى عالم الأرواح ، (٢) بوأ قصى لقريش مكانة عند العرب بإسكانهم فى الحرم وصارت عصبيتها فيه وفى أولاده بعده . (٣) تفرقت قريش فى هذه العصبية بتنازع بنى عبد مناف وبنى عبد الدار ابنى قصى على المكارم التى خص بها قصى ابنه عبد الدار فأراد بنو عبد مناف انتزاعها منهم بالقوة لكونهم أولى بها منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم إلى ثلاث فرق فصارت أربعة بطون منهم مع بنى عبد مناف وهم بنو أسد بن عبد العزى بن قصى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر ، وأربعة بطون أيضا مع بنى عبد الدار وهم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب وبنو جمح بن عمرو بن هصيص وبنو عدى بن كعب ، واعتزل شقاق الفريقين بطنان منها بنو عامر بن لؤى وبنو محارب بن فهر ثم أصلح هذان بينهما بإعطاء بنى عبد مناف الرفادة والسقاية وابقاء اللواء والحجابة والندوة بيد بنى عبد الدار ، وثبت كل فريق مع من حالف حتى جاء الإسلام ، (٤) تقدم أن عبد المطلب بن هاشم لما استخرج زمزم افتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب وقال فى ذلك مسافر بن أبى عمرو بن أمية ابن عبد شمس شعراً قال ابن اسحاق وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد شرف بعضهم لبعض شرف وفضل بعضهم لبعض فضل ، (٥) حلف الفضول الذى تقدم اتفاق بنى هاشم وبنى المطلب ابنى عبد مناف مع ثلاثة بطون من قريش بنى أسد بن عبد العزى بن قصى وبنى زهرة بن كلاب وبنى تيم بن مرة على نصر كل مظلوم بمكة ، فلو كانت عصبية قريش فى بنى عبد مناف وعصبية عبد مناف

فى بنى أمية لمـا استطاعت أقلية من قريش أن تعقد هذا الحلف على رغم الأكثرين منهم وقد حسدوهم عليه فقالوا لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر ولما استطاعوا أن ينتزعوا بضاعة الزبيدى من ذلك الطاغيه العاص ابن وائل بالقهر وبنت الخثعمى من ذلك الفاجر نبيه بن الحجاج كذلك ،

(٦) كل من اطلع على تاريخ الجاهلية يعـلم انفصام العصبية بين قبائل مضر نفسها فضلا عن غيرها من العرب فكانت كل قبيلة مستقلة فى نفسها لا تدين لغيرها بل كانت الغارات والحروب بينها مستمرة الى مجىء الإسلام ، (٧) للسكانة التى بوأها لهم قصى باسكانهم فى حرم الله وبيت ابراهيم واسماعيل المقدس المقصود لجميع الناس وللشهرة التى اكتسبوها بالايلاف الذى أفادهم به بنو عبـد مناف من اليمن والحبشة والروم والعراق ولحـادثة الفيل التى أكدت احترام العرب لهم حتى قالوا (أهـل الله دافع عنهم) لهـذا كله رأست بنو كنانة فى حرب الفجار التى وقعت بينهم وبين بنى عامر بن صعصعة من هوازن بسبب قتل البراض الكنانى عروة الرحال العامرى ، حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وقريش جزء من كنانة وعصبية قريش فى بنى قصى وأشهر واذكر بنيه بنو عبد مناف وعبد مناف بطن من بطون قريش وكل واحد من أولاده الأربعة فخذ وبنو أمية فصيلة من عبدشمس ابن عبد مناف لأن عبـد شمس ترك سبعة أولاد : حبيباً وربيعة وأميـة الأكبر وعبد العزى ونوفلا وأمية الأصغر وعبدأمية ، وانما رأست قريش وكنانة حرب بن أمية الأكبر فى تلك الحرب لأنه من بنى عبدمناف ولأنه يومئذ أسنهم وكانوا يقدمون الأسن منهم ولهذا رأست قريش عليها يوم بدر عتبـة بن ربيعة بن عبد شمس وكان عمره نحو المـائة لا لكون عصبية بنى عبد مناف فى بنى أمية كما ادعى ، (٨) ذكر التاريخ أن أباسفيان بن حرب ابن أمية أقبل بعد مابويع أبو بكر وهو يقول انى لأرى عجاجة لا يطفئها الا دم ياآل عبد مناف فيم أبو بكر من أمـــوركم أين المستضعفان أين الأذلان على والعباس مابال هذا الأمر فى أقل حى من قريش ثم قال لعلى

ابسط يدك أبايعك فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجلا فأبى على عليه وزجره وقال والله انك ماأردت بهذا إلا الفتنة وانك والله طالما بغيت للاسلام شرا لاحاجة لنا فى نصيحتك ، فلو كانت عصبية بنى عبد مناف فى بنى أمية للزم أن يقول أبو سفيان ياآل أمية ولا يقول ياآل عبد مناف ولأتى عثمان بن عفان لأنه من بنى أمية أهل العصبية فى قريش ولسابقته فى الاسلام فبايعه ولم يأت علياً أصلا (٩) قد شغب جماعة من مضر من أهل الكوفة على الفاروق رضى الله تعالى عنه بشكاية عماله العادلين ، منهم أبو سعدى أسامة بن قتادة العبسى والجراح بن سنان الاسدى وجماعته فلوكانت عصبية مضر فى قريش ماتجرأ هؤلاء الأوباش على أبى حفص رضى الله عنه (١٠) قد أوقد نار الفتنة التى أسست فى زمن الفاروق بالكوفة على أمير المؤمنين عثمان بن عفان الاموى حتى قتل آلاف من المضريين وغيرهم من العرب فلوكانت عصبية العرب فى مضر وعصبية مضر فى قريش وعصبية قريش فى بنى عبد مناف وعصبية بنى عبد مناف فى بنى أمية بن عبد شمس ، ماحصل هذا ابدا وقد كان من اعظم موقديها عليه من فخذه عبد شمس محمد ابن ابى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، (١١) لوكانت عصبية مضر فى قريش وعصبية قريش فى بنى عبد مناف وعصبية هؤلاء فى بنى أمية وقريش وسائر الناس يعرفون لهم ذلك ولا ينكرونه ، لم يحتج معاوية فى استخلاف ابنه الى طلبه من عمال الامصار ان يوفدوا عليه الوفود لذلك ولحصل مطلوبه بمجرد اعلام اهل الامصار بذلك بدون احتياج الى ايفاد الوفود ولما امتنع ابن ابى بكر وابن الزبير والحسين بن على منها . (١٢) قال الحصين بن نمير قائد جيش الشام المحاصر مكة لابن الزبير لما بلغهم موت يزيد ، انت احق بهذا الأمر هلم فلنبايعك ثم اخرج معنا الى الشام فان هذا الجند الذين معى هم وجوه اهل الشام وفرسانهم فوالله لايختلف عليك اثنان فأبى ابن الزبير الذهاب الى الشام وقال بايعوا لى هناك فقال الحصين ان لم تقدم بنفسك لايتم الأمر فان هناك ناساً من بنى امية يطلبون هذا الأمر ،

فلو كانت عصبية قريش فى بنى عبدمناف وعصبية هؤلاء فى بنى امية وقريش وسائر الناس يعرفون لهم ذلك ولا ينكرونه ، ماعرض الحصين الخلافة على ابن الزبير الذى ليس من بنى امية ولامن بنى عبدمناف ، (١٣) بايع بعد موت معاوية بن يزيد جل اهل الشام لابن الزبير وفيهم كثير من قبائل مضر لاسيما بنى قيس عيلان كما بايعه جميع الأمصار العراق ومصر وفارس واليمن والحجاز وقريش وجلها بالحجاز فلو كانت عصبية قريش فى بنى عبد مناف وعصبية هؤلاء فى بنى أمية وقريش وسائر الناس يعرفون لهم ذلك ولا ينكرونه مابايع أهل الشام لابن الزبير الذى ليس من بنى أمية ولا من بنى عبدمناف ومابايعته قريش بالحرمين ، (١٤) كان عبد الله بن خازم السلمى من قيس عيلان بن مضر من شجعان أهل البصرة شيعة لبنى أمية قاد جيش ابن الحضرمى لما أرسله معاوية الى البصرة ليدخلها تحت طاعته فأرسل اليه أمير المؤمنين على جيشاً قائده جارية بن قدامة فهزم ابن الحضرمى وتحصن فى قصر سنبيل فى سبعين من أصحابه فأحرقه جارية عليهم ونجا ابن خازم ثم خرج بعد ذلك الى خراسان مع سلم بن زياد لما ولاه يزيد بن معاوية عليها فلما هلك يزيد خرج ابن زياد منها هارباً واستخلف عليها المهلب بن أبى صفرة وولى بعض رؤساء ربيعة على بعض مدنها فلما وصل نيسابور لقيه ابن خازم فقال له من وليت خراسان فأخبره فقال أما وجدت فى المصر من تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل واليمن اكتب لى عهدا على خراسان فكتب له فسار به فاستولى على مرو ثم حاصر ربيعة بهراة مدة ثم استولى عليها وقتل بها من بكر بن وائل ثمانية آلاف واستولى على خراسان كلها وبايع ابن الزبير وبقى بها فلما قتل ابن الزبير كتب إليه عبد الملك بن مروان ليبايعه فقال للرسول لولا أنك رسول لقتلتك وحلف لا يطيع عبد الملك أبداً ، فلو كانت عصبية بنى عبد مناف فى بنى أمية ، وقريش وسائر الناس يعرفون لهم ذلك ولا ينكرونه لبادر ابن خازم هذا الذى هو من شيعة بنى أمية إلى مبايعة عبد الملك الأموى ولم يبايع ابن الزبير

الذى ليس من بنى أمية ولا من بنى عبد مناف أصلا ولما بقى ممتنعاً بعد قتل ابن الزبير من مبايعة عبد الملك مع دخول الآمة تحت طاعته ، (٢) قوله فى الذين نصحوا الحسين وأشفقوا عليه من المسير إلى الكوفة (وعلموا غلطه فى ذلك) أى فى كون عصبية بنى أمية فى بنى عبد مناف أقوى من عصبية بنى هاشم فيهم . فاسد تقدم إبطاله ومن أين له حصر علمهم غلطه فى العصبية التى زعمها ، ولم لا يقال نصحوه وأشفقوا عليه من المسير إلى العراق لعلمهم أن الناس عبيد من كانت الدنيا بيده ولو كان عبداً حبشيا مجدع الأطراف ويدل لهذا قول ابن عمه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم وان كانوا إنما دعوك اليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبى بلادهم فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا اليك فيكونوا أشد الناس عليك ، وقول أبى بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام قد بلغنى انك تريد العراق وانى مشفق عليك انك تأتى بلداً فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال وإنما الناس عبيد الدينار والدرهم فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب اليه ممن يقاتلك معه ، (٣) وقوله (وأما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فرأوا أن الخروج على يزيد لا يجوز إلى قوله ولا يذهب بك الغلط) غير صحيح فمن أين له انهم كلهم رأوا عدم جواز الخروج على يزيد مطلقا ولم لا يقال رأوا عدم جواز ذلك لصحة إمامته عندهم وإن ظهر فسقه بعد انعقادها له لما ينشأ عنه من الهرج ، أو رأوا منع الخروج عليه للعاجز عن ذلك وهم عاجزون وأما من ظن من نفسه القدرة على ذلك كالحسين وابن الزبير فلا يمنعون له الخروج أو بعضهم رأى هذا وبعضهم رأى ذلك فالحكم عليهم كلهم بأنهم اتفقوا فى الاجتهاد على رأى واحد بعيد من الصواب ، على أن الصحابة الباقين إذ ذاك فى الأمصار كلها عدد قليل جلهم بالحرمين ، والذين مع يزيد

إنما هم أمثال يزيد بن المقنع العذرى الذى لا يعرف الخليفة إلا معاوية أو يزيد أو سيفه ، وأشباه ذلك المائق الذى لا يدرى ما تقول المعدية العراقية وإنما عنده سمع وطاعة وضرب وازدلاف ، والاغيلمة الأمراء من قريش محمد بن عثمان بن أبى سفيان وعمرو بن سعيد بن العاص الاشدق الذى رعف على منبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبنو زياد وأضرابهم ، (٤) وإذا كان الصحابة وأهل الدين من التابعين رأوا ما تقدم من الاحتمالين أو بعضهم رأى هذا وبعضهم رأى هذا غير آثمين بقعودهم عن نصره إلا من بايعه من أهل الكوفة ثم غدره فخذله فهم آثمون ولو لم يقاتلوه فقوله (ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأثيم هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره) مجمل ، وقوله (فإنهم أكثر الصحابة) حشو لا معنى له بعد الإيضاح المتقدم ، وقوله (وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه ، مكرر تقدم ذكر بعض من كان معه وكان معه صحابيان النعمان بن بشير الأنصارى والضحاك بن قيس الفهرى ، وكان النعمان إذ ذاك أميراً على الكوفة ليزيد فلما جاءها مسلم بن عقيل رسولا من الحسين وشرع الناس يبايعونه للحسين كتب شيعة بنى أمية بها ليزيد بذلك فعزله يزيد عنها وولى عليها عبيد الله بن زياد مضافة إلى البصرة ، وقد قتلت بنو أمية النعمان والضحاك لمبايعتهما لابن الزبير ولم يحفظوا لهما مواقفهما معهم فى صفين وغيرها وكان الضحاك صاحب شرطة معاوية وكان من الخطباء الحاثين على استخلاف يزيد وقوله (ولم يروا الخروج عليه) فيه ما تقدم من الاحتمالات ، وقوله (٥) (وكان الحسين يستشهد بهم وهو بكربلاء على فضله وحقه) ، صحيح ولكن لا يدل استشهاده بهم على كثرتهم ولا على أنهم كانوا مع يزيد ورأوا منع الخروج عليه كما ادعى والذين ذكرهم كلهم من الأنصار فثلاثة بالمدينة جابر وأبو سعيد وسهل بن سعد وأنس كان بالبصرة وزيد بن أرقم بالكوفة ، ولما أحضرت رؤس الحسين وأصحابه بين يدى ابن زياد واذن للناس فى الدخول كان فيمن دخل زيد بن أرقم هذا

فجعل ابن زياد ينكت بقضيب بين ثنيتى الحسين رضى الله تعالى عنه ساعة فلما رآه زيد بن أرقم لا يرفع قضيبه قال له أعل هذا القضيب عن هاتين الثنيتين فوالذى لا آله غيره لقدرأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين ـ يقبلهما ثم بكى فقال له ابن زياد أبكى الله عينيك فوالله لولا إنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك فخرج وهو يقول أنتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن يرضى بالذل، (٦)

وقوله (وأما ابن الزبير فانه رأى مارآه الحسين وظن كما ظن) وقوله (وغلطه فى أمر الشوكة أعظم) فاسد تقدم ابطالها بأوجه كثيرة وأقول أيضاً لو كانت مسألة الخلافة مسألة شوكة وعصبية وإن شوكة بنى أسد بن عبدالعزى رهط ابن الزبير مع بنى أمية أشد ضعفاً من شوكة بنى هاشم معهم، لم يعرض قائد جيش الشام المحاصر لابن الزبير الحصين ابن نمير الخلافة على ابن الزبير وقال له اخرج معنا إلى الشام لا يختلف عليك اثنان ، ولم يبايع جل الأمة الإسلامية لابن الزبير إلا أهل الاردن بالشام ولم يحتج مروان فى الإستيلاء على الشام إلى ارتكاب جريمة الغدر . وقوله معللا العصبية التى تخيلها لبنى أمية من تولية حرب بن أمية قائدا لقريش وبنى كنانة فى حرب الفجار (لأن بنى أسد لا يقاومون بنى أمية فى جاهلية ولا إسلام) فاسد أيضا لأن قصى بن كلاب ترك أربعة أولاد عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد بن قصى كل واحد منهم بطن ـ والعدد والشوكة فى كل واحد من الثلاثة الأول ، وأقوى الثلاثة فيها بنو عبد مناف ، وشوكة بنى عبد مناف مشتركة بينهم ، وبنو أمية فصيلة من عبد شمس بن عبد مناف ، فالقول بأن بطناً من قصى بن كلاب لا يقاوم فصيلة فى جاهلية ولا إسلام، من أفحش الغلط ولو قال ان بنى أسد لا يقاومون بنى عبد شمس فى جاهلية ولا اسلام لكان غلطا أيضا ، ولم تقع حرب بين بنى أمية بن عبد شمس وحدهم وبين بنى أسد ابن عبد العزى بن قصى فى الجاهلية أو فى الإسلام فلم يستطيع هؤلاء

مقاومة بنى أميه فيها حتى يصح له التفوه بهذه المجازفة ، والمعقول أن يقول بنو أسد بن عبد العزى لا يقاومون بنى عبد مناف فى جاهلية ولا إسلام وقريش وسائر الناس يعرفون ذلك لهم ولا ينكرونه ، على أن الحرب لم تقع بينهما أصلا لأنهم حلفاء بنى عبد مناف على بنى عبد الدار فى الحلف الأول وحلفاء بنى هاشم بن عبد مناف فى الحلف الثانى حلف الفضول .

طعنه فى الحسين رضى الله تعالى عنه

وكذبه على التاريخ وبهته له وأبطال ذلك مطنباً

قال فى ص ١٢٩ ، ١٣٠ (بذلك الشكل المحزن انتهت هذه الحادثة التى أثارها عدم الأناة والتبصر فى العواقب ، فان الحسين بن على رمى بقول مشيريه جميعا عرض الحائط وظن بأهل العراق خيراً وهم أصحاب أبيه فقد كان أبوه خيراً منه وأكثر عند الناس وجاهة وكانت له بيعة فى الأعناق ومع كل ذلك لم ينفعوه حتى تمنى فى آخر حياته الخلاص منهم ، أما الحسين فلم تكن له بيعة وكان فى العراق عماله وأمراؤه فاغتر ببعض كتب كتبها دعاة الفتن ومحبو الشر فحمل أهله وأولاده وسار إلى قوم ليس لهم عهد وانظروا كيف تألف الجيش الذى حاربه هل كان إلا من أهل العراق وحدهم الذين يرفعون عقيرتهم بأنهم شيعة على بن أبى طالب وعلى الجملة فان الحسين أخطأ خطأ عظيما فى خروجه هذا الذى جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد الفتها إلى يومنا هذا وقد أكثر الناس من الكتابة فى هذه الحادثة لا يريدون بذلك إلا أن تشتعل النيران فى القلوب فيشتد تباعدها . غاية ما فى الأمر أن الرجل طلب أمراً لم يتهيأ له ولم يعدله عدته فحيل بينه وبين ما يشتهى وقتل دونه وقبل ذلك قتل أبوه فلم يجد من أقلام الكاتبين من يبشع أمر قتله ويزيد به نار العداوة تأجيجاً وقد ذهب الجميع إلى ربهم يحسابهم على مافعلوا والتاريخ يأخذ من ذلك عبرة وهى أنه لا ينبغى لمن يريد عظائم الأمور أن يسير اليها بغير عدتها الطبيعية فلا يرفع سيفه إلا

إذا كان معه من القوة ما يكفل له النجاح أو يقرب من ذلك كما أنه لا بد هناك أسباب حقيقية لمصلحة الأمة بأن يكون هناك جور ظاهر لا يحتمل وعسف شديد ينوء الناس بحمله أما الحسين فانه خالف على يزيد وقد بايعه الناس ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عند اظهار هذا الخلاف اه).

أقول روى الحارث بن مسكين بسنده إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال قد علمت ورب الكعبة متى تهلك العرب إذا ساسهم من لم يدرك الجاهلية ولم يكن له قدم فى الاسلام وقد ذكر المحاضر قبل هذا الكلام فى الصفحة نفسها كيفية قتل الحسين والاتيان برأسه وعائلته إلى يزيد بن معاوية فاجحف فى اختصارها جداً بحذف مالا يوافق هواه والكذب على التاريخ فمن ذلك قوله (١) (ولم يكن إلا قليل وقت حتى قتل الحسين وسائر من معه) وهو غير صحيح فان الحرب دارت بينه وبين ذلك الجيش الجرار من أول النهار ولم يقتل هو إلا آخره ولم يقتل حماة أصحابه إلا بعد الظهر ولما بقى وحده كان يحمل على الذين عن يمينه فيتفرقون ثم يحمل على الذين عن شماله فيتفرقون فما رؤى مكثور قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جاشا منه ولا أمضى جناناً ولا اجرأ مقدما منه إن كانت الرجالة لتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب وقاتل راجلا قتال الفارس الشجاع يتقى الرمية ويفترص العورة ويشد على الخيل وهو يقول أعلى قتلى تجتمعون أما والله لا تقتلون بعدى عبداً من عباد الله اسخط عليكم لقتله منى وايم الله إنى لأرجو أن يكرمنى الله بهوانكم ثم ينتقم لى من حيث لا تشعرون أما والله لو قتلتمونى لألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى بذلك منكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم، (٢) ذكر المؤرخون فى قتل الحسين ووصول رأسه إلى يزيد قولين فقيل: ساءه ذلك وقال لحامليه اليه كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ولم يعطهم شيئاً ولعن ابن زياد وقال أما والله لو أنى صاحبه لعفوت عنهُ وترحم عليه، وقد اقتصر المحاضر على هذا القول، وقيل لما

وصلت رأسه إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسره مافعل ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبهم فندم على قتل الحسين فكان يقول وماعلى لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معى فى دارى وحكمته فيما يريد وان كان على فى ذلك وهن فى سلطانى حفظا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورعاية لحقه وقرابته لعن الله ابن مرجانه فانه اضطره وقد سأله أن يضع يده فى يدى أو يلحق بثغر حتى يتوفاه الله فلم يجبه إلى ذلك فقتله فبغضنى بقتله الى المسلمين وزرع فى قلوبهم العداوة فأبغضنى البر والفاجر بما استعظموه من قتلى الحسين مالى ولا بن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ، ويؤيد هذا القول أمور (١) دعاؤه اشراف الشام لما أدخلت عليه الرؤوس والنساء وهن فى هيئة قبيحة سافرات والناس ينظرون (٢) غضبه لذلك الدابة الأحمر لما طلب منه أن يهب له فاطمة بنت على على زينب أختها لما قالت للأحمر كذبت ولؤمت ما ذلك لك ولا له قائلا لها كذبت إن ذلك لى ولو شئت أن أفعله لفعلته فأجابته زينب كلا والله ماجعل لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا فاستشاط يزيد غضباً ثم قال إياى تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك ، قالت بدين الله ودين أبى وأخى وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك ، قال كذبت يا عدوة الله ، قالت أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك فاستحيا وسكت (٣) وقوله لعلى بن الحسين أبوك قطع رحمى وجهل حقى ونازعنى سلطانى فصنع الله به ماقد رأيت فقال على: ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب ﴾ فقال يزيد لابنه خالد أجبه فما درى ابنه ما يرد عليه فقال له يزيد قل ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ (٤) نكته رأس الحسين أو ثغره بالقضيب أمام الناس مستشهداً بشعر الحصين بن الحمام المرى :

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت ... قواضب فى أيماننا تقطر الدما
يفلقن هاماً من رجال أعزة ... علينا وهم كانوا أعق وأظلما

قال سبط بن الجوزى وغيره المشهور انه جمع أهل الشام وجعل ينكت الرأس بالخيزران قال ابن حجر فى الصواعق وجمع بأنه أظهر الأول وأخفى الثانى بقرينة أنه بالغ فى رفعة ابن زياد حتى أدخله على نسائه اه .قلت ادخاله على نسائه لم يعرف فى التاريخ ولكن الدليل القاطع على اعتنائه به (٥) عزله للصحابى الجليل النعمان بن بشير عن الكوفة وتوليته عليها مضمومة إلى البصرة ورضاه عنه بعدما كان ساخطاً عليه حتى هم بعزله عن البصرة قبل هذا وإبقاؤه والياً على المصرين معاً بعد هذه الفعلة الشنعاء (٦) ضربه صدر يحي بن الحكم أخى مروان لما دخل عليه فقال :

لهام بأعلى الطف أدنى قرابة   من ابن زياد العبد ذى الحسب الوغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى   وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

قائلا اسكت وقد كان الوافدون برأس الحسين على يزيد دخلوا به مسجد دمشق أولا فأتاهم مروان بن الحكم فسألهم كيف صنعوا فأخبروه فقام عنهم ثم أتاهم أخوه يحي بن الحكم فسألهم فأعادوا عليه الكلام فقال حجبتم عن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يوم القيامة لن أجامعكم على أمر أبدا ثم انصرف عنهم فلما دخلوا على يزيد قال له يحي الشعر المذكور قال ابن كثير فى بدايته وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك اه.

(٧) استشارته جلساءه فيما يفعله بعلى بن الحسين وعائلته قال ابن كثير فى بدايته وروى أن يزيد استشار الناس فى أمرهم فقال رجال ممن قبحهم الله ياأمير المؤمنين : (لا تتخذن من كلب سوء جروا اقتل على بن الحسين حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد) فسكت يزيد، فقال النعمان بن بشير ياأمير المؤمنين اعمل معهم كما كان يعمل معهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو رآهم على هذه الحال اه.

(٨) قوله لجلسائه محتجا على فضله مخطئا مجهلا للحسين (أتدرون من أين أتى هذا يزعم أن أباه خير من أبى وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم خير من أمى وجده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير من جدى وأنه خير منى وأحق بهذا الأمر منى فأما قوله أبوه خير من أبى فقد حاج أبى أباه إلى الله عز وجل وعلم الناس أيهما حكم له وأما قوله أمه خير من أمى فلعمرى إن فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير من أمى وأما قوله جده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير من جدى فلعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى أن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فينا عدلا ولا ندا ولكنه إنما أتى من قلة فقهه لم يقرأ ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء﴾ الآية وقد ذكر المحاضر هذا الكلام مستسمنا له مبرراً به عمل يزيد وهو ظاهر الفساد حجة عليه فقوله يزعم أن أباه خير من أبى ، جحود وعناد لما ليس بزعم بل هو الحق والعقيدة التى أجمع عليها المسلمون من خيرية وأفضلية على على جميع الصحابة بعد الخلفاء الثلاثة وأبوه معاوية معترف بذلك كما تقدم وقد كان اللازم المطابق لجواب كلامه أن يعترف كما اعترف أبوه بذلك أو يكابر الدين والمعقول والناس جميعا فيقول بل أبى خير من أبيه ولكن لما تحقق أن الاعتراف بذلك فيه تحطيم عقيدة العامة المسخرين فيه وفى أبيه ، ومكابرة المعقول والدين والناس جميعا لا تمكنه حاد عن الجواب إلى التلبيس والكذب على الله بقوله فقد حاج أبى أباه إلى الله وعلم الناس أيهما حكم له ، ولم يكفه الافتراء على الله بل زاد عليه علم الناس بذلك فهل علم الناس أن الله قال فى كتابه العزيز أن معاوية مصيب وعلياً مخطىء أو أن معاوية خير من على ، فلو كابر المعقول والناس فقال إن أباه خير من على لكان أخف شرا من هذا لأنه يروج عند العامة ولعلهم يصدقونه فى هذا الافتراء أيضا كما حاد عن جواب قوله وأنه خير منى وأحق بهذا الأمر منى ، بأن يقول أنا خير وأحق بهذا الأمر من الحسين ، الى ادعاء العلم ورمى الحسين بقلة الفقه وانه لم يقرأ الآية قل اللهم مالك الملك لعلمه انه لا يلحق غبار الحسين ، ولكن من لازم جبروتيته الطعن فى عدوه مهما كانت منزلته فى الاسلام ، وبهذا وبما سأذكره ظهر

أن المحاضر طوى تاريخ حادثة الحسين ، وأن قوله (بذلك الشكل المحزن انتهت هذه الحادثة) تدليس وأى شكل محزن ذكره منها سوى كذبه على التاريخ فى قوله (ولم يكن إلا قليل وقت حتى قتل الحسين وسائر من معه) وسوى اقتصاره على أحد القولين فى مجىء رأس الحسين وأهل بيته الى يزيد وسوى استحسانه لكلام يزيد ، وقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربته وقال فيها مضجعه رواه البغوى الكبير فى معجمه من حديث أنس بن مالك بلفظ استأذن ملك القطر ربه أن يزور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأذن له وكان فى يوم أم سلمة رضى الله تعالى عنها فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ياأم سلمة احفظى علينا الباب لايدخل علينا أحد فبينا هى على الباب إذ دخل الحسين واقتحم فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبله فقال له الملك أتحبه قال نعم قال ان أمتك ستقتله وان شئت أريتك المكان الذى يقتل به فأراه إياه ، وخرجه أبو حاتم بن حبان فى صحيحه ورواه الامام أحمد بنحوه ، ولما زحف عمر ابن سعد بجيشه نحو الحسين أتاه الحر بن يزيد التميمى فقال أصلحك الله أمقاتل أنت هذا الرجل قال أى والله قتالا أيسره أن تسقط الرؤس قال أفما لكم فى واحدة من الخصال التى عرض عليكم رضا فقال عمر والله لو كان الامر إلى لفعلت ولكن أميرك قد أبى ذلك فأقبل الحر يدنو من الحسين قليلا قليلا وأخذته رعدة فقال له رجل من قومه والله ان أمرك لمريب والله مارأيت منك فى موقف قط مثل ماأراه الآن ولو قيل من أشجع أهل الكوفة ماعدوتك فقال له انى والله أخير نفسى بين الجنة والنار ولا اختار على الجنة شيئا ولو قطعت وحرقت ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين وتقدم أمام أصحابه وقال ياأهل الكوفة لامكم الهبل أدعوتموه وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه حتى إذا أتاكم عدوتم عليه لتقتلوه أمسكتم بنفسه وأحطتم به ومنعتموه من التوجه فى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته فأصبح كالأسير لايملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضراً ومنعتموه ومن معه

من ماء الفرات الجارى يشربه اليهودى والنصرانى والمجوسى ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه وها هو وأهله قد صرعهم العطش بئسما خلفتم محمداً فى ذريته لا سقاكم الله يوم الظمأ إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه ، فرموه بالنبل فرجع حتى وقف أمام الحسين ، وجثى أبو الشعثاء الكندى بين يدى الحسين فرمى بمائة سهم ما سقط منها خمسة أسهم وكلما رمى يقول له الحسين اللهم سدد رميته واجعل ثوابه الجنة ، وكان أبو الشعثاء هذا فيمن خرج مع عمر بن سعد فلما ردوا الشروط على الحسين عدل إليه فقاتل بين يديه وكان أول من قتل ، وقد تمثلت الوحشية كاملة فى ذلك الجيش الجرار من قتل الأسرى والنساء والأطفال ونهب رحل الحسين وسلب حلى النساء ، وكان أقربهم إلى الإنسانية عمر بن سعد الذى أثر قتال الحسين على العزل عن أمارة الرى المؤجلة ، قالت له زينب بنت على يا عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر فدمعت عيناه حتى سالت دموعه على خديه ولحيته وصرف وجهه عنها ، وحميد بن مسلم وشبث بن ربعى التميمى ، ولما نادى أصحاب عمر قتلنا مسلم ابن عوسجة ، قال شبث لبعض من حوله ثكلتكم أمهاتكم انكم تقتلون أنفسكم بأيديكم وتذلون أنفسكم لغيركم أتفرحون بقتل مثل مسلم أما والذى أسلمت له لرب موقف له قد رأيته فى المسلمين فلقد رأيته يوم سلق اذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تتام خيول المسلمين أفيقتل مثله وتفرحون . وبعث رئيس خيل الكوفة الى عمر بن سعد فقال الا ترى ماتلقى خيلى هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة ابعث اليهم الرجال والرماة فقال عمر لشبث ألا تقدم اليهم فقال سبحان الله شيخ مضر وأهل المصر عامة تبعثه فى الرماة لم تجد لهذا غيرى ولم يزالوا يرون من شبث الكراهة للقتال حتى انه كان يقول فى إمارة مصعب بن الزبير لا يعطى الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ولا يسددهم لرشد ألا تعجبون انا قاتلنا مع على بن أبى طالب ومع ابنه الحسن آل أبى سفيان خمس سنين ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاويه وابن سمية الزانية ضلال يا لك من ضلال ، وقد دعا الحسين عليهم

عموماً فمنه (اللهم امسك عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الأرض اللهم فان متعتهم الى حين ففرقهم فرقا واجعلهم طرائق قدداً ولا ترض عنهم الولاة أبداً ، وخصوصاً تقدم رجل منهم يقال له ابن حوزة فقال أفيكم الحسين فلم يجبه أحد فقالها ثلاثا فقالوا نعم فما حاجتك قال يا حسين ابشر بالنار ، قال له كذبت بل اقدم على رب رحيم وشفيع مطاع فمن أنت قال ابن حوزة فرفع الحسين يديه وقال اللهم حزه الى النار فغضب ابن حوزة فاقحم فرسه فى نهر بينهما فتعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها فانقطعت فخذه وساقه وقدمه وبقى جنبه الآخر متعلقاً بالركاب يضرب به كل حجر وشجر حتى مات ، وكان مسروق بن وائل الحضرمى قد خرج معهم وقال لعلى أصيب رأس الحسين فأصيب به منزلة عندابن زياد فلما رأى ماصنع الله بابن حوزة بدعاء الحسين رجع وقال لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً ، اشتد عطش الحسين فدنا من الفرات ليشرب فرماه تميمى بسهم فوقع فى فمه فجعل يتلقى الدم بيده ورمى به الى السماء ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال اللهم انى أشكو اليك ما يصنع بابن بنت نبيك اللهم احصهم عدداً واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فمكث ذلك الرجل يسيرا ثم صب الله عليه الظمأ فجعل لا يروى فكان يروح عنـــه ويبرد له الماء فيه السكر وعساس فيها اللبن ويقول اسقونى فيعطى القلة أو العس فيشربه فاذا شربه اضطجع هنيهة ثم يقول اسقونى قتلنى الظمأ فما لبث الا يســـيرا حتى انقدت بطنه انقداد بطن البعير ، وقوله (التى أثارها عدم الأناة والتبصر فى العواقب) فاســـد لأن الذى يثيره عدم الاناة والتبصر فى العواقب ويستفزه الطيش والاعجاب انمـا هو من خلع اماما عادلا كالحروريين أو من خرج على غير عادل بدون تأويل أو بتاويل فاسد ، أما الحسين رضى الله تعالى عنه فهو صحابى مجتهد أريد اكراهه على بيعة فاسق بالقتل ولا يرى فى اجتهاده بيعته لو كان مستقيم الحال لأنه أحق منه فكيف به مع عدم ذلك فلا محل للتأنى والتبصر معه إلا ركـوب الا سنة كانت له أو عليه وما حيلة المضطر

الا ركوبها ، وقد امتنع سيد الخزرج سعد بن عبادة من بيعة الصديق رضى الله عنهما حتى مات وهو امام عادل فلم يكرهه أبو بكر على بيعته ولا هاجه ، ولا يقال قد بايع يزيد أجلاء الصحابة كابن عمر وابن عباس وهم لاشك خير منه لانا نقول بيعة هؤلاء له لاتخلو من كونهم يرون صحة إمامته لمبايعة جل الناس له ، أو عدم الخروج عليه مع ماهو متصف به لافضائه إلى الهرج أو لعجزهم عنه وعلى كل اجتهاد هؤلاء لا يكون حجة على اجتهاد الحسين وابن الزبير اللذين لم يبايعاه أصلا ولا على أهل المدينة الذين بايعوه ثم خلعوه ، قالوا لما مات معاوية بويع يزيد بالشام ولم يكن له همة الا بيعة النفر الذين أبوا على أبيه بيعته فكتب إلى عامل المدينة ابن عمه الوليد أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذاً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام فأحضر الوليد مروان فأخبره واستشاره قال أرى أن تدعوهم الساعة وتأمرهم بالبيعة فان فعلوا وإلا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاويه فدعا الحسين أولا فأخبره بموت معاوية ودعاه إلى البيعة فقال مثلى لايبايع سراً إذا خرجت إلى الناس ودعوتهم إلى البيعة كان الأمر واحداً فقال له الوليد وكان يحب العافيه انصرف فقال له مروان لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً أحبسه فإن بايع وإلا ضربت عنقه ، فوثب الحسين وقال ياابن الزرقاء أأنت تقتلنى أم هو كذبت والله ولؤمت ثم خرج حتى أتى منزله فقال مروان للوليد عصيتنى لا والله لا يمكنك من نفسه بمثلها أبداً فقال الوليد يا مروان والله ما أحب أن لى ماطلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وانى قتلت حسيناً أن قال لا أبايع والله إنى لأظن ان امرأ يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة قال مروان قد أصبت يقول له هذا وهو غير حامد له على رأيه ، وقوله (فإن الحسين بن على رمى بقول مشيريه جميعاً عرض الحائط) وقاحة حاقد عليه شانىء له فإن المشيرين عليه لم يحقدوا عليه ولم يشنئوه لتركه نصيحتهم بل كانوا معه قبل الاشارة وبعدها فى غاية التوقير

والاحترام له ولم تكن إشارتهم عليه تخطئة له فى خروجه على يزيد وإنما كانت شفقة عليه وتوقعاً لعدم وفاء أهل الكوفة ببيعتهم له وخذلانه، فلم تعد كونها ظنا، وظن هو زيادة (على اجتهاده فى يزيد وما هو متصف به) وفاءهم له بذلك فلا شك عند كل عاقل أن ظنه مع ما أحتف به أقوى وأرجح من ظنهم فلأجل ذلك ترك اشارتهم مع تقديره لها واحترامهم ولا يلام المرء بعد الإجتهاد، وقوله (وظن بأهل العراق خيراً) صحيح لأن تحسين الظن بكل مسلم ظاهر الاستقامة من الواجب على المسلم لأخيه وإساءة الظن به لا تسوغ دينا ولا مروءة وهى من سمات المنافقين والمؤمن غر والمنافق خب، وقوله (وهم أصحاب أبيه إلى قوله أما الحسين) باطل لأنه طعن فى سكان أعظم الأمصار إذ ذاك بأنهم كلهم أشرار وهذا من الجزاف الفاحش والخطأ القبيح الذى يرتكبه كثير من الناس الآن ومن قبل، وهو الحكم على الكل بحكم البعض، وقد كانت العراق إذ ذاك أكثر الأمصار بعد الحرمين اخياراً واحباراً لنزول كثير من علماء الصحابة به ففيه تلامذة أبيه وابن مسعود وأبى موسى وعمران بن حصين وانس بن مالك وزيد بن أرقم وغيرهم، وعدم إخلاص بعض أصحاب أبيه له لا يبيح له الحكم على جميعهم بذلك، وقوله (فقد كان أبوه خيراً منه وأكثر عند الناس وجاهة وكانت له بيعة فى الأعناق) تهويش أجوف، وقوله (ومع كل ذلك لم ينفعوه) كذب مكشوف على التاريخ وأى نفع أعظم من نفعهم له بصفين وقد قتلوا خمسة وأربعين الفاً من أهل الشام وأشرفوا بهم على الهزيمة الكبرى لولا الفرقة التى وقعت فيهم بسبب رفع أولئك المصاحف على الرماح، وأى نفع أعظم من قتلهم الشراة بالنهروان وتمنيه فى آخر حياته الخلاص منهم انما هو من أجل الشرذمة المتثاقلة عن طاعته وهذه داء قديم فى الكوفة قد أضجر وحير الفاروق على حزمه وطار شرره على ذى النورين بالبصرة ومصر حتى أودى بحياته شهيدا ومع ذلك لم يؤثر فى سير حركة على رضى الله عنه فقد أخلص له جلهم وشرع يتجهز لمعاوية مرة أخرى

فى سنة تسع وثلاثين وبايعه منهم أربعون الفاً على الموت فعاجلته منيته فبايعوا ابنه الحسن على ذلك فأرسل قيس بن سعد على مقدمته فى اثنى عشر ألفاً وقد تقدم تقرير هذا ، وقوله (أما الحسين فلم تكن له بيعة) غير صحيح فقد بايع ابن عمه ورسوله اليهم مسلم بن عقيل ثمانية عشر الفاً واجتمع عليه أربعون الفاً لما نادى بشعاره حين بلغه قتل ابن زياد لهانىء ابن عروة المرادى الذى هو نازل عنده ، وأحاطوا بابن زياد فى القصر ثم باع رؤساؤهم بيعة الحسين لابن زياد وأقبلوا اليه متزلفين بعد شد خناقه فأمرهم أن يشرفوا على الناس من القصر فيمنوا أهل الطاعة ويخوفوا أهل المعصية ففعلوا فتفرق ذلك الجمع الهائل عن ابن عقيل وخذلوه كلهم فقتل ، فان قيل كيف يحل لهم مبايعة الحسين وبيعة يزيد سابقة عليها فى أعناقهم قلت لا بيعة ليزيد فى أعناقهم على رأى المحاضر الذى اشترط فى صحة الإمامة رضا جميع الناس ببيعة الامام فهم إن بايعوا يزيد غير راضين ببيعته قطعا فقد افترى سابقاً فى بيعة على كرم الله وجهه على معاوية وأهل الشام بأنهم امتنعوا من بيعته لأن أهل الأمصار كلها غير راضين بخلافته ، ومن المحال رضا أهل الأمصار كلهم بخلافة يزيد حتى الشام الذى هو مركزه لا يمكن أن يكونوا كلهم راضين بها فأهل الكوفة غير راضين بخلافته قطعا بدليل رفضهم له وبيعتهم للحسين مختارين فبيعتهم للحسين أثبت وألزم من بيعتهم ليزيد . وقوله (وكان فى العراق عماله وأمراؤه) صحيح ولكن ذلك لايمنع فى عوائد التاريخ من ظهورهم وغلبتهم عليه لو صدقوا فى القول والفعل فكم فى التاريخ من شخص نهض بعدد وعدة ضئيلين فتم له مراده . وقوله (فاغتر ببعض كتب كتبها دعاة الفتن ومحبو الشر الى قوله وانظروا) غير صحيح فليست بعض كتب بل هى كتب كثيرة أطنبها مائة وخمسون صحيفة وليس الكاتبون اليه دعاة الفتن ومحبى الشر بل هم أعيان الناس وأشرافهم تلك أسماؤهم مسجلة فى التاريخ ، وعليه فلا لوم عليه فى تحمله اليهم بأهله وأولاده ، ولم يبلغه مقتل ابن عمه

وخذلان أهل الكوفة له حتى كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال فلقيه الحر ابن يزيد التميمى فى ألف فارس فقال له ارجع فانى لم أدع لك خلفى خيرا وأخبره فهم أن يرجع فأبى عليه أخوة مسلم بن عقيل فقالوا والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل فسار فلما وصل الى عذيب الهجانات اذا هو بأربعة نفر قد أقبلوا اليه من أهل الكوفة فأراد الحر بن يزيد أن يمنعم عنه فقال الحسين لامنعنهم مما أمنع منه نفسى انما هؤلاء أنصارى وهم بمنزلة من جاء معى فان تممت على ما كان بينى وبينك والا ناجزتك فكف الحر عنهم فقال لهم الحسين أخبرونى خبر الناس خلفكم فقال له أحدهم أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم فهم إلب واحد عليك وأما سائر الناس بعدهم فان قلوبهم تهوى اليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك ، ولا يستنكر كون الذين يزعمون أنهم شيعة لعلى كرم الله وجهه قتلوا ولده إلا جاهل بتاريخ البشر فالناس مجبولون على محبة المادة منذ النشأة الا من عصم الله وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ذاماً للمنافقين فاضحاً لهم ﴿ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها إذاهم يسخطون﴾ وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (لو أعطى ابن آدم وادياً من ذهب لتمنى وادياً ثانيا ولو أعطى ثانيا لتمنى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب) والقلوب بيد الله يقلبها كيف شاء وقد آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة ثم ارتدوا . منهم ابن خطل ومقيس بن صبابة والرجال بن عنفوة الحنفى حفظ هذا كثيرا من السور ثم آمن بمسيلمة وصار مستشاره الخاص وقال أبو إراكة صليت مع على رضى الله تعالى عنه صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين أعينهم كأمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم وأقدامهم

فاذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم ، والله لكان القوم باتوا غافلين ، ثم نهض فما رؤى بعد ذلك مفترا يضحك حتى قتله ابن ملجم اه .

وقال مجاهد شيعة علي الحلماء والعلماء الذبل الشفاه الاخيار الذين يعرفون بالرهبانية من أثر العبادة ، وقال علي بن الحسين شيعتنا الذبل الشفاه والامام منا من دعا الى طاعة الله ، فمعاذالله أن يكون الذين اعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم شيعة حيدرة ، فقوله (وانظروا كيف تألف الجيش الذى حاربه الى قوله وعلى الجملة) فاسد وبما تقدم من كلام علماء الاسلام وكلام ابن خلدون فى تبرير عمل الحسين ظهر أن قوله (وعلى الجملة فان الحسين أخطأ خطأ عظيما) طعن بليغ فيه ووقاحة لم يفه بها منتسب الى الاسلام قبله وهى عادته التى قد عرفناها منه مع أبيه اذا وجد باطلا فيه الحط من قدره رضى الله عنه يزيد فى طنبوره نغمات وقد وجد هنا فى ابنه أن ابن خلدون قال ان الحسين رضى الله تعالى عنه قد غلط فى العصبية ، فلم يكتف بالوقوف عند رأى ابن خلدون هذا ويقل مثله أنه أخطأ من جهة الشوكة بل طمس صريح قوله الذى قلده فيه وزاد عليه أنه عظيم كما طمس كلامه النفيس فى الحسين فابن خلدون مع خطئه فى هذه الشوكة التى أبطلتها سابقا عارف بقدر الحسين حسن الأدب معه فى عقيدته وكلامه مفسق ليزيد محظر عليه وعلى أنصاره قتال الحسين بقوله : إن الحسين غلط فى أمر دنيوى لا يضره الغلط فيه وأما الحكم الشرعى فلم يغلط فيه لأنه منوط باجتهاده ، وقوله ان يزيد فاسق ولا يجوز قتال الحسين معه ولا له هو بل هى من فعلاته المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد اه.

وقوله (فى خروجه هذا الذى جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد ألفتها الى يومنا هذا) نهاية فى اذاه والبهتان عليه وعلى التاريخ فهل كانت قلوب الأمة كلها متفقة متآلفة قبل قيامه فلما قام جر عليها

ذلك وزعزع عماد ألفتها، سبحان الله ما أشد جهله بالتاريخ ووقاحته وجرأته على الصحابة وآل البيت الكرام ، أليس الذين اضجروا الفاروق وحيروه بكثرة العبث بعماله الصالحين هم الذين جروا على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزعوا عماد ألفتها إلى يومنا هذا ، أليس باب الفتنة انفتح بين المسلمين بقتل الفاروق رضى الله تعالى عنه ولا يغلق إلى يوم القيامة كما فى حديث حذيفة فى الصحيح أليس الآلاف المؤلفة من ثوار الأمصار على عثمان رضى الله عنه وسعوا صدع هذا الاختلاف الذى أسسه إخوانهم بالكوفة بين الأمة حتى قتل شهيدا مظلوماً ، أليس امتناع معاوية رضى الله تعالى عنه عن مبايعة الخليفة العادل تسبب عنه توسعة هذا الصدع بين الأمة فنشأ عنه شيعة لبنى أمية يلعنون حيدرة على المنابر دينا يدينون به، ورافضة يكفرون معاوية وجل الصحابة والأمة الإسلامية جمعاء، وخوارج يكفرونه وعلياً وعثمان وجمهور الصحابة والأمة الإسلامية جمعاء، أليس تأمر من لا صحبة له ولا قدم فى الإسلام على أمة فيها بقايا من سادتها مما زاد فى توسعة الاختلاف بين الأمة وفى زعزعة عماد ألفتها ، والناس فى الحسين ويزيد ثلاث فرق : أهل الحق ورافضة وخوارج ، فأهل الحق يوالون الحسين ويحبونه المحبة الشرعية . والرافضة غلاة فى محبته ، والخوارج يبغضونه ، واتفقت هذه الفرق الثلاث على ذم يزيد فأهل الحق معتدلون فى ذمه يقولون إنه ملك ظالم والرافضة والخوارج يكفرونه ، ولم يقدسه إلا الطائفة الموجودة الآن حول الموصل (اليزيديه) فانهم يعبدون الشيطان ويقدسون يزيد ، ولعل المحاضر نزعه عرق اليهم ، وقوله (وقد أكثر الناس من الكتابة فى هذه الحادثة) كلام حانق على علماء الإسلام الذين بينوا للناس أخلاق يزيد وفظائعه وليس لحملة العلم محاباة يزيد بخيانة العلم أو كتمه ، وقوله (لا يريدون بذلك إلا أن تشتعل النيران فى القلوب فيشتد تباعدها) حكم على ضمائر المؤلفين فى هذه الحادثة كعادته وحنق عليهم ، ومن أين له أنهم أرادوا ذلك الا من سوء ظنه فيهم ووحى الشيطان ، ولو أرادوا ذلك على زعمه لكان صحيحا

فان تحسر القلوب على قتل الصالحين من الدين والمروءة ومكارم الأخلاق والوفاء بحق الإخاء الإسلامى ، أما قلوب الجهلة الحمقى التى لا تعرف من الدين إلا تقديس يزيد مثل ذلك الدابة الذى طلب منه أن يهب له بنت الرسول ليسترقها فأبعدها الله ولا جمعها ، وقوله (غاية مافى الأمر أن الرجل طلب أمرا لم يتهيأ له ولم يعدله عدته فحيل بينه وبين مايشتهى) تخرص فاسد ونظرية باطلة أما التخرص الفاسد فقوله إن الرجل طلب أمرا يعنى ملكا وهو كذب عليه وعلى التاريخ لأنه والذين امتنعوا من بيعة يزيد جازمون بأنه صاحب لهو ولا يجوز بيعة لاه فى اجتهادهم بحال فلا يلزم من امتناعه من بيعة فاسق طلبه الملك بل الخروج عليه متعين لمن ظن فى نفسه القدرة على ذلك لأنه منكر تجب إزالته وليس هو صحابيا أو مفضولا حتى لا يسوغ لهم الامتناع من بيعته ولا تفضيل بين صحابى وغيره ولا بين تقى ولاه ؛ :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا

وإنما يصح التفضيل بين كل واحد من الممتنعين من بيعة يزيد وبين أبيه معاوية ولا شك أن كل واحد منهم أفضل من معاوية رضى الله عنه لأنه من مسلمة الفتح بنص الآية ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ والتقييد بالانفاق والقتال فيها خرج مخرج الغالب عند المحققين والمراد من اتصف بذلك بالفعل أو بالقوة ، وبيعة ابن عمر له بعد موت أبيه لا تكون حجة على الحسين وابن الزبير لأن ولايته على الأمة فى اجتهادهما منكر ، فالحسين بين شرين إما أن يذل فيبايع لمن لا يسوغ له مبايعته فى اجتهاده أو يمتنع من ذلك ويعتزل ولكن يزيد لا يتركه واعتزاله بل لا بد أن يبرهن للناس على ظلمه بقتله حالا إن امتنع من بيعته فاذا وجد أعوانا على إزالة هذا المنكر أو على الامتناع منه وقتا ما تعين عليه المصير لذلك ، والقضاء المبرم لا بد أن ينفذ فيه على كل حال ، فلو طلب فى خروجه الملك مجردا عن هذه الامور المحتفة

به كما زعم واقتبس له الآية الواردة فى أهل النار ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ لكان غير مستنكر فى السنن الكونية عليه ولا لوم على القدر النافذ بقتله مظلوما شهيداً فكم فى التاريخ من قائم بالحق قتل دون نيل مقصوده وكم فيه من مبطل صارت له صولة ودولة ، وأما النظرية الباطلة فهى قوله لم يتهيأ له ولم يعدله عدته ، ادعاها ابن خلدون فى مقدمته وقال إن الدول لا تقوم إلا بها فأخذها منه وتشيع بها وقد أبطل التاريخ هذه النظرية فقد أثبت الملك لجماعة بلا عدة ولا كبير استعداد منهم عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام الداخل إلى الأندلس هاربا من بنى العباس فقد أسس بها دولة عظيمة وقد أتاهم غريبا طريدا لا مال له ، ومنهم ادريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط فقد فر من العباسيين أيضاً مع مولاه راشد فدخل المغرب الأقصى طريدا غريبا لا مال له فأسس به دولة الأدارسة المشهورة وبآسيا شيء كثير فمن ذلك الحسن الأطروش مؤسس الدولة العلوية بطبرستان ، ومنهم يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الدولة الصفارية بسجستان دامت أكثر من خمسين عاماً ومؤسسها حداد ومنهم تيمورلنك ومنهم ومنهم ...

وقوله (وقتل دونه وقبل ذلك قتل أبوه فلم يجد من أقلام الكاتبين من يبشع أمر قتله إلى قوله وقد ذهب الجميع) عداوة حمقاء ظاهرة لأبى الحسن وأولاده وبهتان مفضوح على التاريخ أما تبشيع قتله عند أمثاله النواصب فهو كما ذكر وأما عند فحول الشعراء وعلماء المسلمين فقد كتبوا فيهم الدواوين التى لا تحصى نظماً ونثرا ونصبت البلاغة عليهم رواقها بالرثاء الجيد والثناء الحميد وقبل هذا أثنى عليه وعلى أخيه وعلى أبيهما جده صلى الله عليه وسلم بما يعجز البلغاء عنه ولا يحتاج بعده إلى ثناء أحد ، وأما يزيد فقد مقته جميع المسلمين وأبغضوه ولم يجد حتى من بنى أمية وشيعتهم من يثنى عليه الا من هو شر من البهائم بالعراق الآن عبدة الشيطان (اليزيدية) وحضرته ، بل جوز لعنه الإمام احمد فى رواية ابنه صالح عنه والقاضى أبو

يعلى بن الفراء وابن الجوزى والكياقرين الغزالى وسعد الدين التفتازانى وغيرهم وبعضهم بالغ فكفره كما ذكره ابن حجر فى الصواعق والآلوسى فى تفسيره قال ابن الجوزى فى كتابه المسمى بالرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد : سألنى سائل عن يزيد بن معاوية فقلت له يكفيه ما به فقال أيجوز لعنه فقلت له قد أجازه العلماء الورعون منهم الامام احمد فإنه ذكر فى حق يزيد ما يدل على جواز لعنه ثم روى عن القاضى أبى يعلى أنه روى فى كتابه المعتمد فى الأصول باسناده إلى صالح بن الإمام أحمد أنه قال : قلت لأبى إن قوما ينسبوننا إلى تولى يزيد بن معاية فقال يابنى وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر فقلت وهل يلعن فقال يا بنى ولم لا يلعن وقد لعنه الله فى كتابه فقلت وأين لعنه الله فى كتابه فقال فى قوله تعالى ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله ﴾ وأى فساد وأى قطيعة أعظم مما فعل يزيد ، ثم قال ابن الجوزى وقد صنف القاضى أبو يعلى كتاباً ذكر فيه من يستحق اللعن ثم ذكر منهم يزيد .

وقوله (وقد ذهب الجميع إلى ربهم يحاسبهم على مافعلوا) صحيح لا شك فيه ولا شك أن حساب ابن الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه يسير وحساب الظالمين عسير ، كما لا شك فى أنه تعالى يحاسبك على تقولك عليه تعالى فى حادثة الفيل ما لم يقله وعلى تقولك على العلماء فيها مالم يقولوه وعلى عبثك بكلامه تعالى بالتأويلات الفاسدة وعلى إنكارك دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ووجود الجن والملائكة وكونهم أجساماً وعلى تشويهك حقائق التاريخ الاسلامى وعلى طعنك فى أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالأباطيل والبهتان وعلى نصبك حساباً عسيراً ، ثم بعد هذا كله تكون مع من أحببت .

وقوله (والتاريخ يأخذ من ذلك عبرة إلى قوله كما أنه لابد أن تكون) هو نظرية ابن خلدون بعينها كرر مضغها والتشبع بها وقد أبطلتها وأقول

أيضا لاشك عند كل عاقل أن جميع المعارك التى دارت بين الصحابة رضوان الله عليهم وبين الدولتين الجبارتين فارس والروم سار اليها الصحابة بغير عدتها الطبيعية المزعومة وكان النجاح حليفهم فى جميعها ، ولم يكن عندهم من القوة ما يكفله لهم ولا مايقرب من ذلك ، والتاريخ المتواتر برهان على ذلك، وأى أمر أعظم مما ساروا اليـه وقاموا به .

وقوله (كما أنه لا بد أن تـكون هناك أسباب حقيقية لمصلحة الأمة إلى قوله أما الحسين) فاسد لأن مصلحة الفرد من مصلحة الأمـة والدين كما أوجب على الراعى احترام حقوق الأمة مجتمعة أوجب عليه أيضاً احترام حقوق كل فرد منها وأوجب على كل فرد منها طاعته فى غير معصية الله ، فلا يحل له ولو كان عادلا قتل مسلم منها امتنع من بيعته إذا لم يخرج عليه ، أو التعرض له بسوء فى عرضه أو ماله فمن باب أولى إذا كان فاسقا فيزيد كان مصمما على قتل الحسين إذا لم يبايعه فهو رضى الله تعالى عنه مضطر فى دفاعه عن نفسه شهيد ، وفى الحديث المتواتر (من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد) والعموم فيه شامل لـكل مقتول وفى الحديث الآخر (من قتل دون مظلمته فهو شهيد) وهذا أعم مما قبله واشتهار يزيد بالمعاصى معلوم فى التاريخ قال ابن كثير فى بدايته فى ترجمته كان فيـه إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات فى بعض الأوقات وإماتتها فى غالب الأوقات ثم ذكر حديثا رواه الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم يكون خلف يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر) وقال فى موضع آخر يزيد بن معاوية أكثر مانقم عليه فى عمله شرب الخمر واتيان بعض الفواحش ، وقال ابن الأثير فى كامله : إن يزيد حج فى حياة أبيه فلما وصل إلى المدينة جلس على شراب له فاستأذن عليه ابن عباس والحسين

فقيل له إن ابن عباس إن وجد ريح الشراب عرفه فحجبه وأذن للحسين فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال لله در طيبك ما أطيبه فما هذا قال هو طيب يصنع بالشام ثم دعا بقدح فشربه ثم دعا بآخر فقال اسق أبا عبد الله فقال له الحسين عليك شرابك أيها المرء لا عين عليك منى فقال يزيد :

ألا ياصاح للعجب دعوتك ذا ولم تجب
إلى الفتيات والشهوات والصهباء والطرب
وباطية مكللة عليها سادة العرب
وفيهن التى تبلت فؤادك ثم لم تتب

فنهض الحسين وقال بل فؤادك ياابن معاوية تبلت ، وقال شقيق بن سلمة لما قتل الحسين ثار عبد الله بن الزبير فدعا ابن عباس الى بيعته فامتنع وظن يزيد أن امتناعه تمسك منه ببيعته فكتب اليه أما بعد فقد بلغنى أن الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته وأنك اعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا فجزاك الله من ذى رحم خير مايجزى المواصلين لارحامهم الموفين بعهودهم فما أنسى من الأشياء فلست بناس برك وتعجيل صلتك بالذى أنت له أهل فانظر من طلع عليك من الآفاق ممن سحرهم ابن الزبير بلسانه فأعلمهم بحاله فانهم منك أسمع الناس ولك أطوع منهم للمحل ، فكتب اليه ابن عباس أما بعد فقد جاءنى كتابك فأما تركى بيعة ابن الزبير فوالله ماأرجو بذلك برك ولاحمدك ولكن الله بالذى أنوى عليم.وزعمت أنك لست بناس برى فاحبس أيها الانسان برك عنى فانى حابس عنك برى وسألت أن أحبب الناس اليك وأبغضهم وأخذلهم لابن الزبير فلا سرورا ولا كرامة كيف وقد قتلت حسيناً وفتيان عبدالمطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام غادرتهم خيولك بأمرك فى صعيد واحد مزملين بالدماء مسلوبين بالعراء مقتولين بالظمأ لامكفنين ولا موسدين تسفى عليهم الرياح وينشأ بهم عرج البطاح حتى أتاح الله بقوم لم يشركوا فى دمائهم كفنوهم وأجنوهم وبى وبهم لوعزت

وجلست مجلسك الذى جلست فما أنسى من الأشياء . فلست بناس أطرادك حسيناً من حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى حرم الله وتسييرك الخيول اليه فما زلت بذلك حتى أشخصته الى العراق فخرج خائفا يترقب فنزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولاهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فطلب اليكم الموادعة وسألكم الرجعة فاغتنمتم قلة أنصاره واستئصال أهل بيته وتعاونتم عليه كانكم قتلتم أهل بيت من الترك والكفر فلا شيء أعجب عندى من طلبتك ودى وقد قتلت ولد أبى وسيفك يقطر من دمى وأنت أحد ثأرى ولا يعجبك ان ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوما والسلام اه . فهل هناك جور ظاهر لايحتمل وعسف شديد فوق جور وعسف مرتكب أم الخبائث .

وقوله (أما الحسين فانه خالف على يزيد وقد بايعه الناس) باطل بثلاثة أوجه (١) مجرد امتناعه من بيعة يزيد لا يعد مخالفة عليه ولا يبيح له أذاه على ذلك بأى نوع من أنواع الأذى لأنه صحابى مجتهد . فان قيل أجمع الناس على بيعته قلت لا اجماع عليها لأن كثيرا من المبايعين له عوام طغام ولا اجماع أيضا لو فرض أن المبايعين له كلهم مجتهدون مع امتناع الحسين وحده منها فان قيل اذاً لا اجماع أيضا على خلافة الصديق مع امتناع سعد بن عبادة من بيعته ، قلت لا يخفى فساد قياس يزيد على أبى بكر رضى الله عنه وقياس الأمة فى زمنه على الأمة فى زمن الصديق بل فرق عظيم فى كيفيتى بيعتهما يدركه كل من له المام بالتاريخ والعلم فبيعة أبى بكر مجمع عليها وانما سقط الاثم عن سعد لصحبته ، (٢) بيعته فى حال صحة أبيه لا اعتبار لها لوجهين الأول الامامة كالارث حق للامة يثبت لها بعد موت الاول ويصح له فى مرض موته أن يستخلف عليها بالنيابة عنها من يراه أصلح لها كما فعل الصديق فى مرض موته والفاروق بعد طعنه ومعلوم أن معاوية رضى الله عنه عهد الى ابنه فى حال صحته ، الثانى استنادها لتلك الأمور وهى انتقاء ناس من أهل الأمصار

وسوقهم اليها وتهيئة الخطباء الحاثين عليها واكراه سادة الامة عليها كما قالوا.
(٣) مبايعه ثان بالامامة مع وجود الاول فى بلد واحد باطلة فى رأى جمهور مجتهدى الأمة ، فان قيل بيعة يزيد فى حياة أبيه انما هى على أن يكون خليفة بعد موته ، قلت هذا مردود بثلاثة أوجه : الاول الامامة حق الامة يثبت لها بعد موت معاوية ولاحق لها مع وجوده ولا ليزيد. فبيعته على هذا عدم لأنها اثبات الشىء قبل وجوده ووجوبه . الثانى بيعته له فى حال صحته لااعتبار لها فى رأى الجمهور وبيعة من بايعه من مجتهدى الأمة اذ ذاك انما هى ارتكاب أخف الضررين . الثالث صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال إذا بويع خليفة ثم بويع آخر فاقتلوا الآخر ، ولأجل هذا وماتقدم امتنع سادات المسلمين منها . فابن ابى بكر مات فى حياة معاوية ولم يبايع ابنه وابن عمر بايع له بعد موت أبيه وقال ان كان خيرا رضينا وان كان شرا صبرنا ، وابن الزبير والحسين لم يبايعا أصلا ولأجل هذا قال له ابن الزبير ان كنت قد مللت الأمارة فاعتزلها وهلم ابنك فلنبايعه أرأيت اذا بايعت ابنك معك لايكما نسمع ونطيع لا تجتمع البيعة لكما أبدا ومن أجل هذا لما عهد عبد الملك بن مروان بالخلافة لابنيه الوليد وسليمان امتنع سعيد ابن المسيب من علماء المدينة من البيعة لهما فضرب ضرباً مبرحاً وشهر به ، فان كانت هـــذه الأمور كلها سائغة فى اجتهاد معاوية فانها غير سائغة فى جهاد الممتنعين من بيعة ابنه وغيرهم : فان قيل ليس امتناع الحسين من بيعة يزيد كامتناع سعد بن عبادة من بيعة الصديق فان قومه بايعوا ابا بكر وهم وبقية الأمة لا يلتفتون اليه لذلك لم يقتله أبو بكر والحسين وان بايع اهل بيته يزيد فامتناعه يلفت أنظار الأمة اليه ، لصحبته ومنزلته مع أبيه وأخيه فى الاسلام وفى بيت النبوة ، بدليل أنه لما أتى مكة كان أهلها مع من بها من المعتمرين وأهل الآفاق يترددون اليه كثيرا مدة مكثه بها ، فيزيد مضطر لقتله ان لم يبايعه ، قلت هذا أدحض لحجة يزيد لانه دليل على اغتصابه حق الأمة ، وانها مع الحسين لانعرف له فضلا يستحقها به وماذنب الحسين فى اقبال الناس عليه بسائق المحبة

فما أودعه الله له ولأهل بيته فى قلوب كثير من عباده منها لاتزيله الجبروتية الغاشمة ، وما بناه الدين لاتهدمه الدنيا ، ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ﴾ وبهذا ظهر فساد قوله (ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار هذا الخلاف) وأى جور وعسف أعظم من قتله ابن الرسول على امتناعه من بيعته ، وقد قتل أيضاً أخاه الحسن رضى الله عنه بالسم دس إلى امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى أن سمى الحسن وأنا أتزوجك بعده ففعلت فلما مات الحسن بعثت إليه فقال والله إنا لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا ؛ قال ابن كثير وعندى أن هذا ليس بصحيح ، قال ابن حجر فى الصواعق وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث دس اليها يزيد أن تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت فمرض أربعين يوماً فلما مات بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال لها إنا لم نرضك للحسن أفنرضاك لانفسنا ، وبموته مسموماً شهيداً جزم غير واحد من المتقدمين كقتادة وأبى بكر بن حفص والمتأخرين كالزين العراقى فى مقدمة شرح التقريب اه.

وذكر ابن الاثير فى حوادث سنة ست وأربعين وفاة عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد قال وكان سبب موته انه كان قد عظم شأنه عند أهل الشام ومالوا اليه لما عندهم من آثار أبيه ولشدة بأسه وغنائه فى أرض الروم فخافه معاوية وخشى منه فأمر ابن اثال النصرانى ان يحتال فى قتله وضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش وأن يوليه خراج حمص فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس اليه ابن اثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها فمات بحمص فوفى له معاوية بما ضمن له اه .

قال ابن كثير وزعم بعضهم ان ذلك عن أمر معاوية له فى ذلك ولا يصح اه .

وأنا أقول معه لا يصح ذلك عن معاوية رضى الله عنه ولكن اذا كان ابن خالد عظيم القدر عند أهل الشام فهم بلا شك يحبونه ، فمن دس عليه ابن

اثال النصرانى ، وقد غلط ابن العربى غلطاً فاحشاً فى قوله فى القواصم والعواصم (ماخرج عليه أحد إلا بتأويل ولا قاتلوه الا بما سمعوا من جده المخبر بفساد الحال المحذر من الدخول فى الفتن وأقواله فى ذلك كثيرة منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (انه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الامة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان) فما خرج الناس الا بهذا وأمثاله اه) .

ثم ابن كثير فى بدايته فى قوله (وقد تأول عليه من قتله انه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه الناس واجتمعوا عليه وقد ورد فى صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك والتحذير منه والتوعد عليه اه.

وأهل الحق يقولون بموجب هذه الاحاديث ولكنها فى الذى يخالف إماما عادلا وقد أشار ابن خلدن إلى هذا فى الفصل الذى نقلته عنه بقوله فى ابن العربى (حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل ومن أعدل من الحسين فى فى زمانه فى إمامته وعدالته فى قتال أهل الآراء اه)

وسيأتى إتمامه بابسط من هذا . فهل كان يزيد من أهل الروايه والتفقه فى الدين وهل كان ابن زياد أميره من أهل الدين وهل كان الجيش الذين قتلوا الحسين إلا رعاع أجلاف ليس فيهم صحابى ولا تابعى فقيه فى الدين وأمثلهم شبث بن ربعى المذبذب فى دينه الذى كان مؤذن سجاح ثم تاب وأسلم وصار بعد ذلك من أنصار حيدرة ثم استهواه الخوارج بعد التحكيم ورأسوه عليهم ثم تاب من رأيهم سريعا ورجع إلى أمير المؤمنين كرم الله وجهه وصار بعده مع ابنه الحسن ثم كان من الكاتبين إلى الحسين المبايعين له النا كثين ذلك المحاربين له لما ملأ له ابن زياد غرارته دراهم وقد تقدم كلامه فى كراهته لقتال الحسين وقوله فى أمارة مصعب بن الزبير (لا يعطى الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ولا يسددهم لرشد) وتعجيبه أصحابه فى أعترافه بأنه قاتل مع على بن أبى طالب ومع ابنه الحسن معاوية خمس سنين ثم عدا على ابنه وهو خير أهل الأرض يقاتله مع آل معاوية وابن سمية وشهادته على نفسه

وأضرابه بأنهم (ضلال يالك من ضلال) فهل يقال فى هؤلاء الغوغاء بأنهم أهل سماع لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأهل فقه وتأويل ، أخرج الترمذى عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أنها رأت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باكياً وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا ، وكذا رآه ابن عباس نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل فى ذلك اليوم ، وقد ظهرت خوارق بعد قتله رواها علماء الأثر وقد ذكر ابن حجر فى الصواعق المحرقة جملة وافرة منها فمنهـــا إن السماء أمطرت دماً فاصبحت جرارهم مملوءة دما وأنهـا اسودت اسودادا عظيما حتىٰ رؤيت النجوم نهاراً ، ولم يرفع حجر الأوجد تحته دم عبيط وأن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة فى السماء ، وأن العدس الذى كان فى عسكرهم تحول رمادا، وأنهم نحروا ناقة فى عسكرهم فكانوا يرون فى لحمها مثل الفيران فطبخوها فصارت مثل العلقم وغير ذلك لكن قال ابن كثير كلها موضوعة لا يصح منها شيء ، كما رووا خوارق وفتنا أصابت القاتلين له وهذه اعترف بها قال : وأما ماروى من الأحاديث والفتن التى أصابت من قتله فاكثرها صحيح فانه قل من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة أو عاهة فى الدنيا فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض وأكثرهم أصابه الجنون اه .

وقد ذكر من هذه ابن حجر فى صواعقه أيضا أمثلة منها أن جمعاً تذاكروا أنه مامن أحد أعان على قتل الحسين الا أصابه بلاء قبل أن يموت فقال شيخ أنا أعنت وما أصابنى شيء فقام ليصلح السراج فأخذته النار فجعل ينادى النار النار وانغمس فى الفرات ولم ينفعه فهلك بها وبعضهم طال ذكره حتى كان إذا ركب الفرس لواه على عنقه كأنه حبل ، وبعضهم ابتلى بالعطش فكان يشرب راوية ولا يروى ، ونقل سبط ابن الجوزى عن السدى أنه أضافه رجل بكر بلاء فتذاكروا أنه ماتشارك أحد فى دم الحسين إلا مات أقبح موتة فكذب المضيف بذلك وقال أنه ممن حضر فقـــام

آخر الليل يصلح السراج فوثبت النار فى جسده فأحرقته قال السدى فانا والله رأيته كانه حممة ، قتل الحسين رضى الله عنه يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة ومن عجيب الاتفاق أن ابن زياد قتل فيه بعثه عبد الملك ابن مروان إلى العراق قائداً لجيش جرار من أهل الشام فبعث اليه المختار بن أبى عبيد إبراهيم بن الأشتر فى سبعة آلاف من أهل الكوفة فالتقوا بناحية الموصل فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم جيش الشام وأتبعهم أصحاب إبراهيم يقتلونهم والذى غرق منه فى نهر الخازر أكثر ممن قتل وقتل قواده شرحبيل بن ذى الكلاع والحصين بن نمير الذى حضر وقعة الحرة وسار إلى مكة فحاصر ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق وكان الركن الأعظم فى تشييد أمر مروان ، قال إبراهيم لأصحابه إنى قتلت رجلا تحت راية منفردة على شاطىء نهر الخازر فالتمسوه فانى شممت منه رائحة المسك شرقت يداه وغربت رجلاه فالتمسوه فاذا هو ابن زياد قتيلا بضربة إبراهيم قد قدته بنصفين كما ذكر إبراهيم فأخذ رأسه وأحرقت جثته ولما جىء برأسه ورؤوس قواده فألقيت فى القصر جاءت حية دقيقة فتخللت الرؤوس حتى دخلت فى فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت فى منخره وخرجت من فيه ففعلت هذا مراراً أخرج هذا الإمام الترمذى فى جامعه .

نبذة من فضائل الحسن والحسين وامهما

رضى الله تعالى عنهم

قد اعتنى العلامة ابن حجر الهيتمى فى الصواعق فذكر كثيرا من من الاحاديث الواردة فى فضائل قريش وأهل البيت عموما وفى الحسنين وأبيهما وأمهما خصوصا منها (١) أخرج أحمد والترمذى والحاكم عن ابن الزبير أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال (إنما فاطمة بضعة منى يؤذينى ما آذاها وينصبنى ما أنصبها) (٢) أخرج الشيخان عنها رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها (يافاطمة ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين). (٣) أخرج الترمذى والحاكم عن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال (أحب أهلى إلى فاطمة)، (٤) أخرج الحاكم أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران) (٥) أخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد والطبرانى عن عمر وعن على وعن جابر وعن أبى هريرة وعن اسامة بن زيد وعن البراء رضى الله تعالى عنهم وابن عدى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) (٦) أخرج ابن عساكر عن على وعن ابن عمر وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر والطبرانى عن قرة وعن مالك بن الحويرث والحاكم عن ابن مسعود أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال (ابناى هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما) (٧) أخرج الترمذى عن ابن عمر أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال (ان الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا) (٨) أخرج أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال (من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى) (٩) روى الإمام أحمد

وتفرد به عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال (نظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى على والحسن والحسين وفاطمة وقال أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم)(١٠)أخرج أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى والنسائى عن أبي بكرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال(ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) يعنى الحسن ، (١١) أخرج أبو داود والحاكم عن أم الفضل بنت الحارث أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال (أتانى جبريل فأخبرنى ان أمتى ستقتل ابنى هذا (يعنى الحسين وأتانى بتربة من تربة حمراء)(١٢)فى الصحيح عن ابن عمر وقد سأله رجل من أهل العراق عن المحرم يقتل الذباب فقال : أهل العراق يسألون عن قتل الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (هما ريحانتاى من الدنيا) روى يحي بن سعيد الأنصارى عنه رضى الله عنه قال أتيت عمر رضى الله تعالى عنه وهو يخطب على المنبر فصعدت اليه فقلت انزل عن منبر أبي واذهب الى منبر أبيك فقال عمر لم يكن لأبي منبر وأخذنى فأجلسنى معه اقلب حصى بيدى فلما نزل انطلق بى الى منزله فقال لى من علمك قلت والله ماعلمنى أحد قال بأبي لو جعلت تغشانا قال فاتيته يوماً وهو خال بمعاوية وابن عمر بالباب فرجع ابن عمر فرجعت معه فلقينى بعد فقال لم ارك قلت ياأمير المؤمنين انى جئت وانت خال بمعاوية فرجعت مع ابن عمر فقال انت احق من ابن عمر فانما أنبت ما ترى فى رؤوسنا الله ثم أنتم ، سنده صحيح ، قال مصعب الزبيرى حج الحسين بن على خمساً وعشرين حجة ماشياً .

طعنه فى اخيار الامة اهل المدينة ووقعة الحرة

والجواب عن ذلك مفصلا مطنبا

قال فى ص ١٣٢ ج٢ (وان الانسان ليعجب من هذا التهور الغريب والمظهر الذى ظهر به اهل المدينة فى قيامهم وحدهم بخلع خليفة فى امكانه ان يجرد عليهم من الجيوش مالا يمكنهم أن يقفوا فى وجهه ولا يدرى ماالذى كانوا يريدونه بعد خلع يزيد أيكونون مستقلين عن بقية الامصار الاسلامية لهم خليفة منهم يلى أمرهم أم حمل بقية الامة على الدخول فى امرهم وكيف يكون هذا وهم منقطعون ولم يكن معهم فى هذا الآمر احد من الجنود الاسلامية . انهم فتقوا فتقاً وارتكبوا جرماً فعليهم جزء عظيم من تبعة انتهاك حرمة المدينة وكان من اللازم على يزيد وأمير الجيش ان لا يسرف فى معاملتهم بهذه المعاملة فانه كان من الممكن أن يأخذهم بالحصار فان المدينة لا تحمل الحصار كثيراً لانه ليس فيها مايمون اهلها وماوها يجىء من الخارج فلو قطعوه عنهم مااستمروا يومين كاملين وربما يقال ان اهل المدينة تعجلوا بحرب اهل الشام لانه كان لهم خندق تركوه وراء ظهورهم وخرجوا محاربين بعد الانتصار لم يكن هناك معنى لاباحة ذلك الحرم ثلاثاً احتراماً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، هذا وانا نعوذ بالله من الرؤوس التى اذا هاجت لا تنظر فى عاقبة ولا تفكر فى مستقبل اه .

أقول : قد ذكر حادثة المدينة (وقعة الحرة) قبل هذا الكلام بجملة بدون ذكر اسبابها تقديساً ليزيد بن معاوية وطعناً فى بقية سادات هذه الامة كما هو واضح فى هذا الكلام جرياً على عادته فيهم ، فذكر ان عثمان بن محمد بن أبى سفيان أمير المدينة لابن عمه يزيد أوفد اليه وفداً من اشرافها وان يزيد اكرمهم واحسن اليهم واعظم جوائزهم ، فلما رجعوا الى المدينة أظهروا شتم يزيد وعيبه وأعلنوا خلعه فتابعهم الناس ولما علم يزيد بذلك ارسل النعمان بن بشير الانصارى الى المدينة لينصح قومه فلم

تجد نصيحته نفعاً فعاد عنهم، وان اهل المدينة حصروا بنى امية فى دار مروان فكتبوا الى يزيد يستغيثون به فجهز يزيد جيشاً امرّ عليه مسلم بن عقبة المرى عدته اثنا عشر الفاً قال ابن كثير فى بدايته ارسل معه عشر آلاف فارس وقيل اثناعشر الفاً وخمسة عشر الف راجل اه قال وقال له يزيد ادع القوم ثلاثاً فان أجابوك والا فقاتلهم فان ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً فكل ما فيها من مال او دابة او سلاح او طعام فهو للجند فاذا مضت الثلاث فكف عن الناس ، وانظر على بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيرا فإنه لم يدخل مع الناس ، وأن أهل المدينة لما بلغهم مسير الجيش اليهم شددوا الحصار على بنى أمية ولم يفكوا عنهم الحصار إلا بعد أن عاهدوهم أن لا يبغوهم غائلة ولا يدلوا لهم على عورة ولا يظاهروا عليهم عدوا وبهذا أخرجوهم من المدينة فخرجوا وقابلوا الجيش بوادى القرى فدعا مسلم بعمرو بن عثمان وقال له ما وراءك فقال لا أستطيع فقد أخذت علينا العهود والمواثيق أن لا ندل على عورة ولا نظاهر عدوا فانتهره وقال والله لولا أنك ابن عثمان لضربت عنقك . فدخل عليه عبد الملك بن مروان فدله على عورة أهل المدينة وعلى الخطة الحربية التى يسلكها معهم ثم دخل عليه مروان فقال ايه فقال مروان أليس قد دخل عليك عبد الملك قال بلى وأى رجل عبد الملك قلما كلمت من رجال قريش رجلا شبيها به فقال مروان إذا لقيت عبد الملك فقد لقيتنى ، وأن مسلماً سار إلى المدينة على إرشاد عبد الملك . قلت قال ابن الأثير فى كامله : لما سمع عبد الملك بن مروان أن يزيد قد سير الجنود إلى المدينة قال ليت السماء وقعت على الأرض إعظاماً لذلك ثم انه ابتلى بعد ذلك فوجه الحجاج فحصر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير اه .

وقال السيوطى فى تاريخ الخلفاء قال يحيى الغسانى لما نزل مسلم بن عقبة المدينة دخلت مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلست إلى جنب عبد الملك فقال لى عبد الملك أمن هذا الجيش أنت قلت نعم قال ثكلتك أمك أتدرى إلى من تسير إلى أول مولود ولد فى الإسلام والى ابن حوارى رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم والى ابن ذات النطاقين والى من حنكه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أما والله إن جئته نهارا وجدته صائماولئن جئته ليلا لتجدنه قائما فلو أن أهل الأرض أطبقوا على قتله لأكبهم الله جميعا فى النار ، فلما صارت الخلافة اليه وجهنا مع الحجاج حتى قتلناه ، ثم قال السيوطى وقال مالك سمعت يحيي بن سعيد يقول من صلى فى المسجد ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه كانوا إذا صلى الإمام الظهر قاموا فصلوا إلى العصر فقيل لسعيد بن المسيب لو قمنا فصلينا كما يصلى هؤلاء فقال سعيد بن المسيب ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم وانما العبادة التفكر فى أمر الله والورع عن محارم الله اه .

وخلع أهل المدينة يزيد بن معاوية سببان (الأول) اشتهاره بشرب الخمر والفسق ولا شك أن هذا منكر تجب ازالته فى اجتهادهم وازالته لا تمكن الا بخلعه عن الإمامة التى لا يستحقها فى نظرهم حيث اتصف بهذا الوصف الذميم ، وقول الكثير من أئمة الاجتهاد لا يجوز الخروج على الإمام اذا أظهر الفسق والظلم بعدالصلاح لأنه يؤدى الى الهرج والفتن ، لايكون حجة على أهل المدينة لأن كثيرا منهم صحابة مجتهدون وتابعون كذلك .

ذكر الحافظ بن حجر فى فتحه فى ج ١٢ فى كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم متعقباً الرافعى رحمه الله تعالى فى حكمه على الخوارج بحكم أهل الردة مانصه ليس الذى قاله مطردا فى كل خارجى فانهم على قسمين أحدهما من تقدم ذكره (يعنى بهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وكفروه مع عثمان وجمهور الصحابة والأمة الأسلامية جمعاء) والثانى من خرج فى طلب الملك لا للدعاء إلى معتقده وهم على قسمين أيضا قسم خرجوا غضبا للدين من أجل جور الولاة وترك عملهم بالسنة النبوية فهولاء أهل حق ومنهم الحسين بن على وأهل المدينة فى الحرة والقراء الذين خرجوا على الحجاج اه .

(يعنى بالقراء زمرة كبيرة من سادات علماء التابعين بالعراق منهم ابن

أبي ليلى وأبو البختري وسعيد بن جبير والشعبي خرجوا مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج لما اشتد ظلمه وخلعوا عبد الملك بن مروان) ولم يختلف اثنان من المسلمين فى فسق يزيد وظلمه وإنما اختلفوا فى كفره وفى جواز لعنه . قال ابن حجر فى الصواعق المحرقة (اعلم أن أهل السنة اختلفوا فى تكفير يزيد بن معاوية فقالت طائفة إنه كافر (ثم أفاض فى هذا القول) ، وقالت طائفة ليس بكافر لأن الأسباب الموجبة للكفر لم يثبت عندنا منها شيء والأصل بقاؤه على إسلامه حتى يعلم مايخرجه عنه ، والأصل أنه مسلم فنأخذ بهذا الأصل حتى يثبت عندنا ما يوجب الإخراج عنه، ومن ثم قال جماعة من المحققين أن الطريقة الثابتة القويمة فى شأنه التوقف فيه وتفويض أمره إلى الله سبحانه لأنه العالم بالخفيات والمطلع على مكنونات السرائر وهواجس الضمائر فلا نتعرض لتكفيره أصلا لأن هذا هو الأحرى والأسلم وعلى القول بأنه مسلم فهو فاسق شرير سكير جائر كما أخبر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اه) .

ثم ساق الأحاديث التي وردت فى ذمه وقد ذكرتها سابقاً وعلى هذا فمن الأسف ذم من مدحهم الله فى كتابه العزيز ومدحهم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الحسين وأهل الحرة وابن الزبير ، وتقديس من ذمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يكن له قدم فى الإسلام ولم يبرره التاريخ ، ومن الحيف القبيح الطعن فى بقية سادات المسلمين أهل المدينه بكفرانهم إحسان يزيد اليهم وخلعه بطرا فلو لم يتحققوا فسقه ماخلعوا طاعته بعد مضى ثلاث سنين وهم فيها .

قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء : وكان سبب خلع أهل المدينة ليزيد أنه أسرف فى المعاصى ، وأخرج الواقدى من طرق : أن عبد الله بن حنظلة الغسيل قال : والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة ، قال الذهبي ولما فعل يزيد بأهل المدينة مافعل مع شربه الخمر

وإتيانه المنكرات اشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله في عمره اه.

وقد عكس قضية التاريخ الإسلامي الواضحة كثير من العصريين فذموا من مدحهم الله وبررهم التاريخ الحسين وابن الزبير وأهل الحرة، وقدسوا من ذمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يبرره التاريخ يزيد، ولا سند لهم في ذلك إلا أهواؤهم والتقليد والجرى على القاعدة المشهورة:

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخطىء الهبل

وقدوتهم الذي جرأهم على هذا ووسع لهم دائرته بالعبارات البالغة في السفاهة والوقاحة منتهاهما هو هذا المحاضر.

وقد طعن محب الدين الخطيب في تعليقه على العواصم من القواصم في الصحابيين الجليلين عبدالله بن الزبير وعبدالله بن مطيع لأجل يزيد معدلا له نافيا عنه ما أثبته التاريخ متمسكا في ذلك بأسطورة مفتعله على محمد بن الحنفية قال: (فلما خلا الجو لابن الزبير بموت معاوية صار دعاته يذيعون في الحجاز الأكاذيب على يزيد وينسبون اليه مالا يحل لهم. نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٨: ٢٣٣) أن عبدالله بن مطيع داعية ابن الزبير مشى في المدينة هو وأصحابه إلى محمد بن على بن أبي طالب (المعروف بابن الحنفية) فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع إلى آخر الأسطورة الدالة على أن ابن الحنفية دافع عن يزيد وشهد له بالخير والفقه وملازمة السنة و و . . . وأنه أقام عليهم الحجة في الذب عنه اه.

أقول قبل الكلام على هذه الأسطورة إن ابن كثير في بدايته صرح بفسق يزيد في ثلاثة مواضع قبل هذه الأسطورة المناقضة لها بقليل (١) ذكر في ص ٢٢٨ ج ٨ عن الطبراني بإسناده قال كان يزيد في حداثته صاحب شراب يأخذ مأخذ الأحداث فأحس أبوه بذلك فوعظه بكلام منثور وشعر ساقهما كاملين، (٢) قال في ص ٢٣٠ ج ٨ واصفاله (وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات وإماتتها

فى غالب الأوقات) ثم أفاض بعد هذا فى الأحاديث الدالة على ذم يزيد ، (٣)قال فى رأس ص ٢٣٢ منه قلت يزيد بن معاوية أكثر مانقم عليه فى عمله شرب الخمر وإتيان بعض الفواحش . اه

فالطعن فى أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الأسطورة المعدلة ليزيد دون استيعاب النظر فى كلام ابن كثير قبيح جداً باطل بسبعة أوجه. الأول : ماخلعه أهل المدينة إلا بعد أن تحقق وفدهم فسقه وهم من سادات المسلمين عدول لا يعقل خلعهم له وقد حباهم وأحسن جائزتهم لو لم يتحققوا ذلك منه ، الثانى اشتهاره باللهو معلوم ، فى التاريخ ، الثالث كراهة زياد بن أبيه لما بعث اليه معاوية يعرض عليه العهد ليزيد ذلك العرض وكتابته اليه أن لا يعجل بهذا الأمر ونصيحته ليزيد بأن يقصر عن اللهو وهو منقول فى التاريخ، الرابع قول ابنه عبيدالله لما بعث اليه يزيد يأمره بالمسير إلى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة : والله لا أجمعهما للفاسق قتل ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغزو الكعبة وأرسل اليه يعتذر وهو منقول فى التاريخ أيضا ، الخامس مانقله ابن الأثير عنه مطولا من قدومه حاجا فى حياة أبيه وإتيان ابن عباس والحسين اليه وهو على شراب وحجبه لابن عباس لما قيل له إن ابن عباس إن وجد رائحة الشراب عرفه وإذنه للحسين وخروج الحسين حالا لما تحقق الشراب وقد سقته برمته سابقاً ، السادس عادة كثير من المؤرخين جمع الغث والسمين وذكر الشىء ونقيضه فى كتبهم بدون تمييز ولا تمحيص ، السابع هذا الذى قاله ابن كثير فى المواضع الثلاثة هو قول علماء الإسلام قاطبة ومنهم شيخه الحافظ الذهبى وقد ذكرت قوله سابقا من تاريخ الخلفاء للسيوطى وهو (ولما فعل يزيد بأهل المدينة مافعل مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات اشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله فى عمره اه .

وقال الذهبى فى ميزان الاعتدال فى أسماء الرجال : يزيد بن معاوية بن

أبى سفيان مقدوح فى عدالته ليس بأهل أن يروى عنه ، قال أحمد بن حنبل لا ينبغى أن يروى عنه اه

وأقره الحافظ بن حجر فى لسان الميزان اه

فنقله لهذه الأسطورة مستسمناً لها بعد كلامه السابق عليها مناقض لها ولما عليه علماء الإسلام وغفلة قبيحة .

وهذه الأسطورة المفتعلة على ابن الحنيفة باطلة بخمسة أوجه الأول ذكرها ابن كثير بلا سند ولا عز ولاحد حتى تبحث بحثا علميا ولم يذكرها ابن جرير ولا ابن الأثير فى كتابيهما ، الثانى لم يصح تاريخا أن هاشمياً وفد على معاوية بعد تنازل الحسن له عن الخلافة فضلا عن وفادتهم على ابنه يزيد وما ذكره ابن كثير فى ترجمة محمد بن الحنفية من أنه وفد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان غير صحيح ، الثالث توفى معاوية رضى الله تعالى عنه فى رجب سنة ستين وبويع يزيد فيه ولم يكن له همة إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته فكتب حالا إلى ابن عمه عامل المدينة الوليدبن عتبة أخبره بموت معاوية وكتابا آخر صغيراً فيه أما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذاً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام ، فبايع ابن عمر وخرج ابن الزبير والحسين إلى مكة وبقى الحسين بها إلى يوم التروية وبنو أمية فى هذه المدة يرصدونه ويضيقون عليه ، وكان رضى الله عنه يقول والله لا يدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفى فاذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة (والفرام خرقة تجعلها المرأة فى قبلها إذا حاضت) وخرج منها يومها إلى العراق فقتل ، فيستحيل وفادة ابن الحنيفة على شخص طارد أخاه حتى قتله ، الرابع قوله لأهل المدينة على تقدير صحة الأسطورة عنه حين قالوا له : إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب، مارأيت منه ما تذكرون وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظبا على الصلاة متحريا للخير الى آخر الأسطورة ، يدل

على أنه وفد على يزيد فى خلافته بعد موت أبيه كما وفدوا هم عليه فيها، وقول ابن كثير فى ترجمته إنه وفد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان يدل على أنه لم يفد على يزيد، الخامس تعديل ابن الحنفية التابعى ليزيد على تقدير صحة الأسطورة لا يقاوم تجريح جماعة من خيار المسلمين له لو كانوا تابعيين مثله فكيف بهم وبعضهم من الصحابة الذين عدلهم القرآن، وقد قال عبد الله ابن حنظلة رضى الله عنه لأهل المدينة جئتكم من عند رجل لو لم أجد الا بنى هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطانى وأكرمنى وما قبلت منه عطاءه إلا لأتقوى به، وهى شبيهة بأسطورة أخرى ذكرها ابن كثير أيضا فى ترجمة يزيد لرفعته عن المدائنى وهى: أن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وفد بعد موت الحسن ابن على رضى الله تعالى عنهما على معاوية رضى الله عنه فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزيه فى الحسن بن على فلما دخل على ابن عباس رحب به وأكرمه وجلس عنده بين يديه فاراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال إنما أجلس مجلس المعزى لا المهنى ثم ذكر الحسن فترحم عليه وعزى ابن عباس فيه فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس وهذه الثانية باطلة أيضا بأربعة أوجه: الأول لم يثبت أن هاشميا وفد على معاوية غير عقيل بن أبى طالب فى خلافة أخيه على. الثانى ابن عباس رجع إلى الحجاز بعد تنازل الحسن لمعاوية بالخلافة وتوطن به إلى أيام ابن الزبير فانه خرج إلى الطائف مع ابن الحنفية وتوطن به حتى توفى به وصلى عليه ابن الحنفية، الثالث كان عبد الله بن العباس إذا قدم مكة مع أخيه عبيد الله بن العباس أوسعهم عبد الله علما وعبيد الله طعاما وكان عبيد الله من الأجواد المشهورين وكان يلقب تيار الفرات، فاى حاجة تحمله على الوفادة على معاوية ان كانت العلم فلا شك أنه أعلم منه بكثير كيف وهو الملقب عند السلف الصالح بحبر الأمة وترجمان القرآن، وإن كانت الدنيا فهو مع إخوته فى ثروة كبيرة منها ثم يقبح جدا بابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبه الوفادة على معاوية طمعاً فيما بيده من وسخ الدنيا،

(صانه الله من ذلك) ، الرابع قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء أخرج العسكرى فى كتاب الأوائل عن سليمان بن عبدالله بن معمر قال قدم معاوية مكة أو المدينه فأتى المسجد فقعد فى حلقة فيها ابن عمر وابن عباس وعبد الرحمن بن أبى بكر فأقبلوا عليه وأعرض عنه ابن عباس ، فقال وأنا أحق بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمه ، فقال ابن عباس ولم ألتقدم فى الإسلام أم مع سابقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو قرابة منه قال لا ولكنى ابن عم المقتول ، قال فهذا أحق به يريد ابن أبى بكر ، قال إن أباه مات موتاً ، قال فهذا أحق به يريد ابن عمر ، قال إن أباه قتله كافر ، قال فذاك أدحض لحجتك إن كان المسلمون عتبوا على ابن عمك فقتلوه اهـ .

السبب الثانى فى خلع اهل المدينة ليزيد سوء تصرف عاملها ابن عمه محمد ابن عثمان بن ابى سفيان ، قال الواقدى فى كتاب الحرة ان اول ما هاج أمر الحرة ان ابن ميناء كان عاملا على صوافى المدينة وبها يومئذ صوافى كثيرة حتى كان معاوية يجذ بالمدينة وأعراضها مائة ألف وسق وخمسين الف وسق ويحصد مائة الف وسق حنطة واستعمل يزيد على المدينة عثمان بن محمد بن ابى سفيان وان ابن ميناء أقبل بشرج له من الحرة يريد الأموال التى كانت لمعاوية فلم يزل يسوقه ولا يصده عنه احد حتى انتهى الى بنى الحرث بن الخزرج فنقب النقيب فيهم فقالوا ليس ذلك لك هذا حدث وضرر علينا فاعلم الأمير محمد ابن عثمان بذلك فارسل الى ثلاثة من بلحرث فأجابوه الى المرور به فأعلم ابن ميناء فغدا بأصحابه فذبوهم فرجع الى الامير فقال له اجمع من قدرت وبعث معه بعض الجند وقال مر به ولو على بطونهم فغدا ابن ميناء متطاولا عليهم وغدا من يذبهم من الأنصار ورفدتهم قريش فذبوهم حتى تفاقم الأمر فرجع ولم يعمل شيئاً وكتب محمد بن عثمان الى يزيد يخبره بذلك ويحرضه على اهل المدينة جميعاً فاستشاط غضباً وقال والله لأبعثن اليهم الجيوش ولا وطئنها الخيل اهـ

وكان اهل المدينة حفروا خندق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الحرة الشرقيـة الى الحرة الغربيـة من جهتها الشمالية وشكوها بالبنيان من بقية النواحي واستعدوا وجاء جيش الشام فنزلوا بالجرف وبعثوا رجالا من رجالهم فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية فما وجدوا مدخلا والناس قد قاموا بالسلاح على أفواه الخنادق يرمون بالنبل والحجارة وجلس مسلم بناحيـة واقم فرآى امرأ هائلا فاستعان بمروان فكان مروان السبب فى هزيمة اهل المدينـة وانتهاك حرمتها ، جاء بنى حارثة فكلم رجلا منهم ورغبه فى الصنيعة وقال له تفتح لنا فاكتب بذلك الى يزيد فيصل أرحامكم ففتـح له طريقا من قبلهم حتى أدخل له الرجال من بنى حارثة الى بنى عبد الاشهل وجاء الخبر الى عبـــد الله بن حنظلة ورؤساء اهل المدينـة فاجتمعوا جميعاً من حيث يدخل اهل الشام ، قال محمود بن لبيد قد حضرت يومئذ وانما اتينا من قومنا بنى حارثة وقد وقفنا ببنى عبد الاشهـــل فقاتلنا ما وجدنا حتى عاينا الموت وكثرت القوم وتفرق الناس فقتلوا فى كل وجه ، روى الواقدى أن قصر بنى حارثة كان أماناً لمن أراد أهل الشام أن يؤمنوه وكانت بنو حارثة آمنين وأول دار انتهبت والحرب بعد لم تنقطع دار بنى عبد الأشهل ، قال الحافظ بن حجر فى فتحه ج ١٣ فى كتاب الفتن ما نصه أخرج أبو بكر بن أبى خيثمة بسند صحيح الى جويرية بن أسماء سمعت أشياخ أهل المدينـة يتحدثون أن معاوية لما احتضر دعا يزيد فقال له ان لك من أهل المدينة يوماً فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبـة فانى عرفت نصيحته فلما ولى يزيد وفد عليـه عبد الله بن حنظلة وجماعة فأكرمهم وأجازهم فرجع فحرض الناس على يزيد وعابه ودعاهم إلى خلعه فأجابوه فبلغ يزيد فجهز اليهم مسلم بن عقبة فاستقبلهم أهل المدينـة بجموع كثيرة فهابهم أهل الشام وكرهوا قتالهم فلما نشب القتال سمعوا فى جوف المدينة التكبير وذلك أن بنى حارثة أدخلوا قوماً من الشاميين من جانب الخندق فترك أهـل المدينة القتال ودخلوا المدينـة خوفاً على أهلهم فكانت الهزيمة وقتل من قتل وبايع

مسلم الناس على أنهم خول ليزيد يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهلهم بما شاء وأخرج الطبرانى من طريق محمد ابن سعيد بن رمانة أن معاوية لما حضره الموت قال ليزيد قد وطأت لك البلاد ومهدت لك الناس ولست أخاف عليك الا أهل الحجاز فان رابك منهم ريب فوجه اليهم مسلم بن عقبة فانى قد جربته وعرفت نصيحته قال فلما كان من خلافهم عليه ما كان دعاه فوجهه فأباحها ثلاثا ثم دعاهم إلى بيعة يزيد على انهم أعبد له قن فى طاعة الله ومعصيته، ومن رواية عروة بن الزبير قال لما مات معاوية أظهر عبدالله بن الزبير الخلاف على يزيد بن معاوية فوجه يزيد مسلم بن عقبة فى جيش أهل الشام وأمره أن يبدأ بقتال أهل المدينة ثم يسير إلى ابن الزبير بمكة قال فدخل مسلم بن عقبة المدينة وبها بقايا من الصحابة فأسرف فى القتل ثم سار إلى مكة فمات فى بعض الطريق، وأخرج يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسند صحيح عن ابن عباس. قال جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة (ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها) يعنى إدخال بنى حارثة أهل الشام على أهل المدينة فى وقعة الحرة اه.

وقد كانت وقعة الحرة لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين للهجرة وقد أتى ذلك الأعرابى الجلف وجيشه بالوحشية كاملة، اخرج البيهقى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال لما كان يوم الحرة قتل أهلى (يعنى الأنصار رضى الله تعالى عنهم لأنه مولاهم) حتى لا يكاد ينفلت منهم أحد، وأخرج أيضا عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن منهم ثلاثمائة من الصحابة، وفى صحيح البخارى عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه ان هذه الوقعة لم تبق من أصحاب الحديبية أحداً، وأخرج أيضا عن مغيرة قال: انتهب مسلم ابن عقبة المدينة ثلاثة أيام وافتض بها ألف عذراء وحملت فى تلك الأيام ألف امرأة من غير زوج وبلغت القتلى من الموالى والعبيد والنساء والصبيان عشرة آلاف، وفى كتاب الحرة للواقدى بسنده إلى

الزهرى قال قتل من وجوه الناس من قريش والأنصار والموالى أكثر من سبعمائة ولقد قتل ممن لا يعرف من الموالى والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف اه .

روى ابن الجوزى بسنده إلى المدائنى عن أبى قرة قال قال هشام بن حسان ولدت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج ، وروى المدائنى بسنده عن أم الهيثم ابنة يزيد قالت رأيت امرأة من قريش تطوف فعرض لها أسود فعانقته فقبلته فقلت يا أمة الله أتفعلين هذا بهذا الأسود فقالت هو ابنى وقع على أبوه يوم الحرة ، وروى عن محمد بن كعب القرظى قال قال مروان لعبد الله بن حنظلة الغسيل وقد رآه مشيرا بأصبعه وقد يبست لئن اشرت بها ميتاً لطالما دعوت وتضرعت بها إلى الله تعالى فقال له رجل من أهل الشام إن كان هؤلاء كما تقول فما دعوتنا إلا لقتل أهل الجنة فقال مروان خالفوا ونكثوا ، وفى الذيل عن ابن النجار للعراقى ذكر ابن سعد فى الطبقات أن مروان بن الحكم كان يحرض مسلم بن عقبة على أهل المدينة وجاء معه معيناً له حتى ظفر بهم وانتهب المدينة فلما قدم مروان على يزيد شكر له ذلك وأدناه ، وروى ابن الجوزى بسنده إلى سعيد بن المسيب قال: ماأصلى لله تعالى صلاة إلا دعوت على بنى مروان . وروى الطبرانى عن أبى هارون العبدى قال رأيت أبا سعيد الخدرى ممعط اللحية فقلت تعبث بلحيتك قال لا هذا مالقيت من ظلمة أهل الشام دخلوا زمن الحرة فأخذوا ما كان فى البيت من متاع أو خرثى ثم دخلت طائفة أخرى فلم يجدوا فى البيت شيئاً فأسفوا أن يخرجوا بغير شىء فقالوا أضجعوا الشيخ فجعل كل يأخذ من لحيتى خصلة ، قال محمد بن عمارة قدمت الشام فى تجارة فقال لى رجل من أين أنت فقلت من المدينة فقال خبيثة فقلت يسميها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طيبة وتسميها خبيثة فقال إن لى ولها لشأناً لما خرج الناس إلى وقعة الحرة رأيت فى المنام أنى قتلت رجلا اسمه محمد أدخل بقتله النار فاجتهدت فى أنى لا أسير معهم فلم يقبل منى فسرت معهم ولم أقاتل حتى

انقضت الوقعة فمررت برجل فى القتلى به رمق فقال تنح يا كلب فانفت من كلامه وقتلته ثم ذكرت رؤياى فجئت برجل من أهل المدينة يتصفح القتلى فلما رأى الرجل الذى قتلته قال إنا لله لا يدخل قاتل هذا الجنة قلت ومن هذا قال هو محمد بن عمرو بن حزم ولد على عهد رسول صلى الله تعالى عليه وسلم فسماه محمداً وكناه أبا عبد الملك فأتيت أهله فعرضت عليهم أن يقتلونى فلم يفعلوا وعرضت عليهم الدية فلم يأخذوا ، ثم دعا مسلم بن عقبة الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول له يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم بما شاء فمن امتنع من ذلك قتله ، وطلب الأمان ليزيد بن عبد الله بن الأسود ولمحمد بن أبى الجهم ابن حذيفة ولمعقل بن سنان الأشجعى فأتى بهم بعد الوقعة بيوم فقال بايعوا على الشرط فقال القرشيان نبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله فقتلهما فقال مروان سبحان الله أتقتل رجلين من قريش أتيا بأمان فطعن فى خاصرته بالقضيب وقال وأنت والله لو قلت بمقالتهما لقتلتك وقتل أيضاً معقل بن سنان وجاؤا بسعيد بن المسيب فقالوا بايع فقال أبايع على سيرة أبى بكر وعمر فأمر بضرب عنقه فشهد رجل أنه مجنون فخلى عنه .

قال ابن كثير وقد روى ابن عساكر فى تاريخه قال لما قتل أهل الحرة هتف هاتف بمكة على أبى قبيس مساء تلك الليلة وابن الزبير جالس يسمع:

والصائمـون القانتـ ـون أولو العبادة والصلاح
المهتـدون المحسنـ ـون السابقـون إلى الفلاح
مـاذا بـواقم والبقيـ ـع من الجحاجحة الصباح
وبقـاع يثرب ويحهـ ـن من النـوادب والصياح
قتل الخيار بنـو الخيـا ر ذوى المهابـة والسماح

فقال ابن الزبير ياهؤلاء قتل اصحابكم فانا لله وانا اليه راجعون . ثم توجه الجيش لمكة فلماوصلوا المشلل هلك مسلم بن عقبة بعد ثلاث من وقعة الحرة ولما نزل به الموت دعا بالحصين بن نمير وقال له يا برذعة الحمار لو كان الامر

الى ماوليتك هذا الجند ولكن أمير المؤمنين ولاك بعدى أسرع السير وعجل المناجزة ولا تمكن قريشاً من اذنك ، ثم قال اللهم انى لم اعمل عملا قط بعد شهادة أن لا إله الا الله احب الى من قتال اهل المدينة ولا أرجى عندى فى الآخرة ولئن دخلت النار بعدها انى لشقى .

قال ابن كثير وقد اخطأ يزيد خطأ فاحشاً فى قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة ايام وهذا خطأ كبير فاحش مع ما انضم الى ذلك من قتل خلق من الصحابة وابنائهم وقد تقدم انه قتل الحسين وأصحابه على يدى عبيد الله بن زياد وقد وقع فى هذه الثلاثة الأيام من المفاسد العظيمة فى المدينة النبوية مالا يحد ولا يوصف مما لا يعلمه الا الله عزوجل ، وقد اراد بارسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه ودوام أيامه من غير منازع ، فعاقبه الله بنقيض قصده وحال بينه وبين ما يشتهيه فقصمه الله قاصم الجبابرة واخذه اخذ عزيز مقتدر اهـ .

ثم قال قال البخارى فى صحيحه وساق اسناده الى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (لا يكيد اهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء) قال ورواه مسلم عن سعد ايضا بلفظ لا يريد احد المدينة بسوء الا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص او ذوب الملح فى الماء ، قال وفى رواية لمسلم عن سعد وابى هريرة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من اراد اهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء) قلت وهذه الرواية الأخيرة قال فى الجامع الصغير رواها احمد ومسلم وابن ماجه عن ابى هريرة، ومسلم وابن ماجه عن سعد بن ابى وقاص ، ثم قال ابن كثير وقال الامام احمد وساق اسناده الى السائب بن خلاد رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (من اخاف اهل المدينة ظلما أخافه الله تعالى وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا) ورواه النسائى من طرق كثيرة عن السائب بن خلاد ثم قال ابن كثير وقال الدار قطنى وساق اسناده إلى محمد وعبد الرحمن

ابنى جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنهما قالا خرجنا مع أبينا يوم الحرة وقد كف بصره فقال تعس من أخاف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا يا أبت وهل أحد يخيف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (من أخاف أهل هذا الحى من الأنصار فقد أخاف مابين هذين ووضع يده على جنبيه) اه .

قلت وروى الإمام أحمد أيضاً عن جابر أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال (من أخاف أهل المدينة ظلماً فقد أخاف ما بين جنبى) وروى ابن حبان فى صحيحه عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة وعليه لعنة الله وغضبه) ، وروى الشيخان واللفظ لمسلم عن أبى هريرة مرفوعاً (يهلك أمتى هذا الحى من قريش قال فما تأمرنا قال لو أن الناس اعتزلوهم) وروى مسلم عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما ماترك شيئا يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه) الحديث وفى رواية عنه أخبرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، بما هو كائن إلى أن تقوم القيامه فما من شىء إلا قد سألته إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة ، وروى الشيخان عن اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال (هل ترون ما أرى إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر) وروى الترمذى عن ابن عمر (اذا مشت أمتى المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم) ، وروى الواقدى فى كتاب الحرة والبيهقى فى دلائل النبوة عن أيوب بن بشير المعادى مرسلا أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج فى سفر من أسفاره فلما مر بحرة زهرة وقف واسترجع فسىء بذلك من معه فظنوا أن ذلك من أمر بسفرهم فقال عمر بن الخطاب يارسول الله ما الذى رأيت فقال النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم (أما أن ذلك ليس من سفركم هذا قالوا فما هو يارسول الله قال يقتل في هذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي) . وروى الواقدى أيضا عن سفيان ابن أبي أحمد قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أشرف على بني عبد الأشهل أشار بيده فقال : (يقتل بهذه الحرة خيار أمتي) ، وروى أيضا عن كعب الأحبار قال نجد في التوراة أن في حرة شرقى المدينة مقتلة تضيء وجوههم يوم القيامة صنعاء ، وروى ابن زبالة عن كعب أيضا أنا نجد في كتاب الله حرة شرقى المدينة يقتل بها مقتلة تضيء وجوههم يوم القيامة كما يضي القمر ليلة البدر . وروى أيضا أنه ذكر عند ابن عباس قتلى الحرة فقال ابن عباس يرحمهم الله قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يقتل بحرة زهرة خيار أمتي) ، اذا علم هذا تحقق فساد قوله (وإن الانسان ليعجب من هذا التهور الغريب الى قوله ولا يدرى ما الذى كانوا يريدونه) لأنهم مجتهدون في خلع من تظاهر بالفسق والحيف مدافعون عن أموالهم وأعراضهم ظلم عامله الغلام الأهوج فلا يضيرهم انفرادهم عن الأمة والحالة هذه ولا يضيرهم تجريده عليهم من الجيوش مالا يمكنهم الوقوف في وجهه حيث قاموا عن الأمة بواجب كفائى يحمدهم عليه الدين والعقلاء وتجريده عليهم من الجيوش مالا يمكنهم الوقوف في وجه برهان كاشف لخليقته مبرر لخلعهم له ولو كان مستقيما ما خلعوه ولو كان حكيما لأمكنه ارجاعهم الى طاعته بدون تجريد الجيوش ، فلا يعجب من قيامهم هذا ويعده تهوراً غريباً إلا شانىء جاهل بالدين وبرجال الاسلام

وقوله (ولا يدرى ما الذى كانوا يريدونه بعد خلع يزيد الى قوله وكيف يكون هذا) أشد فساداً وجهلا بالتاريخ ورجاله لأن مرادهم معلوم لو تم لهم أمرهم وهو مبايعة واحد من أبناء الصحابة القرشيين وهم كثيرون وكل واحد منهم خير من يزيد بل بعضهم أفضل من أبيه معاوية كابن الزبير ، وقد كان أهل الحرمين مالوا اليه جميعا بعد قتل الحسين رضى الله تعالى عنه ولا يكونون مستقلين عن بقية الامصار الاسلامية ولا يحملون

بقية الأمة على الدخول فى أمرهم ، بل الأمصار وأهلها تنقـاد اليهم باختيارها لأنهـا لا تزال تلاحظهم بعين الاجلال والتوقير كما وقع ذلك لابن الزبير بعد موت يزيد فقد بايعه جميع الأمصار ما عدا أهل الأردن من أرض الشام ، وبهذا أيضاً ظهر فساد قوله مستفهماً استفهاماً انكارياً (وكيف يكون هذا وهم منقطعون ولم يكن معهم فى هذا الأمر أحد من الجنود الاسلاميه) ، وقوله (انهم فتقوا فى الاسلام فتقا وارتكبوا جرماً فعليهم جزء عظيم من تبعة انتهاك حـرمة المدينة) سفاهة مبنية على تقديس يزيد والجهل بمقام بقية سادات المسلمين مشاققة لأهل الإسلام جميعاً فان يزيد كافر عند الطائفتين الخوارج والشيعة ، فاسق ظالم عند أهل الحق فهو عند هؤلاء الذى فتق فى الإسلام فتقاً بارتكابه الجرائم الثلاثة قتل الحسـين وانتهاك حرمة المدينة بقتل أهلها وانتهاك حرمة حرم الله بحصاره ورمى الكعبة بالمنجنيق ، وقد برهن بكلامه هذا على وقوفه فى جانب اليزيدية المقدسين ليزيد بن معاوية ، ضد المسلمين فلا تبعة على أهل المدينة أصـلا بل هم شهداء ، مظلومون والتبعة كلها محمولة على ظهر يزيد وعامله وجنده وكل من له سبب فى انتهاك حرمة المدينة من أذنابه .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر فى فتحه جـ ١٢ فى باب من ترك قتال الخوارج للتألف كلاماً نفيسا محل الحاجة منه : (وأما من خرج عن طاعة إمام جائر أراد الغلبة على ماله أو نفسه أو أهله فهو معذور لايحل قتاله وله أن يدفع عن نفسه وماله وأهله بقدر طاقته وسيأتى بيان ذلك فى كتاب الفتن ، وقد أخرج الطبرى بسند صحيح عن عبد الله بن الحارث عن رجل من بنى نصر عن على رضى الله عنه وقد ذكر الخوارج فقال إن خالفوا إماما عدلا فقاتلوهم وإن خالفوا إماما جائراً فلا تقاتلوهم فان لهم مقالا ، (قال الحافظ ابن حجر قلت) وعلى ذلك يحمل ما وقع للحسين بن على ثم لأهل الحرة أهـل المدينة ثم لعبـد الله بن الزبير ثم للقراء الذين خرجوا على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث اه .

وقوله (وكان من اللازم على يزيد وأمير الجيش أن لا يسرف فى معاملتهم بهذه المعاملة) فاسد لأن اللازم على يزيد أولا تقويم نفسه على المنهج السوى وثانيا النظر والتبصر فى الأمر الحامل لهم على خلعه ولا يحل له ما دام ناقصا من جميع النواحى بجرد قتالهم فضلا عن الأسراف فيه وقوله (فانه كان من الممكن أن يأخذهم بالحصار الى قوله بعد الانتصار تعليل فاسد ورأى فائل فات يزيد وأمير جيشه أن يكون مثله من أنصاره موجوداً فى زمنه حتى يشير عليه بهذا الرأى، وغير صحيح قوله (بعد الانتصار لم يكن هناك معنى لإباحة ذلك الحرم ثلاثاً احتراما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فان المعنى ليزيد فى ذلك امتيازه عن أهل الجاهلية وأهل الاسلام معاً بأقصى درجات اللآمة فى الغلبة وإضافته هذه الفعلة الشنعاء إلى صحيفته السوداء من قبل بقتل الحسين وأصحابه حتى يكرم الله الجميع بالشهادة ويكتب له ولأنصاره الخزى المؤبد. فان العرب فى الجاهلية مع شركهم كان قتل النساء والصبيان والعبيد عندهم دناءة لا يرتكبها إلا من انتهى فى اللؤم أقصاه، وكانوا فى حروبهم يربئون بأنفسهم ويصونونها مما يؤثر عنهم قولا أو فعلا من الوحشية، هذا جده أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه مر يوم أحد بحمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه وهو ميت فجعل يطعنه برمحه فى شدقه فرآه الحليس بن زبان سيد الأحابيش فقال يابنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحماً فقال ويحك اكتمها عنى فانها كانت زلة. وقال أبو دجانة الأنصارى رضى تعالى عنه رأيت إنساناً يوم أحد يحمش الناس حمشا شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة. فأكرمت سيف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أضرب به امرأة، وهذا الانسان الذى صمد له أبو دجانة هو هند بنت عتبة بن ربيعة جدة يزيد بن معاوية رضى الله عنها فلم يقتلها أبو دجانة مع كونها إذ ذاك كافرة آذت المسلمين. وقد سن أمير المؤمنين

حيدرة كرم الله وجهه فى الاسلام حكم قتال البغاة بأن لا يقتل مدبرهم ولا يجهز على جريحهم ولا تدخل بيوتهم ولا تؤخذ أموالهم ولا يتعرض لنسائهم وصبيانهم بأذى ولو كانوا غير متأولين أو لهم تأويل فاسد ، وأهل المدينة ليسوا بغاة ، بل هم محقون فى خلعه كما تقدم تقريره عن علماء الاسلام ولكن يزيد لا يمشى على سنة المسلمين مطلقا فكيف بها إذا كانت سنة حيدرة ، وانما يمشى على سنة الشيطان وأى حرمة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده إذا كان قد انتهك معه حرمات الدين والقرابة فى قريش ، وحرمات الدين والنصرة له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الأنصار الذين أوصى صلى الله عليه وسلم بهم خيراً وأمر أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقال فيهم أيضا : آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار وحيث ثبت بكلامه السابق واللاحق وقوفه فى تقديس يزيد بجانب اليزيدية الذين يعبدون الشيطان ويقدسون يزيد بن معاوية ويقتلون كل من تكلم فى واحد منهما بحضرتهم ، ضد أهل الاسلام جميعا فقوله مستعيذاً بالله من أخيار الامة الذين مدحهم الله ورسوله (هذا وإنا نعوذ بالله من الرؤوس التى اذا هاجت لا تنظر فى عاقبة ولا تفكر فى مستقبل) غير مستغرب منه ولا أعلق على هذا الكلام بأكثر من قولى وانى وجميع المسلمين نعوذ بالله ونبرأ اليه من كل من استعاذ من أخيار الامة وذمهم وقدس يزيد بن معاوية ونقول ﴿ ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾

حصار مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وطعنه فى ابن الزبير ومدافعته عن يزيد أيضا

قال فى ص ١٣٢ و١٣٣ ج ٢ (وثالثة الحوادث التى معظم تبعتها على عبدالله ابن الزبير حصار مكة فان مسلما لما انتهى من أمر المدينة سار قاصدا مكة لحرب بن الزبير واستخلف على مكة روح بن زنباع الجذامى وقد أدركت المنيه مسلما بالمشلل فاستخلف على الجند الحصين بن نمير كما أمر يزيد فسار بالجند إلى مكة فقدمها لاربع بقين من المحرم سنة ٦٤ وقد بايع أهلها وأهل الحجاز لعبد الله بن الزبير وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفى الخارجى لمنع البيت : فخرج ابن الزبير للقاء أهل الشام فحاربهم حربا انكشف فيها أصحابه فسار راجعا إلى مكة فأقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى إذا مضت ثلاثة أيام من ربيع الاول رموا البلد بالمنجنيق ولم يزل الحصار حتى بلغهم نعى يزيد بن معاوية فوقف القتال . هذه ثلاث حوادث كبرى داخلية حصلت أيام يزيد جعلت اسمه عند عامة المسلمين مكروها حتى استحل بعضهم لعنه ، ونحن بعد أن بسطنا أمامكم هذه الحوادث وآثارها لانرى من العدل أن يتحمل يزيد كل تبعتها بل ان الذى يتحمله جزء صغير منها لانه خليفة بايعه معظم المسلمين وخالف عليه قليل منهم فليس من المعقول أن يتركهم ومايشتهون لتفرق الكلمة وليس من السهل أن ينزل لهم عما تقلده فهو فيما نرى مجبور على فعل ما فعل ، وانما الذى عليه تلك الشدة التى أجرتها جنوده بعد أن تم لها النصر اه .

أقول : تقدم فى حادثة الحسين مايبرر عمل ابن الزبير فى امتناعه من بيعة يزيد وابن الزبير صحابى جليل مجتهد وفارس من فرسان الاسلام وابن فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحواريه تلك آثاره العظيمة فى فتح أفريقيا الشمالية مسجلة فى التايخ وستأتى الافاضة فى ترجمته عند قتله فقوله (وثالثة الحوادث التى معظم تبعتها على عبد الله بن الزبير

حصار مكة) باطل بما تقدم تقريره مسهبا وتبعة انتهاك حرمة بيت الله كلها محمولة على ظهر يزيد وجنده ، وقوله (فان مسلما لما انتهى من أمر المدينة سار قاصداً مكة لحرب ابن الزبير واستخلف على مكة روح ابن زنباع الجذامى) صحيح ولكن صواب قوله واستخلف على مكة على المدينة ، وقوله (وقد أدركت المنية مسلما بالمشلل إلى قوله وقد بايع أهلها) صحيح وقال الطبرى مات بهرشى بعد الوقعة بثلاث ليال وقد سماه السلف مسرفا وممن قتلهم صبرا شاب من قريش يقال له وهب بن يزيد فاقسمت أمه لئن أمكنها الله منه حيا أو ميتا لتحرقنه بالنار فلما مات خرجت بأعبد لها إلى قبره فامرت به أن ينبش من عند رأسه فلما وصلوا اليه إذا ثعبان قد التوى على عنقه قابضا بأرنبة أنفه يمصها فكاعوا عنه وقالوا يامولاتنا انصرفى فقد كفاك الله شره وأخبروها فقالت لأوفين الله بما وعدته ثم قالت أنبشوه من عند الرجلين فنبشوا فاذا بالثعبان لاو ذنبه برجليه فتنحت فصلت ركعتين ثم قالت اللهم إنك تعلم أنى إنما غضبت على مسلم بن عقبة اليوم لك نخل بينى وبينه ثم تناولت عوداً فمضت إلى ذنب الثعبان فانسل من مؤخر رأسه فخرج من القبر ثم أمرت به فأخرج من القبر ثم أحرق بالنار ، رواه الطبرانى عن محمد بن سعيد ذكره السيد السمهودى فى وفاء الوفا ثم قال (قلت) وفى كتاب الحرة للواقدى أن الثابت بالبلد عندنا أن مسرفا لما دفن بثنية المشلل كانت أم ولد ليزيد بن عبدالله بن ربيعة تسير وراء العسكر بيومين أو ثلاثة حتى جاءها الخبر بذلك فانتهت اليه فنبشته ثم صلبته على المشلل ، قال الضحاك فحدثنى من رآه مصلوبا يرمى كما يرمى قبر أبى رغال ، ثم قال قال الواقدى وحدثنى عبدالرحمن بن أبى الزناد عن عبدالرحمن بن الحارث قال والله ما خلصت اليه ولقد نبشت عنه ولكنها لما انتهت إلى لحده وجدت أسود من الأساود منطويا على رقبته فاتحا فاه فانصرفت عنه اه

وقوله (وقد بايع أهلها وأهل الحجاز لعبد الله بن الزبير إلى قوله فخرج ابن الزبير للقاء أهل الشام) صحيح وأهل مكة إذ ذاك كلهم قريش وكثير

منهم أيضا بالمدينة لجل قريش إذ ذاك كانت بالحرمين وماحولهما والقليل منهم بالأمصار الاسلامية فرفضهم ليزيد ومبايعتهم لابن الزبير طائعين دليل من أدلة كثيرة تقدم ذكر كثير منها على أبطال عصبية بنى أمية فى قريش التى زعمها ابن خلدون فى قوله (عصبية قريش فى بنى عبد مناف وعصبية بنى عبد مناف فى بنى أمية تعرف ذلك لهم قريش والناس ولا ينكرونه) فلو كانت قريش تعرف هذا المزعوم لبنى أمية فيهم مارفضوا يزيد الذى هو من بنى أمية وبايعوا ابن الزبير الذى ليس منهم مختارين .

وقوله (فخرج ابن الزبير للقاء أهل الشام إلى قوله حتى إذا مضت ثلاثة أيام) صحيح غير قوله فسار راجعا الى مكة الذى يقتضى أن ابن الزبير خرج من مكة بعيداً ولما انكشف أصحابه رجع اليها ، وتقويمه ان الحصين ابن نمير نزل بظاهر مكة فخرج اليه ابن الزبير فى أهل مكة فاقتتلوا قتالا شديداً وتبارز المنذر بن الزبير ورجل من أهل الشام فقتل كل واحد صاحبه وحمل أهل الشام عليهم حملة انكشف منها أصحابه وعثرت بغلته فقال تعساً ونزل عنها وصاح بأصحابه فكروا وأقبل اليه المسور بن مخرمة ومصعب ابن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعـــالى عنهما فقاتلا حتى قتلا جميعاً وضاربهم ابن الزبير الى الليل ثم انصرفوا عنه ثم أقاموا عليه يقاتلونه الخ. وقوله (حتى اذا مضت ثلاثة أيام من ربيع الأول رموا البلد بالمنجنيق الى قوله هذه ثلاث حوادث كبرى) صحيح غير قوله رموا البلد فان صوابه رموا الكعبة حتى تصدع جدارها واحترق . وقوله (ولم يزل الحصار حتى بلغهم نعى يزيد بن معاوية فوقف القتال) صحيح وكان بين الحرة وبين موته ثلاثة أشهر وقال القرطبى دون ثلاثة أشهر لأنه توفى بالذبحة وذات الجنب فى نصف ربيع الأول ولقد ذاب ذوب الرصاص واجترأ أهل الحجاز وأهل المدينة على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل الا أخذ بلجام دابته فنكس عنهـــا فقال لهم بنو أمية لا تبرحوا حتى تحملونا معكم الى الشام ففعلوا .

قال عبد الرحمن بن سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله تعالى عنهم .

فان تقتلونا يوم حرة واقم — فنحن على الإسلام أول من قتل
ونحن قتلناكم ببدر أذلة — وأبنا بأسلاب لنا منكم نفل
فان ينج منها عائذ البيت سالما — فكل الذى قد نابنا منكم جلل

وقوله (هذه ثلاث حوادث كبرى إلى قوله جعلت اسمه) صحيح والصواب فى قوله (جعلت اسمه عند عامة المسلمين مكروها) أن يقول بغضته إلى جميع المسلمين ولا أدرى لأى شيء عدل عن هذا التعبير الموجز الوافى بالمعنى المطلوب إلى التطويل والتلبيس والغش فان قوله (جعلت اسمه مكروها) تلبيس وغش يقتضى أن المسلمين لم يكرهوا مسماه أى ذاته وإنما كرهوا اسمه فقط والاسم غير المسمى عند جمور العلماء وعند الأشعرى هو عين المسمى ولعله أراد هذا ولكن اعتقد أنه بمعزل عن هذه الإبحاث، على أن الحقيقة أن المسلمين كرهوه لفعله لا لإسمه ولا لمسماه ، وقوله (عند عامة المسلمين) غش يقتضى أن خاصتهم لم يكرهوه إلا إذا أراد بعامة المسلمين جميعهم فيصح غير سالم من التلبيس ، وقوله (حتى استحل بعضهم لعنه) أى أجازه صحيح وقد تقدم تقريره عن الإمام أحمد وغيره والمحققون على أنه لايجوز لعن المعين ولو كان كافراً فى الحال لجواز أن يختم له بخاتمة السعادة واتفق العلماء على جواز اللعن بالوصف كالظالم والكاذب وشارب الخمر وبالاسم المبهم كلعن الله من قتل الحسين أوأمر بقتله أوأجازه أو رضى به ، ولعن الله من قطع رحمه ومن أخاف أهل المدينة ظلماً من غير تسمية وقوله بصيغة المعظم نفسه (ونحن بعد أن بسطنا أمامكم هذه الحوادث وآثارها) كذب مفضوح بما تقدم مفصلا فقد علم أنه خان التاريخ فيها فلم يبسط شيئاً ولم يذكر فيها إلا ما وافق هواه ، .

وقوله معظما نفسه أيضا (لانرى من العدل أن يتحمل يزيد كل تبعتها) باطل بما تقدم موضحا ولقد كان ذلك الخطيب الذى قوم ناقة صالح عليه

الصلاة والسلام بقوله أيها الناس إن الله تعالى قد أهلك أمة من الناس بناقة قيمتها مائتا درهم ، أخف حمقاً من هذا المحاضر فى قوله (بل إن الذى يتحمله جزء صغير منها) لأن الصغر قابل للتفاوت فما من صغير إلا ويوجد ماهو أصغر منه فلا يدرى مامقدار هذا الجزء الصغير الذى حمله يزيد من تبعة هذه الحوادث عنده أهو مثل السمسمة أو حبة البر او الحمصة أو بيضة الدجاجة أو النعامة أو قدر البطيخة الكبيرة أو الصخرة أوالكدية أوالجبل الصغير أو . . . أو . . . على أن ذاك الخطيب قوم حيواناً وجد فى الدنيا وهذا تهجم على الغيب فقدر وجزأ شيئاً لا يعلمه إلا الله تعالى .

وقوله (لأنه خليفة بايعه معظم المسلمين) تعليل فاسد وصحيح بيعة معظم المسلمين له ولكنها مبنية على تلك البيعة التى اختير لها ناس من أهل الأمصار وسيقوا اليها ورفع دعائمها أمثال الذى قال الخليفة هذا لمعاوية فان مات فهذا (يعنى يزيد) فمن أبى فهذا (يعنى سيفه) والذى قال : إنه لا يدرى ما تقول هذه المعدية العراقية وإنما عنده سمع وطاعة وضرب وازدلاف فهل لهذه البيعة أساس مرضى عند جميع المسلمين إذ ذاك وهل لهذا المعظم المبايع له اختيار حقيقى، وقد تحقق من هذا ومما تقدم ومما سيأتى وقوفه فى صف اليزيدية عبدة الشيطان المقدسين ليزيد ، ضد المسلمين ، فيزيد عنده خليفة مقدس ، وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه الذى مدحه الله وأثنى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأجمع المسلمون على بيعته راضين مختارين وأجمع المسلمون أيضاً على أنه أفضل الصحابة بعد الثلاثة الخلفاء الراشدين ليس بخليفة عنده بل طعن فيه بأقبح الطعن وأفحشه كما طعن فى كثير من الصحابة فهل يعد القراء هذا المحاضر صديقاً جاهلا أو عدواً غير عاقل .

والقليل فى قوله (وخالف عليه قليل منهم) كثير لأن الممتنع من بيعته وإن كان قليلا فى العد فانه كثير فى المعنى لأنهم صحابة مجتهدون (وهو ليس بإمام عادل) حتى تلزمهم بيعته

والناس ألف منهم كواحد   وواحد كالألف ان أمر عنى

وأهل المدينة الخالعون له ليسوا بقليل أيضاً بل هم جمع مجتهدون بقايا خيار الأمة ، فكلامه هذا حجة لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه على معاوية رضى الله عنه لأنه بايعه معظم الأمة وخالف عليه القليل وهو معاوية وحده فليس من المعقول أن يتركه فان قيل معاوية ومن معه ليسوا بقليل قلت هذا على تسليمه مدفوع بوجهين الأول هم مصر واحد من ستة أمصار بايع حيدرة منها خمسة العراق وفارس والحجاز واليمن ومصر فلا شك عند كل عاقل انه يصدق على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه انه بايعه معظم الأمة وخالف عليه القليل . الثانى جل الذين مع معاوية رضى الله عنه مقلدون له والمجتهد منهم موافق له فى الاجتهاد ، فهم فى العد أشخاص كثيرون قليلون بالنسبة إلى غيرهم من الامصار وفى المعنى شخص واحد ، على أن هناك فوارق كبيرة بين على ومعاوية ، وبين على ويزيد وبين امتناع معاوية من بيعة حيدرة وامتناع الحسين وابن الزبير من بيعة يزيد ، وبين يزيد والخالعين طاعته، تقدم تقريرها ، وأقول أيضا : معاوية معترف بإمامة على وفضله عليه لم ينازعه فيهما وانما علق بيعته لعلى على شىء واحد وهو تسليم على قتلة عثمان اليه ليقتص منهم ثم بعد ذلك يبايعه ولا يمكن لعلى ولا له هو ولا لغيرهما أخذ القصاص من قتلة عثمان إلا بإقامة الدعوى عليهم وإثبات القتل عليهم بالبينة الواضحة عند السلطان باجماع العلماء فامتناعه من بيعته حتى يمكن من مطلوبه الذى ليس له ولا لغيره أخذه الا من طريق الشرع ، شبهة يؤجر عليها لصحبته واجتهاده أجراً واحدا لا تقدح مع اعترافه بإمامته وفضله عليه فى إجماع الأمة على خلافة على ، وقتال على له انما هو لحيلولته بينه وبين تنفيذ طاعته فى أهل الشام والفرق بين على رضى الله تعالى عنه وبين يزيد يدركه كل سالم العقل والدين ، فعلى إمام صحابى عادل بايعته الأمة باختيارها ورضاها ، ويزيد ليس بصحابى قد علم حاله وكيفية بيعة الناس له ، كما قد علم الفرق بينه وبين الممتنعين من بيعته والخالعين له فالممتنون من بيعته والخالعون له

صحابة مجتهدون عدول وهو ليس كذلك وبهذا ظهر فساد قوله (فليس من المعقول أن يتركهم وما يشتهون) وقوله (ليس من السهل أن ينزل لهم عما تقلده) صحيح وقوله بنون العظمة (فهو فيما نرى مجبور على فعل ما فعل) رأى فاسد وقد دعاه الشيطان فاستجاب له ففعله برهان على نقصه ولو كان مستقيم الحال ما امتنع من بيعته أحد وماخلعه خيار الأمة بعد الطاعة الطويلة وان كان غير صحابى ، وقوله (وانما الذى عليه تلك الشدة التى أجرتها جنوده بعـــد أن تم لها النصر) فاسد أيضا لأن تلك الشدة والوحشية التى أرتكبتها جنوده بعد تمام النصر لها انما هى بأمره ذلك الأعرابى الأهوج باباحتها ثلاثة أيام ، فأى لوم على الجنود فيما فعلوه بأمر سيدهم ، ومن أطاق الكلب العقور فقد عقر وأى فرق بينه وبين هلاكو بن جنكيز خان الذى كان يأمر جنوده بالعيث فى مداين الإسلام الزاهرة كبغداد وغيرها من مدن خراسان وما وراء النهر الا بالاسلام فيزيد مسلم وهلاكو كافر ،وأى فرق بين جنوده والجنود التاتارية فى الوحشية الا بالاسلام أيضا فجنوده مسلمون وأولئك كفار لادين لهم .

المحاضرة الخامسة والثلاثون

معاوية الثانى

قال فى ص ١٣٥ جـ٢ أما معاوية فكانت سنه احدى وعشرين سنة اختاره أهل الشام للخلافة بعد موت أبيه الا أنه بعد قليل من خلافته نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد فانى قد ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم) ثم دخل منزله وتغيب حتى مات بعد ثلاثة أشهر من خلافته ، هكذا فعل ذلك الشاب الضعيف حينما رأى عصا المسلمين منشقة ولم ير من نفسه القدرة على لم شعثها واصلاح أمرها اهـ ،

أقول معاوية بن يزيد استخلف بعهد من أبيه كما ذكره ابن جرير فى تاريخه وابن كثير فى بدايته والسيوطى فى تاريخ الخلفاء فقوله (اختاره أهل الشام للخلافة بعد موت أبيه) غير صحيح وقوله (الا أنه بعد قليل من خلافته نادى الصلاة جامعة إلى قوله ثم دخل منزله وتغيب حتى مات) نقله من ابن الأثير بالحرف وقد ترك من كلامه مالا يوافق هواه وهو : وكان معاوية أوصى أن يصلى الضحاك بن قيس بالناس حتى يقوم لهم خليفة ، وقيل لمعاوية لو استخلفت فقال لا أتزود مرارتها وأترك لبنى أمية حلاوتها اهـ .

وهذا الكلام الأخير مذكور أيضا فى بدايه ابن كثير وقوله (هكذا فعل ذلك الشاب الضعيف) فاسد فان ضعفه الذى صرح به فى أول خطبته واغتر هو به ليس ضعفا عن القيام بأعباء الخلافة وانما هو الورع والخوف من الله تعالى من مسؤولية هذا المنصب العظيم بدليل بقية خطبته وبدليل الكلام الذى تركه المحاضر وهو قوله لما قيل له : لو استخلفت فقال (لا أتزود مرارتها وأترك حلاوتها لبنى أمية) فان هذا الكلام وخطبته

يدلان على أنه كفء لها وإنما منعه منها ورعه . قال ابن حجر فى الصواعق المحرقة مانصه : وقد بتر عمر يزيد لسوء مافعله واستجابة لدعوة أبيه فانه لم على عهده اليه فخطب وقال اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فعله فبلغه ما أملته وأعنه وان كنت إنما حملنى حب الوالد لولده وأنه ليس لما صنعت به أهلا فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك ، فكان كذلك لأن ولايته كانت سنة ستين ومات سنه أربع وستين لكن عن ولد شاب صالح عهد اليه فاستمر مريضاً الى أن مات ولم يخرج الى الناس ولا صلى بهم ولا أدخل نفسه فى شىء من الأمر وكانت مدة خلافته أربعين يوما وقيل شهرين وقيل ثلاثة أشهر ومات عن احدى وعشرين سنة وقيل عشرين ومن صلاحه الظاهر أنه لما ولى صعد المنبر فقال إن هذه الخلافة حبل الله وإن جدى معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه على بن أبى طالب وركب بكم ماتعلمون حتى أتته منيته فصار فى قبره رهيناً بذنوبه ثم قلد أبى الأمر وكان غير أهل له ونازع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصف عمره وانبتر عقبه وصار فى قبره رهيناً بذنوبه ثم بكى وقال إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه وقد قتل عترة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأباح الخمر وخرب الكعبة ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلد مرارتها فشانكم أمركم والله لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً ولئن كانت شراً فكفى ذرية أبى سفيان ما أصابوا منها ، ثم تغيب فى منزله حتى مات بعد أربعين يوما على ما مر ،فرحمه الله أنصف من أبيه وعرف الأمر لأهله كما عرفه عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الصالح رضى الله عنه فقد مر عنه أنه ضرب من سمى يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطاً ولعظيم صلاحه وعدله وجميل أحواله ومآثره قال الإمام سفيان الثورى كما أخرجه عنه أبو داود فى سننه : الخلفاء الراشدون خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز ، وإنما لم يعد الحسن بن على وابن الزبير مع صلاحية كل منهما أن يكون منهم بل مر النص على أن الحسن منهم لقصر مدة

الحسن ولأن كلا منهما لم يتم له من نفاذ الكلمة واجتماع الأمة ما تم لعمر ابن عبد العزيز اهـ .

وقوله (هكذا فعل ذلك الشاب الضعيف حينما رأى عصا المسلمين منشقة ولم ير من نفسه القدرة على لم شعثها واصلاح أمرها) كذب مكشوف على التاريخ فان عصا المسلمين لم تنشق بعد موت يزيد كما زعم لأن الامصار الاسلامية كلها بايعت ابن الزبير بعدموت معاوية بن يزيد ماعدا أهل الأردن من أرض الشام .

خلافة ابن الزبير وبيعة المسلمين له

بعد معاوية الثانى

قال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب الفتن ج ١٣ لما مات يزيد بن معاوية دعا ابن الزبير إلى نفسه وبايعوه بالخلافة فأطاعه أهل الحرمين ومصر والعراق وما وراءها وبايع له الضحاك بن قيس الفهرى بالشام كلها إلا الاردن ومن بها من بنى أمية ومن كان على هواهم حتى هم مروان أن يرحل الى ابن الزبير ويبايعه فمنعوه وبايعوا له بالخلافة اهـ .

وقال أيضا فى كتاب الاحكام فى باب كيف يبايع الامام الناس : لم يكن ابن الزبير ادعى الخلافة حتى مات يزيد فى ربيع الاول سنة أربع وستين فبايعه الناس بالخلافة بالحجاز وبايع أهل الآفاق لمعاوية بن يزيد بن معاوية فلم يعش إلا نحو أربعين يوما ومات فبايع معظم الآفاق لعبد الله بن الزبير وانتظم له ملك الحجاز واليمن ومصر والعراق والمشرق كله وجميع بلاد الشام حتى دمشق ولم يتخلف عن بيعته الا بنو أمية ومن يهوى هواهم وكانوا بفلسطين فاجتمعوا على مروان بن الحكم وبايعوه بالخلافة اهـ.

ونقل الأبى فى شرح صحيح مسلم فى باب نقض ابن الزبير الكعبة وبنائها على قواعد ابراهيم عن الحافظ ابن عبد البر فى كتابه التقصى : ان

مالـكا الإمام كان يقول : ابن الزبير أحق بالخلافة من مروان وابنه ، وفى الأبى أيضا عن البياسى وغيره من المؤرخين أن ابن الزبير بويع له بالخلافة بعد موت معاويه بن يزيد بالحجاز وأذعن له سائر أهـل الارض إلا أهل الاردن وبعث عماله الى العراق والشام ومصر واليمن وبقى خليفـة الى أن قتله الحجاج اه .

وقد ذكر المحاضر عرض الحصين بن نمير على ابن الزبير الخروج معهم الى الشام ومبايعتـه بالخلافة بها والمحاورة التى جرت بينهما فى ذلك وقد تقدم ذكرها قالوا لمـا اجتمعا حتى اختلف رأسا فرسيهما وجعلت فرس حصين تنفر وهو يكفها فقال له ابن الزبير مالك فقال : إن الحمام تحت رجلى فرسى يأ كل من الروث فأ كره أن أطأ حمام الحرم فقال له ابن الزبير تفعل هذا وأنت تقتـــل المسلمين ، قلت تورع ابن نمير هذا من قتل حمام الحرم مع استحلاله قتل المسلمين به مثل تورع بعض أهل العراق عن قتـل المحرم الذباب فسألوا ابن عمر رضى الله عنهما ما ذا يلزم فيه ، فقال أهـل العراق يقتلون أولاد الأنبياء ويتورعون من دم الذباب .

فراسة عظيمة للفاروق رضى الله تعالى عنه

لما استنفر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قبائل العرب لحرب الفرس وقدمت عليه قبائل اليمن وعرضوا عليه خرج اليهم فمر بفتية من السكون مع حصين بن نمير هذا ومعاوية بن خديج دلم سباط أى سود طوال ، فأعرض عنهم فقيل له مالك وهؤلاء. فقال ما مر بى قوم من العرب أكره إلى منهم. ثم أمضاهم فكان بعد يذكرهم بالكراهة فكان منهم سودان بن حمران قاتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وابن ملجم قاتل أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه ومعاوية بن خديج جرد السيف فى المسلمين يظهر الأخذ بثار عثمان وحصين بن نمير كان أشد الناس فى قتال على رضى الله عنه وكان منهم قوم يقرون قتلة عثمان ذكرها ابن جرير وابن الأثير فى كتابيهما ، قلت : معاوية بن خديج هو الذى أرسله عمرو بن العاص على مقدمته لما أرسله معاوية إلى مصر ليدخلها تحت طاعته فقتل ابن خديج محمد بن أبى بكر عامل على عليها وأحرقه بالنار فى جوف جيفة حمار وكان عمرو أرسل اليه ينهاه عن قتله فلم يلتفت إلى ذلك بل تكلم بكلام ينم عن عصبية جاهلية مذكور فى التاريخ ، والحصين بن نمير كان أيضاً من أكبر أنصار يزيد بن معاوية وقتلة الصالحين أهل الحرة ثم أميراً لجيش الشام بعد موت مسلم بن عقبة فحاصر ابن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وكان العضد الأكبر فى بيعة مروان ثم أحد قواد جيشه الذى أرسله إلى العراق مع ابن زياد ثم لابنه عبد الملك وهلك مع زملائه ورئيسهم ابن زياد وأكثر ذلك الجيش الجرار على يد إبراهيم بن الاشتر وجيشه البسيط ، وهذه فراسة عظيمة من الفاروق رضى الله تعالى عنه تفرس فيهم الشر فكرههم فصدقت فراسته فيهم بعد فقتلوا الخلفاء الراشدين وخيار الأمة المحمدية وصلحاءها .

ابنا زياد سلم وعبيدالله

بعد موت يزيد بن معاوية

كان يزيد بن معاوية قد ولى على خراسان وسجستان فى سنة إحدى وستين سلم بن زياد بدل أخويه عبد الرحمن وعباد فسار إلى خراسان مع ستة آلاف من وجوه أهل البصرة منهم المهلب بن أبى صفرة وعبد الله بن خازم السلمى فلما بلغه موت يزيد كتمه ثم أظهره بعد موت معاوية بن يزيد ودعا الناس إلى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة ، وكان محسناً اليهم محبوباً فيهم فبايعوه ثم نكثوا به بعد شهرين فسار راجعا إلى العراق واستخلف عليهم المهلب فلما وصل سرخس لقيه سليمان بن مرثد أحد بنى قيس بن ثعلبة فقال له ضاقت عليك نزار حتى خلفت على خراسان رجلا من اليمن يعنى المهلب لأنه من الأزد والأزد من اليمن فولاه مرو الروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى أوس بن ثعلبة (هراة) فلما وصل إلى نيسابور لقيه عبدالله بن خازم فقال من وليت خراسان فأخبره فقال أما وجدت فى المصر من تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل واليمن أكتب لى عهداً على خراسان فكتب له وأعطاه مائة ألف درهم فسار ابن خازم إلى مرو وبلغ خبره المهلب فخرج منها واستخلف عليها رجلا من تميم فلما وصلها جرت بينهما مناوشه فقتل التيمى ودخلها ابن خازم ثم سار منها إلى سليمان ابن مرثد بمرو الروذ فقاتله أياماً فقتل سليمان ثم سار إلى عمرو ابن مرثد وهو بالطالقان فاقتتلوا طويلا فقتل عمرو بن مرثد وانهزم أصحابه فلحقوا بأوس بن ثعلبة بهراة ورجع ابن خازم إلى مرو وخرج جميع من كان فى مدن خراسان من بكر بن وائل الى أوس بن ثعلبة فانضموا اليه فكثر جمعه فقالوا له نبايعك على أن تسير الى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان فأبى عليهم فقال له بنو صهيب منهم لانرضى أن نكون نحن ومضر فى بلد واحد وقد قتلوا سليمان وعمراً ابنى مرثد فاما أن تبايعنا على هذا وإلا

بايعنا غيرك فأجابهم فبايعوه فسار اليهم ابن خازم فنزل على واد بينه وبين هراة فأشار البكريون بالخروج من هراة وعمل خندق فقال لهم أوس بل نلزم المدينة فانها حصينة ونطاول ابن خازم ليضجر ويعطينا مانريدفأبوا عليه وخرجوا وخندقوا خندقا وقاتلهم ابن خازم نحو سنة فقال له هلال الضبي إنما تقاتل إخوتك وبنى أبيك فان نلت منهم الذى تريد فما فى العيش خير فلو أعطيتهم شيئاً يرضون بهوأصلحت هذا الأمر فقالوالله لو خرجنا لهم من خرسان ما رضوا فقال هلال والله لا أقاتل معك أنا ولا رجل معى أو تطيعنى حتى تعتذز اليهم قال فأنت رسولى اليهم فارضهم فأتى هلال أوس بن ثعلب فناشده الله والقرابة فى نزار أن يحفظ ولاءها فقال هل لقيت بنى صهيب قال لا قال فالقهم فخرج هلال فلقى جماعة من من رؤساء أصحاب أوس فأخبرهم بما أتى له فقالوا له هل لقيت بنى صهيب فقال لقد عظم أمر بنى صهيب عندكم فأتاهم فكلمهم فقالوا لولا أنك رسول لقتلناك قال فهل يرضيكم شيء فقالوا واحدة من اثنتين إما أن تخرجوا من خراسان وإما أن تقيموا وتخرجوا لنا عن كل سلاح وكراع وذهب وفضة فرجع إلى ابن خازم فقال ما عندك فاخبره فقال: إن ربيعة لم تزل غضابا على ربها منذ بعث نبيهمن مضر ، وأقام ابن خازم يقاتلهم فقاليوما لأصحابه قد طال مقامنا وناداهم يامعشر ربيعة أرضيتم من خرسان بخندقكم فاحفظهم ذلك فتنادوا للقتال فنهاهم أوس بن ثعلبة عن الخروج بجماعتهم وأن يقاتلوا كما كانوا يقاتلون فعصوه ، فقال ابن خازم لأصحابه أجعلوه يومكمفيكون الملك لمن غلب وإذا لقيتم الخيل فاطعنوها فى مناخرها فاقتتلوا ساعة وانهزمت بكر بن وائل حتى انتهوا إلى خندقهم وتفرقوا يمينا وشمالا وسقطوا فى الخندق وقتلوا قتلا ذريعا قتل منهم ثمانية آلاف وهرب أوس ابن ثعلبة إلى سجستان فمات بها واستولى ابن خازم على خراسان كلها وبايع لابن الزبير كما تقدم .

وأما عبيد الله أمير العراقين فانه لما بلغه موت يزيد أمر فنودى : « الصلاة

جامعة» فاجتمع الناس فصعد المنبر فنعى يزيد وسبه فقال الأحنف إنه قد كانت ليزيد فى أعناقنا بيعة ويقال فى المثل (اعرض عن ذى فترة) فأعرض عنه وقال ياأهل البصرة إن مهاجرنا اليكم ودارنا فيكم ومولدى فيكم ولقد وليتكم وما يحصى ديوان مقاتليكم الأسبعين ألفاً ولقد أحصى اليوم مائة ألف وما كان يحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفا ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً وما تركت لكم قاطبة من أخافه عليكم إلا وهو فى سجنكم وأن يزيد قد توفى وقد اختلف الناس بالشام وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً وأعرضهم فناء وأغنى عن الناس وأوسعهم بلاداً فاختاروا لأنفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم فأنا أول راض من رضيتموه فان اجتمع أهل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وأن كرهتم ذلك كنتم على أحد يليكم حتى تقضوا حاجتكم فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم فقام خطباء أهل البصرة وقالوا قد سمعنا مقالتك ومانعلم أحداً أقوى عليها منك فهلم فلنبايعك فقال لا حاجة لى فى ذلك فكرروا عليه فأبى عليهم ثلاثاً ثم بسط يده فبايعوه ثم - انصرفوا ومسحوا أيديهم بالجدران وقالوا أيظن ابن مرجانة أننا ننقاده فى الجماعة والفرقه ، وقد ساق المحاضر هذا الكلام من التاريخ فحذف منه سب عبيدالله ليزيد ونهى الأحنف له عن ذلك ودلس فى قول التاريخ فقام خطباء أهل البصرة وقالوا قد سمعنا مقالتك الخ) .

وأرسل بعد بيعة أهل البصرة له رجلين إلى الكوفة يعلمهم بيعة أهل البصرة له ويدعوهم إلى بيعته فجمع خليفته عليها عمرو بن حريث الناس وقام رسولاه فخطبا أهل الكوفة وذكرا لهم ذلك فقام يزيد ابن رويم الشيبانى فقال الحمد لله الذى أراحنا من ابن سمية أنحن نبايعه لا ولا كرامه وحصبهما أول الناس ثم حصبهما الناس بعده فرجع رسولاه اليه وأعلماه بالحال فقال أهل البصرة أيخلعه أهل الكوفة ونوليه نحن فضعف سلطانه ،

ثم جاء البصرة سلمة بن ذؤيب التميمى وبيده لواء فوقف فى السوق ودعا الناس إلى بيعة ابن الزبير فبايعه ناس كثيرون منهم فلما بلغ أمره ابن زياد جمع الناس فخطبهم وذكر لهم أمره وأنهم بايعوه راضين به وأنهم أبوا غيره وقال بلغنى أنكم مسحتم أكفكم بالحيطان وقلتم ما قلتم وإنى آمر بالأمر فلا ينفذ ويرد على رأيى ويحال بين أعوانى وبين طلبتى ، ثم أن هذا سلمة بن ذؤيب يدعوا إلى الخلاف عليكم ليفرق جماعتكم ويضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف ، فقال الأحنف والناس نحن نأتيك بسلمة فلما خرجوا اليه إذا جمعه قد كثر والفتق قد اتسع فلما رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه فدعا رؤساء جند السلطان ليقاتلوا معه فقالوا إن أمرنا قوادنا فعلنا فقال له أخوته مالنا خليفة فنقاتل عنه فان هزمت رجعت اليه فأمدك ولعل الحرب تكون عليك وقد اتخذنا بين هؤلاء القوم أموالا فان ظفروا بنا أهلكونا وأهلكوها فلم تبق لك بقية فلما رأى ذلك استجار بمسعود بن عمرو سيد الأزد فأجاره وجددت الأزد الحلف القديم الذى بينهم وبين ربيعة وأنفق ابن زياد فيهم مالا كثيرا حتى تم الحلف واتفقوا على ارجاع ابن زياد إلى دار الإمارة بالقوة فسارت ربيعة فى السلاح وعليهم مالك بن مسمع نحو دور بنى تميم حتى دخل سكة بنى العدوية فحرق دورهم لما فى نفسه على مضر من حرب ابن خازم لربيعة بخراسان وسار أهل اليمن مع رئيسهم مسود بن عمرو إلى المسجد وقالوا لابن زياد سر معنا فلم يفعل وأرسل معهم مواليه على الخيل وقال لهم لا تحدثوا بخير ولا بشر إلا أتيتمونى به فدخل مسعود المسجد وصعد المنبر يخطب وأحاطت الأزد بالمسجد فى السلاح يحمونه فجاء بنو تميم إلى الأحنف فقالوا ياأبا بحر إن ربيعة والأزد قد تحالفوا وقد ساروا إلى الرحبه فدخلوها فقال لستم بأحق بالمسجد منهم فقالوا قد دخلوا الدار فقال لستم بأحق بالدار منهم فقالوا إن امرأة منا قد نزع خلخالها وقد دخل مالك بن مسمع سكة بنى العدوية فحرق فقال أقيموا البينة على هذا ففى دون هذا مايحل قتالهم فشهدوا عنده على ذلك فعقد راية لعبس بن

طلق الصريمى وقال سر فلما ولى قال اللهم إن لم تخزها اليوم فانك لم تخزها فيما مضى فسار عبس إلى المسجد فقاتل الأزد على أبوابه (ومسعود على المنبر يحض الناس) فهزمهم ودخلوا المسجد فاستنزلوا مسعوداً وقتلوه وقاتلت طائفة منهم مالك بن مسمع وربيعة فهزموهم أيضا، ولما صعد مسعود المنبر أتى ابن زياد فقيل له ذلك فتهيأ ليجىء إلى دار الإمارة ثم أتى فقيل له أنه قتل فركب رواحله وهرب إلى الشام فتبعه ناس من مضر فأعجزهم فنهبوا ماوجدوا له ،.

ولا صحبة لأبيه زياد وقد كان من أنصار على وشيعته فصار بعد استلحاق معاوية له من أشد الشانئين له وكان سيء السيرة فى البصرتين ، وكتب فى آخر حياته إلى معاوية رضى الله عنه يقول: إنى قد ضبطت العراق بشمالى ويمينى فارغة فأشغلها بالحجاز فكتب له عهده على الحجاز فبلغ أهل الحجاز فأتى نفر منهم عبدالله بن عمر رضى الله عنهما فذكروا ذلك له فقال ادعو الله عليه ثم استقبل القبلة ودعا ودعوا معه وكان من دعائه أن قال اللهم اكفنا شر زياد فخرجت طاعونة على اصبع يمينه فمات منها فلما بلغ موته ابن عمر قال اذهب ابن سمية لا الآخرة أدركت ولا الدنيا بقيت عليك.

وبمراجعة القارىء كتابة المحاضر عن قضية ابن زياد هذه يجده قد طوى كثيرا من تاريخها المهم واقتصر فى آخرها على قوله وكتب أهل المصرين (يعنى البصرة والكوفة) إلى ابن الزبير بالبيعة فأرسل لهم العمال من عنده، وكذلك دخل فى بيعة ابن الزبير أهل مصر ولم يبق إلا أهل الشام اه ،.

وقد كذب على التاريخ فى قوله ولم يبق إلا أهل الشام فقد تقدم أن جل أهل الشام بايعوا ابن الزبير إلا أهل الأردن منهم .

عزم مروان على مبايعة ابن الزبير

وصد ابن زيادله وبيعته

قال ابن كثير قد كان معاوية بن يزيد قد عزم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق وقد بايع أهلها الضحاك بن قيس على أن يصلح بينهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على إمام، ثم قال قال المدائنى وقد أراد الناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أن يتولى عليهم فأبى وهلك فى تلك الليالى اه.

وقد كان الضحاك بن قيس الفهرى نائب دمشق لمعاوية بن أبى سفيان وكان يصلى عنهم اذا اشتغلوا أو غابوا ويقيم الحدود ويسد الأمور فلما مات معاوية قام ببيعة يزيد ثم لما مات يزيد بايع الناس لمعاوية بن يزيد فلما مات معاوية بن يزيد بايعه الناس بدمشق حتى يجتمع الناس على إمام ثم بايع لابن الزبير بها كما بايع له النعمان بن بشير بحمص وزفر بن الحارث الكلابى بقنسرين وناتل بن قيس الجذامى بفلسطين وقد أخرج منها روح بن زنباع الجذامى نائب حسان بن بحدل الكلبى ولم يبق من الشام خارجاً عن طاعة ابن الزبير إلا أهل الأردن وقد أتاهم من فلسطين حسان بن بحدل الكلبى خال يزيد بن معاوية يدعوهم إلى بنى أمية فقال لأهل الأردن ما شهادتكم على ابن الزبير وقتلى الحرة قالوا نشهد أنه منافق وان قتلى الحرة فى النار قال فما شهادتكم على يزيد وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد أنه على الحق وأن قتلانا فى الجنة، (ستكتب شهادتهم ويسألون) قال فأنا أشهد لئن كان يزيد وشيعته على حق انهم اليوم على حق ولئن كان ابن الزبير وشيعته على باطل انهم اليوم عليه فقالوا له صدقت نحن نبايعك على أن نقاتل من خالفك وأطاع ابن الزبير على أن تجنبنا هذين الغلامين يعنون ابنى يزيد عبد الله وخالدا فانا نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبى، وسار بنو أمية ومعهم مروان وعمرو بن سعيد وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية حتى اجتمعوا بحسان بن مالك بالجابية وليس لهم قوة طائلة بالنسبة

إلى الضحاك بن قيس فعزم مروان على الرحيل إلى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ منه أمانا لبنى أمية ، فانه كان قد أجلاهم عن المدينة إلى الشام فسار حتى وصل أذرعات فلقيه عبيد الله بن زياد مقبلا من العراق فاجتمع به ومعه حصين بن نمير وعمرو بن سعيد فحسنوا له أن يدعو إلى نفسه فانه أحق بذلك من ابن الزبير الذى قد فارق الجماعة وخلع ثلاثة من الخلفاء فلم يزالوا به حتى أجابهم إلى ذلك وقال له بن زياد قد استحييت لك من ذلك أنت كبير قريش وسيدها تمضى إلى ابن الزبير فتبايعه (قال ابن كثير : خاف ابن زياد الهلاك أن تولى غير بنى أمية) فقال لهم مروان ما فات شىء بعد ، وقال له ابن زياد أنا أذهب لك إلى الضحاك بدمشق فأخدعه لك واخذل أمره فسار اليه وجعل يأتيه كل يوم ويظهر له الود والنصيحة ثم حسن له أن يدعو إلى نفسه ويخلع بن الزبير فانك أحق بالأمر منه لأنك لم تزل فى الطاعة مشهورا بالامانة وابن الزبير خارج عن الناس فدعا الضحاك الناس إلى نفسه ثلاثة أيام فلم يجبه أحد فرجع إلى الدعوة لابن الزبير وقد انحطت قيمته عند الناس ثم حسن له الخروج من البلد إلى مرج راهط فخرج الضحاك بجنوده اليه فنزله وبقى ابن زياد بدمشق يفسد عليه أمره .

محاورة رؤساء اليمن الأربعه فى البيعة
وتغلب حصين بن نمير عليهم وبيعة مروان بن الحكم

اجتمع بنو امية ومن يهوى هواهم بالجابية مع مالك بن هبيرة ، والحصين ابن نمير السكونيان، وروح بن زنباع الجذامى وحسان بن بحدل الكلبي خال يزيد بن معاوية ، وكان هذا يصلى بهم ، فتشاوروا أربعين يوماً وكان ابن هبيرة وابن بحدل يريدان مبايعة خالد بن يزيد ، والحصين ابن نمير يريد مروان ، فقال ابن هبيرة للحصين هل نبايع هذا الغلام الذى نحن ولدنا أباه يعنى خالد ابن يزيد ، وقد عرفت منزلتنا من أبيه فانه يحملنا على رقاب العرب غداً ، فقال الحصين لا والله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبى، فقال مالك: والله لئن استخلفت مروان ليحسدك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها ان مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة فان بايعتموه كنتم عبيداً لهم ولكن عليكم بابن اختكم ، فقال الحصين انى رأيت فى المنام قنديلا معلقا من السماء وان من يلى الخلافة يتناوله فلم ينله أحد الا مروان والله لنستخلفنه ، وقام روح بن زنباع الجذامى فقال ايها الناس انكم تذكرون عبد الله ابن عمر وصحبته وقدمه فى الاسلام وهو كما تذكرون ولكنه ضعيف وليس بصاحب أمة محمد الضعيف وتذكرون ابن الزبير وهو كما تذكرون انه ابن حوارى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنه ابن ذات النطاقين ولكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس المنافق بصاحب أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان فى الاسلام صدع الا كان ممن يشعبه وهو الذى قاتل على بن ابى طالب يوم الجمل وإنا نرى للناس ان يبايعوا الكبير ويستشيروا الصغير يعنى بالكبير مروان وبالصغير خالد بن يزيد فاجتمع رأيهم على البيعة لمروان بن الحكم ثم لخالد ابن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص على ان امارة دمشق لعمرو بن سعيد وامارة حمص لخالد بن يزيد فدعا حسان خالداً فقال يا ابن اختى ان الناس

قد أبوك لحداثة سنك وانى والله ما اريد هذا الامر الا لك ولأهل بيتك وما ابايع مروان الا نظراً لكم ، فقال خالد بل عجزت عنا، قالو الله ما عجزت عنكم ولكن الرأى لك مارأيت ،ثم بايعوا مروان لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربع وستين . مالك بن هبيرة قالوا صحابى ولا صحبة للثلاثة ،وروح بن زنباع الحاكم على ابن الفاروق رضى الله تعالى عنهما بالضعف وعلى ابن الحوارى رضى الله عنهما بالنفاق من قتله الصالحين اهل المدينة بالحرة وقد استخلفه مسلم بن عقبة عليها لما سار الى مكة فلا يستغرب مدحه لمروان وطعنه فى اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد صار وزيراً لابنه عبد الملك ، وقد كان مالك بن هبيرة والحصين بن نمير اشترطا على مروان شروطاً لهما ولخالد بن يزيد فلما توطد ملكه بالاستيلاء على مصر لم يف بشىء مما اشترط عليه سوى للحصين بن نمير الذى لما قدم من الحجاز رهبه من ابن الزبير ورغبه فى شد أزره فاشترط عليه قبلهم ان ينزل أرض البلقاء جميع من كان بالشام من بطون كندة وان يجعلها لهم مأكلة فأعطاه ذلك .

وقعة مرج راهط وغدر مروان وقتل الضحاك

وثمانين من أشراف الشام

سار مروان بمن معـه إلى الضحاك فاقتتلوا بمرج راهط عشرين يوماً قتالا شديداً ثم أشار ابن زياد على مروان أن يدعوهم إلى الموادعة خديعة زاعماً أن الحرب خدعة قائلا له وأنت وأصحابك على الحق وهم على الباطل فنودى فى الفريقين بالهدنة وترك الحرب حتى ينظروا ثم غدر هو وأصحابه فهجموا على الضحاك وأصحابه وهم غارون غير متهيئين للحرب فصبر الضحاك وثبت معه أصحاب الرايات فقتلوا قتلا ذريعاً وقتل معه ثمانون من أشراف الشام ولما أتى مروان برأس الضحاك ساءه ذلك وقال الآن حين كبرت سنى ودق عظمى وصرت فى مثل ظمئى الحمار أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض وعاش مروان بعـد بيعته تسعة أشهر ثم مات.وسبب موته انه قيل له بعد بيعته تزوج أم خالد بن يزيد حتى تصغر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جمع كثير وهو يمشى بين صفين فقال له مروان إنك لأحمق تعال يا ابن الرطبة الاست يقصر به ليسقطه من أعين أهل الشام فرجع الى أمه فاخـبرها فقالت له لا يعلمن ذلك منك إلا أنا أنا أكفيكه فدخـل عليها مروان فقال لها هل قال لك خالد فى شيئاً قالت لا انه أشد لك تعظيما من أن يقول فيك فصدقها ثم أتاها بعد أيام فنام عندها فغطته بالوسادة حتى قتلته ، وأراد ابنه عبد الملك قتل أم خالد فقيل له يظهر عند الناس أن لمرأة قتلت أباك فاتركها .

حال مروان

قال الخضرى فى ترجمته : أسلم أبوه الحكم فنشأ مروان مسلماً وكان فى عهد عثمان كاتباً له ومدبراً وولى لمعاوية المدينة جملة مرات اه .

أقول الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس من مشيخة الفتح الذين جسم أمرهم هذا المهاتر فزعم أنهم قاموا باعمال عظيمة فى حروب الردة والفتح الإسلامى وقد نفى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحكم هذا الى الطائف ولم يرجع الى المدينة الا فى خلافة ابن أخيه عثمان رضى الله عنه وارجاعه لها مما انتقده الناس على عثمان وقد أجاب رضى الله عنه عن ارجاعه لها (وهو الصادق) بان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد وعده بإرجاعه الى المدينة ، وقصة اطلاعه وتجسسه على حجر أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاراد صلى الله تعالى عليه وسلم أن يطعنه بمشقص فى عينه وقال له ويلك انما جعل الاستئذان من أجل هذا مذكورة فى الصحيح وقصة محاكاته للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيته مشهورة وقوله عليه الصلاة والسلام له كن كذلك فكان يختلج حتى مات كذلك ، قال الحافظ بن حجر فى فتحه ج ١٣ فى كتاب الفتن فى شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (هلاك أمتى على يدى أغيلمة سفهاء) ما نصه وقد وردت أحاديث فى لعن الحكم والد مروان وما ولد أخرجها الطبرانى وغيره غالبها فيه مقال وبعضها جيد اه .

وقال الذهبي فى ميزان الاعتدال : مروان بن الحكم الاموى أبو عبد الملك. قال البخارى لم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، له أعمال موبقة نسأل الله السلامة رمى طلحة بسهم وفعل وفعل اه . وقال السيوطى فى تاريخ الخلفاء والأصح ما قاله الذهبي : أن مروان لا يعد فى امراء المؤمنين بل هو باغ خارج على ابن الزبير ولا عهده إلى ابنه بصيح وإنما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير اه

وقول الذهبي له أعمال موبقة رمى طلحة وفعل وفعل ، صحيح وقد

وقفت له على عشرة أعمال تقدم جلها مشروحاً واذكرها كلها هنا تأكيداً (١) تهييجه بسوء رأيه وبذاءة لسانه ثوار الأمصار على ابن عمه أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه وافساده كل ما أصلحه كبار الصحابة بينهم وبين عثمان قال ابن كثير فى ترجمته ومن تحت رأسه جرت قضية الدار وبسببه حصر عثمان بن عفان فيها اهـ

وقد تقدم هذا مشروحاً (٢) تزويره الكتاب على لسان عثمان الى ابن أبى سرح عامل مصر بقتل جماعة وقد تقدم هذا أيضا مبسوطا قال ابن كثير أيضا ومروان كان أكبر الأسباب فى حصار عثمان لأنه زور على لسانه كتابا إلى مصر بقتل أولئك الوفد ، (٣) قتله للصحابى الجليل أحد العشرة المبشرين بالجنة طلحة بن عبيد الله التيمى رضى الله تعالى عنه وقد تقدم اثباته عن الحافظ ابن حجر فى فتحه فى مناقب طلحة ، (٤) لعنه لعلى كرم الله وجهه والتشهير به على المنبر وقد تقدم أيضا مفصلا فان قيل لم قتل طلحة وشهر بعلى بالسب واللعن مع كونهما كانا من أكبر المرقعين لتقطيعه ، قلت فعل ذلك لسوء ظنه فيهما بأنهما كان فى إمكانهما رد أولئك الثوار عن عثمان فلم يفعلا ورضيا بقتله (٥) مخالفته سنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى صلاة العيد بتقديمه الخطبة على الصلاة ليحبس الناس للصلاة للعن على وسبه فيها وكانوا قبل بمجرد ما يفرغ من الصلاة ينصرفون ولا يسمعون هجره وقد تقدم هذا ، (٦) فحشه على الحسن بن على رضى الله عنهما بالسب البليغ ، (٧) منعه من دفنه عند جده صلى الله تعالى عليه وسلم حسداً مع كونه ليس بأمير على المدينة إذ ذاك وكان الحسن أوصى أخاه الحسين أن يستأذن أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها فى دفنه مع جده صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجرتها إن لم يكن فى ذلك فتنة وإلا فليدفنوه بالبقيع مع المسلمين فأذنت رضى الله تعالى عنها فلبس الحسين وبنو هاشم السلاح وأرادوا دفنه فى الحجرة بالقوة فردهم أبو هريرة وقال للحسين إن أخاك قال أدفنونى فى الحجرة إن لم يكن فتنة وهذه فتنة فاناشدك الله أن لا تدفنه إلا فى البقيع ،

وقال لمروان والله ما أنت بوال وإن الوالى لغيرك فدعه ولكنك تدخل فيما لا يعنيك إنما تريد بهذا إرضاء من هو عائب عنك يعنى معاوية .
(٨) كان هو وابنه السبب الأعظم فى قتل أهل المدينة بالحرة بدلالتهما أهل الشام على عورة أهل المدينة بادخالهم من بنى حارثة عليها وقد تقدم .
(٩) غدره بالضحاك بن قيس وأصحابه بعد اتفاقه معهم على الهدنة حتى ينظروا وقد تقدم قريبا فشق عصا العرب بالشام بعد أن كانت واحدة بزرعه العصبية المستمرة بينهم دهراً طويلا بين اليمنية والقيسية ثم اتسعت فصارت بين النزارية واليمنية وطار شررها إلى خراسان وما وراء النهر والأندلس والحوادث بينهم فى ذلك مخلدة فى التاريخ وقد شب ضرامها افتخار شعراء قضاعة واليمن على القيسية بعد وقعة مرج راهط وقد لحق من رجال قيس عيلان زفر بن الحارث الكلابى بقرقيسيا فتحصن بها فى جمع من قيس عيلان ، فلما أراد عبد الملك بن مروان المسير الى العراق للقضاء على ابن الزبير تجهز بجيش جرار وبدأ فى طريقه بزفر بن الحارث فحاصره بقرقيسيا ونصب المجانيق على البلد فأمر زفران ينادى فى جيش عبد الملك لم نصبتم علينا المجانيق فقالوا لنثلم ثلمة نقاتلكم عليها فقال قولوا لهم إنا لا نقاتلكم من وراء الحيطان ولكنا نخرج اليكم فحاصرهم مدة فوجدهم مع قلتهم عقبة كؤوداً كلما حاربهم جيشه هزموه ، فقالت له بنو كلب بن وبرة يوما إنا إذا لقينا زفر انهزمت القيسية الذين معك بنا فلا تخلطهم معنا ففعل ، فكتب القيسية الذين معه على نبلهم الى زفر ورموه إلى قرقيسيا يقولون أنه لا يقاتلكم غدا مضرى ، فلما أصبح زفر دعا ابنه الهذيل فقال أخرج اليهم فشد عليهم شدة لا ترجع حتى تضرب فسطاط عبد الملك والله لئن رجعت دون ان تطأ أطناب فسطاطه لاقتلنك فجمع الهذيل خيله وحمل عليهم فصبروا قليلا ثم انكشفوا فتبعهم بخيله حتى وطئوا أطناب الفسطاط وقطعوا بعضها ثم رجعوا فقبل زفر رأس ابنه وقال

لا يزال عبد الملك يحبك بعدها ابداً فقال الهذيل والله لو شئت ان ادخل الفسطاط لفعلت ، فقال زفر :

ألا لا ابالى من أتاه حمامه اذا ما المنايا عن هديل تجلت
تراه امام الخيل أول فارس ويضرب فى اعجازها ان تولت

وثلم برج من ابراج قرقيسيا يوما فقال لعبد الملك بعض اهله لو قاتلتهم بقضاعة لملكتهم ففعل وقاتلهم فلما كان المساء انكشفت قضاعة وكثر القتل فيهم فأقبل روح بن زنباع الجذامى الى برج منها فسأل اهله: نشدتكم الله كم قتلنا منكم ، قالوا والله لم يقتل منا احد ولم يجرح الارجل واحد ولا بأس عليه ثم قالوا له نشدناك الله كم قتل منكم قال عدة فرسان وجرحتم مالا يحصى فلعن الله ابن بحدل ورجع الى عبد الملك فقال له ان ابن بحدل يمنيك الباطل فاعرض عن هذا الرجل ، يعنى زفر ، وكان رجل من بنى كلب بن وبرة يقال له الذيال يخرج كل يوم فيسب زفر ويكثر فقال زفر لبعض أصحابه أما تكفينى هذا قال أنا أجيئك به فدخل عسكر عبد الملك ليلا فجعل ينادى من يعرف بغلا من صفته كذا وكذ حتى انتهى الى خباء الرجل وقد عرفه فقال الرجل رد الله عليك ضالتك فقال ياعبد الله انى قد عييت فلو أذنت فاسترحت قليلا قال ادخل فدخل والرجل وحده فى خبائه فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء فقام اليه فأيقظه وقال والله لئن تكلمت لا قتلنك قتلت او سلمت وماذا ينفعك قتلى اذا قتلت انت ولئن سكت وجئت معى الى زفر فلك عهد الله وميثاقه ان اردك الى عسكرك بعد أن يصلك زفر ويحسن اليك فخرجا وهو ينادى من دل على بغل من صفته كذا وكذا حتى أتى زفر والرجل معه فأعلمه أنه قد أمنه فوهب له زفر دنانير وحمله على رحالات النساء والبسه ثيابهن وبعث معه رجالا حتى دنوا من عسكر عبد الملك فنادوا هذه جارية بعث بها زفر الى عبد الملك وانصرفوا فلما نظر اليه العسكر عرفوه وأخبروا عبد الملك الخبر فضحك وقال لا يبعد الله رجلا نصر والله ان قتلهم لذل وان تركهم لحسرة ، وهرب الرجل من العسكر ، ثم ان عبد الملك أمر أخاه محمداً ان يعرض على زفر

وابنه الهذيل الامان على أنفسهما ومن معهما ومالهم وان يعطيا ما أحبا ففعل محمد ذلك فأجاب الهذيل وكلم أباه فقال له لو صالحت هذا الرجل فقد أطاعه الناس وهو خير لك من ابن الزبير فاجاب على ان له الخيار فى بيعته سنة وان ينزل حيث شاء ولا يعين عبد الملك على قتال ابن الزبير فبينا الرسل تختلف بينهما إذ جاءه رجل من كلب فقال قد هدم من المدينة أربعة أبراج فقال عبد الملك لا أصالحهم وزحف اليهم فهزموا أصحابه حتى أدخلوهم عسكرهم فقال أعطوهم ماأرادوا فقال زفر لو كان قبل هذا لكان أحسن واستقر الصلح على أمان الجميع ووضع الدماء والأموال وأن لا يبايع زفر عبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة التى له فى عنقه وأن يعطى مالا يقسمه فى أصحابه وخاف زفر أن يغدر به عبد الملك كما غدر بعمرو بن سعيد بن العاص فلم ينزل اليه فأرس اليه بقضيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمانا له فنزل اليه فلما دخل عليه أجلسه معه على سريره ، ولما رأى عبد الملك قلة من مع زفر قال لو علمت أنه فى هذه القلة لحاصرته أبداً حتى ينزل على حكمى ، فبلغ قوله زفر فقال إن شئت رجعنا ورجعت فقال بل نفى لك ياأبا الهذيل (١٠) إهانته لأصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتهكمه بهم (١) أخرج الإمام أحمد وتفرد به عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال لما نزلت سورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ قرأها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ختمها وقال (الناس خير وأنا وأصحابى خير - وقال - لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) فقال له مروان كذبت وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير ، فقال أبو سعيد لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه من عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك قالا صدق اه .

تفسير ابن كثير لسورة النصر (٢) لما نهاه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن التعرض لمنع دفن الحسن بن على رضى الله عنهما مع جده صلى الله تعالى

عليه وسلم وقال له ماأنت بوال وأن الوالى لغيرك ولكنك تدخل فيما لا يعنيك أقبل عليه مروان مغضباً وقال ياأبا هريرة إن الناس قد قالوا إنك أكثرت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وإنما قدمت قبل وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بيسير ، فقال أبو هريرة نعم قدمت ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر سنة سبع وأنا يؤمئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات وأقمت معه حتى توفى أدور معه فى بيوت نسائه وأخدمه وأنا والله يؤمئذ مقل،وأصلى خلفه وأحج وأغزو معه فكنت والله أعلم الناس بحديثه قد والله سبقنى قوم بصبته والهجرة اليه من قريش والأنصار وكانوا يعرفون لزومى له فيسألونى عن حديثه منهم عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فلا والله مايخفى علىّ كل حديث كان بالمدينة وكل من أحب الله ورسوله ، وكل من كانت له عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منزلة وكل صاحب له ، وإنى أسلمت وهاجرت اختياراً وطوعاً وأحببت رسول صلى الله تعالى عليه وسلم حباً شديداً وأنتم أهل الدار وموضع الدعوة أخرجتم الداعى من أرضه وآذيتموه وأصحابه وتأخر إسلامكم عن إسلامى إلى الوقت المكروه اليكم ، فندم مروان على كلامه واتقاه بعد ذلك (٣) قال يوماً لحويطب بن عبد العزى العامرى تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث ، فقال حويطب : الله المستعان والله لقد همت بالإسلام غير مامرة كل ذلك يعوقنى أبوك عنه وينهانى ويقول تضع شرفك وتدع دين آبائك لدين محدث وتصير تابعاً ، قالوا فأسكت والله مروان وندم على ماقال له، ثم قال له حويطب أما كان أخبرك عثمان بما كان لقى من أبيك حين أسلم فازداد مروان غماً ، ثم قال حويطب ما كان فى قريش أحد من كبرائها الذين بقوا على دين قومهم إلى أن فتحت مكة اكره لما هو عليه منى ولكن المقادير .

فائدة فى اربعة من شيوخ قريش

من مسلمة الفتح معمرين

أحدهم حويطب هذا فانه توفى سنة أربع وخمسين للهجرة وعمره مائة وعشرون سنة ، والثانى حكيم بن حزام بن خويلد الأسدى مات فيها أيضا وعمره مائة وعشرون سنة ، والثالث سعيد بن يربوع المخزومى مات فيها أيضا وعمره مائة وأربع وعشرون سنة ، والرابع مخرمة بن نوفل الزهرى أبو المسور مات فيها أيضا وعمره مائة وخمس عشرة سنة .

التوابون

تلاقت شيعة الكوفة بعد قتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما بالتلاوم والندم الشديد ، ورأوا أنهم أخطأوا خطأ كبيراً بدعائهم له وتركهم نصرته وأجابته حتى قتل بجانبهم ورأوا أنه لا يغسل عارهم والاثم عليهم الا قتل من قتله والقتل فيهم فاجتمع أعيانهم فى بيت كبيرهم صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سليمان بن صرد الخزاعى رضى الله عنه فبدأهم المسيب بن نجبة الفزارى فخطبهم خطبة بليغه حثهم فيها على الأخذ بثأر الحسين وجهاد المحلين وأنه لا بد لهم من أمير يفزعون اليه وراية يحفون بها وتكلم بعده رفاعة بن شداد البجلى فأثنى عليه وعلى سليمان بن صرد وأشار بتوليته ، وتكلم عبد الله بن سعد الأزدى وعبد الله بن وال التيمى بنحو ذلك ، وبايعوا سليمان فخطبهم خطبة بليغة حثهم فيها على جهاد المحلين والأخذ بثأر ابن الرسول الشهيد وأمرهم بالاستعداد لذلك بالسلاح ورفعه لعبد الله بن وال التيمى فما زالوا يجمعون آلة الحرب ويدعون الناس فى السر إلى الطلب بدم الحسين إلى أن هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستين ، فجاء سليمان أصحابه فقالوا قد هلك هذا الطاغية والأمر ضعيف فان شئت وثبنا على عمرو بن حريث خليفة ابن زياد على الكوفة ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم

المدفوعين عن حقهم ، فقال لهم سليمان لا تعجلوا انى قد نظرت فيما ذكرتم فرأيت أن قتلة الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه ومتى علموا ماتريدون كانوا أشد الناس عليكم ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت أنهم لوخرجوا لم يدركوا ثأرهم وكانوا جزراً لعدوهم ولكن بثوا دعاتكم وادعوا الى أمركم ففعلوا واستجاب لهم ناس كثيرون وفى سنة خمس وستين بعث الى رؤوس أصحابه فأتوه فخرج بهم من الكوفة الى النخيلة فدار فى الناس فاستقلهم فأرسل حكيم بن منقذ الكندى والوليد بن عصير الكنانى فناديا فى الكوفة يالثارات الحسين فكانا أول خلق الله دعايا لثارات الحسين فأصبح من الغد وقد أتاه نحو مما فى عسكره ثم نظر فى ديوانه فوجد من بايعه ستة عشر ألفا فقال سبحان الله ما وافانا من ستة عشر ألفا إلا أربعة آلاف فقيل له إن المختار يثبط الناس عنك أنه قد تبعه ألفان فقال قد بقى عشرة آلاف أما هؤلاء بمؤمنين أما يذكرون الله والعهود والمواثيق فقال له المسيب بن نجبة رحمك الله لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك الا من أخرجته النية فلا تنتظر أحداً وجد فى أمرك قال نعم ما رأيت ثم قال سليمان لأصحابه من أراد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه ومن أراد الدنيا فوالله مانريد غنيمة نغنمها ماخلا رضوان الله ومامعنا ذهب ولا فضة ولا متاع ما هو الا سيوفنا على عواتقنا وزاد قدر البلغة فمن كان ينوى هذا فلا يصحبنا فناداه أصحابه من كل جانب إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا ، وخرج اليه عبد الله بن يزيد الانصارى أمير الكوفة لابن الزبير وأبراهيم بن محمد بن طلحة فى أشراف أهل الكوفة ولم يصحبهم من شرك فى دم الحسين خوفاً منه فقال له عبد الله بن يزيد إن المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشه وأنتم اخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصر خلقه الله الينا فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى نتهيأ فاذا سار عدونا الينا خرجنا اليه بجماعتنا فقاتلناه وجعل لسليمان وأصحابه خراج جوخى إن أقاموا وقال ابراهيم بن محمد مثله ، فقال

سليمان لهما قد محضتما النصيحة واجتهدتما فى المشورة فنحن بالله وله ، ونسأل الله العزيمة على الرشد ولا نرانا الا سائرين ، فقال عبد الله فأقيموا حتى نعبي معكم جيشاً كثيفا فتلقوا عدوكم بجمع كثيف وكان قد بلغهم اقبال عبيدالله بن زياد من الشام فى جيش جرار فلم يقم سليمان وسار فى تلك العشية ، وكتب لهم عبد الله بن يزيد بعد سفرهم كتاباً يطلب منهم الرجوع إلى الكوفة لتكون كلمتهم جميعاً على عدوهم فكتب اليه سليمان يشكره ويقول له ان القوم قد استبشروا ببيعهم أنفسهم من ربهم وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى عليهم فلما جاءه كتابه قال عبد الله استمات القوم أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم والله ليقتلن كراما مسلمين ، حتى انتهوا إلى قرقيسيا فلم يخرج اليهم زفر خوفا منهم ثم لما عرف مقصدهم قال لهم انا لم نغلق أبواب المدينة إلا لنعلم إيانا تريدون أم غيرنا وما بنا عجز عن الناس وما نحب قتالكم وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة ثم أمر ابنه فأخرج لهم سوقاً وأمر للمسيب بن نجبة بألف درهم وفرس فرد المال وأخذ الفرس وبعث اليهم بخبز كثير وعلف ودقيق حتى استغنوا عن السوق ثم ارتحلوا من الغد وخرج اليهم زفر يشيعهم وقال لهم انه قد سار خمسة أمراء من الرقة هم الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وأدهم بن محرز وجبلة بن عبد الله الخثعمى وعبيد الله بن زياد فى عدد كثير مثل الشوك والشجر فان شئتم دخلتم مدينتنا وكانت أيدينا واحدة فإذا جاءنا هنا العدو قاتلناهم جميعا فقال سليمان قد طلب أهل مصرنا ذلك منا فأبينا عليهم فقال زفر فبادروهم إلى عين الوردة فاجعلوا المدينة فى ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة فى أيديكم وما بيننا وبينكم فأنتم آمنون منه وأوصاهم بالخطة الحربية التى يسلكونها مع عدوهم فانتهوا إلى عين الوردة فنزلوا غربيها وأقاموا خمساً استراحوا وأراحوا ثم أتاهم جيش الشام فقام سليمان فى أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال أما بعد فقد أتاكم عدوكم الذى دأبتم اليه فى السير فإذا لقيتموهم فأصدقوهم القتال واصبروا ان الله مع الصابرين ، لا تقتلوا

مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم فان هذه كانت سيرة على بن أبي طالب فى أهل هذه الدعوة فإن قتلت - فأمير الناس المسيب بن نجبة فان قتل فالأمير عبد الله بن سعد بن نفيل فان قتل فالأمير عبد الله بن وال فان قتل فالأمير رفاعة بن شداد رحم الله امرأ صدق ماعاهد الله عليه ، فلما دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان ودعاهم أصحاب سليمان الى خلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد اليهم وأنهم يخرجون من بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثم يرد الأمر الى أهل بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأبى كل منهم واقتتلوا أشد قتال ثلاثة أيام وفى الثالث قتل سليمان وأكثر أصحابه وعمره ثلاث وتسعون سنة وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسة عشر حديثا ، وانصرف رفاعة بن شداد بمن بقى منهم ليلة السبت ولم يتبعهم أهل الشام لكثرة من قتل وجرح منهم ومروا فى رجوعهم على زفر بن الحارث فأقاموا ثلاثا وأضافهم وزودهم .

وثوب المختار بن ابى عبيد على ابن مطيع عامل ابن الزبير واستيلاؤه على الكوفة

المختار هذا جرىء مقدام قالوا كان يتزين بطلب دم الحسين ويسر طلب الدنيا فيأتى بالكذب والجنون ودعوى الوحى وأقوى ما ورد فى ذمه ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يكون فى ثقيف كذاب ومبير ، فشهدت أسماء أن الكذاب هو المختار ، وأبوه أبو عبيد بن مسعود الثقفى صحابى جليل قتل شهيداً فى وقعة الجسر ، اجتمع الشيعة على المختار بعد قتل سليمان بن صرد فثار على ابن مطيع عامل ابن الزبير بالكوفة فى أقل من أربعة آلاف من الشيعة فى سنة ست وستين فاستولى عليها وفيها نحو مائة ألف مقاتل فخذلهم الله وتحقق فيهم فراسة الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وهو قوله (والله لايدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفى فاذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة) ورجاؤه من ربه فى قوله وأيم الله إنى لأرجو أن يكرمنى الله بهوانكم ثم ينتقم لى من حيث لا تشعرون أما والله لو قتلتمونى لألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ودعاؤه عليهم فى قوله (فان متعتهم الى حين ففرقهم فرقاً واجعلهم طرائق قدداً ولاترض عنهم الولاة أبدا) وقول شبث ابن ربعى أحد أشرافهم (لا يعطى الله أهل هذا المصر خيرا أبدا ولا يسددهم لرشد) فلم يزالوا بعد قتلهم الحسين فى سلسلة حروب وترق فى المذلة حتى أكملها لهم الحجاج بإنزال أهل الشام فى بيوتهم لما عجزوا عن مقاومة شبيب الخارجى ، ولما استولى المختار على الكوفة استقبل الناس بخير وجعل أشرافها جلساءه ولما توطد ملك مروان بن الحكم بالشام ومصر أرسل عبيد الله بن زياد إلى العراق فى جيش جرار من أهل الشام وجعل له كل ما غاب عليه فى طريقه من البلدان وأمره بنهب الكوفة ثلاثة أيام فاحتبس بالجزيرة

الفراتية وبها قيس عيلان مع زفر بن الحارث على طاعة ابن الزبير فلم يزل ابن زياد مشتغلا بهم عن العراق نحو سنة توفى فى أثنائها مروان وولى بعده ابنه عبد الملك فأقر ابن زياد على ماكان أبوه ولاه وأمره بالجد فى أمره فلما لم يمكنه فى زفر ومن معه شيء أقبل إلى الموصل فكتب عاملها إلى المختار يخبره بدخول ابن زياد أرض الموصل فدعا المختار يزيد بن أنس الأسدى وأمره أن يسير إلى الموصل فينزل بأدنى أرضها حتى يمده بالجنود فقال له يزيد خلنى انتخب ثلاثة آلاف فارس وخلنى مما توجهنى اليه فان احتجت كتبت اليك استمدك فأجابه المختار الى ذلك فسار الى الموصل وبلغ خبره ابن زياد فقال لأبعثن الى كل ألف ألفين فبعث اليهم سته آلف على اميرين سبق احدهما الى يزيد بن انس فقاتله فقتل وهزم جيشه وانتهى المنهزمون الى الآخر فردهم وواقع يزيد فانهزم اهل الشام ايضا وقتل اميرهم الثانى وقتلوا قتلا ذريعا وحوى اهل الكوفة عسكرهم واسروا منهم ثلاثمائة اسير أمر يزيد بن انس بقتلهم وهو بآخر رمق لأنه كان شديد المرض ومات آخر النهار فقال أمير الكوفيين الذى استخلفه يزيد بن انس عليهم لاصحابه قد بلغنى ان ابن زياد قد اقبل اليكم فى ثمانين الفا ولا طاقة لنا به فلو انصرفنا اليوم من تلقاء انفسنا لقالوا انما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزالوا لنا هائبين ، فانصرفوا فبلغ ذلك المختار واهل الكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا ان يزيد قتل ولم يصدقوا انه مات فدعا المختار ابراهيم بن الاشتر وامره على سبعة آلاف وقال له سر فاذا لقيت جيش يزيد بن انس فأنت الأمير عليهم فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد وأصحابه فتناجزهم. فسار ابراهيم فلما سار اجتمع اشراف الكوفة عند شبث بن ربعى وقالوا والله ان المختار تأمر علينا بغير رضا منا ولقد آذانا بموالينا فحملهم على الدواب واعطاهم فيئنا فقال لهم شبث دعونى حتى القاه فأتاه فلم يدع شيئاً انكروه الا ذكره له فلا يذكر خصلة الا قال له المختار أنا ارضيهم فى هذه الخصلة وآتى لهم كل ما احبوا وذكر له الموالى ومشاركتهم فى الفىء فقال له ان أنا تركت مواليكم وجعلت فيئكم لكم تقاتلون معى بنى امية وابن الزبير

وتعطونى على الوفاء عهدالله وميثاقه وما أطمئن اليه من الايمان، فقال شبث حتى اخرج الى اصحابى فاذكر لهم ذلك فخرج اليهم ولم يرجع اليه وأجمع رأيهم على قتاله فوثبوا به بالجبانين كل رئيس بجبانة فلما بلغ المختار خروجهم عليه أرسل قاصداً مجداً الى ابراهيم بن الأشتر يأمره بالرجوع والسرعة وبعث اليهم يقول اخبرونى ماذا تريدون فانى صانع كل ما احببتم قالوا نريد ان تعتزلنا فانك زعمت ان ابن الحنيفة بعثك ولم يبعثك قال فأرسلوا اليه وفداً من قبلكم وارسل انا اليه وفداً ثم انظروا فى ذلك حتى يظهر لكم يريد أن يثبطهم بهذه المقالة لقلة من معه حتى يقدم ابن الاشتر واصحابه وأمر اصحابه فكفوا أيديهم وقد اخذ عليهم اهل الكوفه بافواه السكك فلا يصل اليهم شىء ورجع اليه ابراهيم مجداً فى ليلة ويوم فاقتتل معهم فهزمهم جميعا ونادى مناديه من اغلق بابه فهو آمن الا من شرك فى دماء آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وكان القتل فى اهل اليمن أكثر فقد قتل منهم سبعمائة وثمانون واخذ من دور الوداعيين خمسمائة اسير واتى بهم المختار مكتفين فأمر بقتل كل من شهد منهم قتل الحسين فقتل منهم مائتان وثمانية واربعون وتجرد المختار لقتلة الحسين وقال مامن ديننا ان نترك قتلة الحسين أحياء بئس ناصر آل محمد أنا أنا اذاً الكذاب كما سمونى وأنى استعين بالله عليهم فسموهم لى ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم فانى لا يسوغ لى الطعام والشراب حتى اطهر الأرض منهم فدل على كثير منهم فقتلهم وهرب أشراف الكوفة الى مصعب بن الزبير بالبصرة، وبعد فراغه من الايقاع بأهل الكوفة بيومين رد ابراهيم ابن الأشتر فى جيشه الى ابن زياد وهو فى جيش جرار فالتقوا على شاطىء نهر الخازر بأرض الموصل فاقتتلوا قتالا شديداً ثم انهزم جيش ابن زياد وقتل هو وجميع قواده واحرقت جثته وحمل رأسه ورؤس قواده إلى المختار واتبعهم أصحاب ابن الاشتر فكان من غرق منهم أكثر ممن قتل وفى سنة سبع وستين خرج مصعب بن الزبير من البصرة إلى الكوفة فى جيش جرار لمحاربة المختار فالتقى بجيش المختار بالمذار فهزمه ولجأ المختار الى

القصر ومعه سبعة آلاف فحوصر به ثم خرج اليهم مستقتلا فى تسعة عشر رجلا قتلوا معه ونزل الباقون على حكم مصعب فقتلهم أجمعين صبراً وقد مكث المختار مستقلا بالكوفة ستة عشر شهراً ، قال المحاضر فى مصعب بن الزبير وفى اشراف الكوفة الهاربين اليه فى ص ١٤١ ج ٢ (وجاءه وهو بالبصرة أشراف من أهل الكوفة وهم الذين ليسوا راضين عن المختار وطلبوا منه ان يسير لتخليص الكوفة فجند مصعب جنداً عظيما قاده بنفسه ومعه أشراف المصرين فبلغ خبره المختار فانتدب له جنداً قابل مصعباً عند المذار وكان النصر لمصعب فانهزم جند الكوفة فسار مصعب يتبعهم حتى وصل الكوفة وقاتل بها أصحاب المختار حتى قهرهم وخرج المختار من القصر مستقتلا فقتل وقتل جميع من كانوا معه بالقصر صبراً) اه

أقول قد تحقق بما قررته أن المحاضر قد دلس فى تاريخ ابى زياد ومروان والمختار وفى هؤلاء الأشراف الكوفيين وهؤلاء الاشراف الذين جاؤا مصعباً مستنجدين به ينفضون غبار الموت عن رؤوسهم هم الذين كاتبوا الحسين بن على رضى الله عنهما وبايعوه وطلبوه ليقدم عليهم فلما جاءهم غدروا وخذلوه فقتل شهيدا بجوارهم لأن بنى أمية ملأوا غرائرهم بالمال كما فضحهم التاريخ ، وقد قتل منهم فى طريقه الى البصرة هاربا شمر بن ذى الجوشن ورميت جثته للكلاب وكان هذا الجلف أشد المؤلبين على قتل الحسين ، وركب عمرو بن الحجاج الزبيدى راحلته وأخذ طريق واقصة فلم ير له خبر حتى الساعة وقيل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه وكان هذا أيضا من أشد المؤلبين على الحسين ، ولم يتمتع محمد بن الأشعث بفراره لمصعب كثيرا فقد قتل مع أكثر أصحابه بالمذار .

وقوله (وهم الذين ليسو راضين عن المختار إلى قوله وقتل جميع من كانوا معه بالقصر) صحيح ، ومتى رضوا عن أمير قبله أو أمير بعده فعدم رضاهم عن الأمراء بل عن الخلفاء سجية لهم تمرنوا عليها من زمن الفاروق ووسعوا نطاقها فى عهد ذى النورين ويحق لهم عدم الرضا عن المختار

خصوصا لأنهم تعودوا بيع طاعة العامة المساكين للأمراء ليزجوا بهم فى مهوى أغراضهم بالغرائز المملوءة نقودا فهم دائما يعيشون متنعمين على حساب أولئك البؤساء وكان أحط العامة عندهم رتبة واحقرها من يلقبونهم بالحمراء وهم فلاحوا العجم المسلمون ، والمختار داهية لما بايعهم أخذ عليهم العهد أن يخلصوا له الطاعة وقد تحقق أنهم لا يخلصون له مهما رشاهم ، فاتخذ جندا من أولئك الحمراء المسلمين وأعطى بعض خواصهم من المال مثل ما أعطى لأولئك الأشراف الناطقين بالضاد فقامت قيامتهم لذلك وحسدوه وثاروا عليه بأجمعهم فهزمهم هزيمة قبيحة وقتل منهم كثيرا كما تقدم وأعلن بقتل كل من حضر قتل الحسين كائنا من كان بعد أن كان يداريهم ، ففر منهم من فر إلى مصعب ورموه بما أملته عليهم ضمائرهم ، ولما كاتبهم عبد الملك سرا فى مبايعته وخذلان ابن الزبير ومناهم بثمن مؤجل باعوه أيضا طاعة ابن الزبير بتلك الأمانى المؤجلة وخذلوا أخاه مصعباً حين التقى الجمعان ولم يف له منهم الا ابن الأشتر وقد كتب له عبد الملك مثلهم فحذر ابن الأشتر مصعباً منهم وقال له أحبسهم لئلا يفسدوا عليك العامة أو أضرب أعناقهم ، فان عبد الملك كتب اليهم كما كتب إلى فلم يقبل منه ، وقتل مصعب بعد ابن الأشتر وحيدا ولم يف لهم عبدالملك بما مناهم به لينظر التاريخ فان فيه العبر وقوله (وقتل جميع من كانوا معه بالقصر صبرا) لطخة سوداء فى تاريخ مصعب ابن الزبير فانه اصغى الى أولئك الأشراف الكوفيين فاغروه بقتلهم ليشفوا نفوسهم منهم لأن كثيرا منهم كانوا من الحمراء الذين زاحموهم فى الشجاعه وساووهم فى العطاء عند المختار وقد نهاه أشراف أهل البصرة عن قتلهم فلم يصغ اليهم ، وقال له الأحنف بن قيس ولاولئك الكوفيين بعد الفراغ من قتلهم ، ما أدركتم بقتلهم ثارا فليته لا يكون فى الآخرة وبالا ، قيل ان مصعبا لقى ابن عمر رضى الله عنهما فسلم عليه وقال له أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة فى غداة واحدة غير مابدالك فقال مصعب إنهم كانوا كفرة فجرة فقال والله لوقتلت

عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً ، وقد قتل أيضا الحرة المصونة بنت الصحابي الشهير النعمان ابن بشير الانصارى لكونها لم تشهد على زوجها المختار بالكفر وهى شنعاء لم يفعلها رجال العرب فى الجاهلية علاوة على كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن قتل النساء والصبيان ،ولم يتمتع مصعب بعد هذا بطاعة أهل الكوفة الا فواق نافة فلما ساومهم عبد الملك كما تقدم على بيع طاعة أخيه وخذلانه بثمن مؤجل بادر أولئك الأشراف الذين محضوه مودتهم مؤقتا الى انجاز البيع لعبد الملك .

كذبه على تاريخ خلافة ابن الزبير ايضا

وترجمة ابن الزبير رضى الله عنهما

قال فى ص ١٤٣ ج ٢ (مكث ابن الزبير خليفة بالحجاز تسع سنين لأنه بويع له سنة ٦٤ وبقتل ابن الزبير صفا الأمر لعبد الملك فى جميع الأمصار الإسلامية) اه .

أقول تقدم أن ابن الزبير بايعه جميع الأمصار الاسلامية ما عدا أهل الأردن من الشام وأن مروان وابنه باغيان فقوله (مكث ابن الزبير خليفة بالحجاز تسع سنين) كذب مكشوف على التاريخ فان مروان غلب على الشام ومصر وبقيا لابنه بعده وبقية أمصار المسلمين كلها فى طاعة ابن الزبير الى سنة احدى وسبعين استولى عبد الملك على العراق والمشرق بقتله مصعب ابن الزبير فبقى لابن الزبير الحجاز واليمن الى أن قتل سنة ثلاث وسبعين قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء فى عبد الملك بويع بعهد من أبيه فى خلافة ابن الزبير فلم تصح خلافته وبقى متغلبا على مصر والشام ثم غلب على العراق وما والاها الى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين فصحت خلافته من يومئذ اه .

قال الأبى فى شرح صحيح مسلم فى باب تحريم مكة : (قلت) وليس قتال الحجاج لابن الزبير بمكة من قتال البغاة المتحصنين بها لما تقدم من

قول مالك أن ابن الزبير أحق بالخلافة من مروان وابنه فالحجاج هو الباغى اه .

ونقل أيضا فى شرحه لمسلم عن القاضى عياض أنه قال فى ثناء ابن عمر على ابن الزبير حين مر به وهو مصلوب : هذا أى ثناء ابن عمر عليه ، أصح مما نسب إليه أهل الأخبار من البخل لامساكه مال الله عمن لا يستحقه من الشعراء وغيرهم وقد عده صاحب الأجواد فيهم وهو الذى يشبه شيمته ، ففيه قول ابن عمر بالحق وقلة خوفه من الحجاج فانه لم تصده سطوته من الشهادة له بما علم فيه ليبين للناس كذب الحجاج وشيعته من وصفهم له بعدو الله والكفر والبخل اه .

وثناء ابن عمر على ابن الزبير هو قوله له لما مر به وهو مصلوب على ثنيه الحجون : السلام عليك أبا خبيب ثلاث مرات أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ثلاث مرات أما والله إن كنت ماعلمت صواماً قواماً وصولا للرحم أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير اه .

قال الشيخ النووى فى شرحه على مسلم : فيه منقبة لابن عمر لأنه شهد بما يعلم به له من الخير ويبطل ماأشاع عليه الحجاج وشيعته من قولهم فيه عدو الله وظالم فأراد ابن عمر براءته من ذلك وإعلام الناس بمحاسنه وأنه على ضد ماقاله الحجاج مع علمه أن كلامه يصل الحجاج ولم يكترث به ولا خافه اه .

وقال القرطبى فى شرحه يعنى أنهم صلبوه لأنه شر الأمة فى زعمهم على ما كان فيه من الخير والفضل فاذا لم يكن فى الأمة شر منه فالأمة كلها خير ، وهذا الكلام يتضمن الانكار عليهم فيما فعلوا به اه .

وقال أيضاً كان ابن الزبير يصوم الدهر ويواصل الأيام ويحيى الليل وربما قرأ القرآن فى ركعة الوتر اه .

قلت قد تمسك بما نسبه اليه الاخباريون ـ أذناب الحجاج من البخل محب الدين الخطيب فى تعليقاته على العواصم من القواصم قال فى ص ٢٢٢

طاعناً فيه رضى الله عنه : كان معاوية أعرف بابن الزبير من ابن الزبير بنفسه، روى البلاذرى فى إنساب الآشراف (٤ «٢» : ٥٣ - ٥٤) عن المدائنى عن مسلمة بن علقمة عن خالد عن أبى قلابة أن معاوية قال لابن الزبير (إن الشح والحرص لن يدعاك حتى يدخلاك مدخلا ضيقاً فوددت أنى حينئذ عندك فاستنقذك) فلما حصر ابن الزبير قال (هذا ماقال لى معاوية ، وددت أنه كان حياً) اه .

هذه الأسطورة باطلة رواية ودراية بأربعة أوجه : الأول قوله كان معاوية أعرف بابن الزبير من ابن الزبير بنفسه ، نهاية الغلو فى تعظيم معاوية وتحقير ابن الزبير ، الثانى سندها إلى معاوية مابين شاعر هجاء وأخبارى ليس بقوى فى الحديث ومجهول ومدلس ، فالبلاذرى أحمد بن يحى قال ابن عساكر فيه : بلغنى أنه كان أديباً راوية وأنه مدح المأمون وجالس المتوكل وكان شاعراً وله أهاج كثيرة ومات فى آخر حياته بالمرستان لشربه البلاذر على غير معرفة اه .

فالذى أقصى أمره أنه مداح قداح ختمت حياته بالجنون كيف يستباح به الطعن فى الصحابى بن الحوارى ، وعلى بن محمد المدائنى قال ابن عدى فى كامله فيه.أخبارى ليس بالقوى فى الحديث ذكره الذهبى فى ميزانه وأقره ابن حجر الحافظ فى لسانه ، ومسلمة بن علقمة إن كان المازنى . فقد قال فيه الإمام أحمد : ضعيف له مناكير ، وإن كان غيره فهو مجهول ، وخالد فى الرواة كثير فهو مجهول أيضا ، وأبو قلابة عبدالله بن زيد الجرمى وإن كان من علماء التابعين فقد قال الذهبى فى ميزانه فيه : ثقة فى نفسه إلا أنه مدلس عمن لحقهم وعمن لم يلحقهم وكان له صحف يحدث منها ويدلس اه .

فهل يستباح الطعن فى ابن حوارى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا السند السقيم ، الثالث لو صحت هـذه الأسطورة عن معاوية رضى الله تعالى عنه سندا لوجب على المسلم عدم اعتبارها فيمن عدله الله فى كتابه العزيز وأثنى عليه ولوجب عليه حملها على أن الصحابة بشر يصدر منهم فى حالة

الغضب فى حق بعضهم بعضاً مايصدر من غيرهم ، الرابع قال العلماء الشجاعة والكرم متلازمان كما أن الجبن والبخل متلازمان فيستحيل اتصاف ابن الزبير بالبخل وهو بطل من أبطال الإسلام ، على أنه أفضل من معاوية كما تقدم لأنه ولد فى الإسلام ومعاوية أسلم بعد الفتح بنص الآية ﴿ لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ وخلافته أقوى وأثبت من خلافة معاوية لأن خلافة معاوية كانت (لولا تنازل ذلك السيد له عنها) دائرة بين أخذه لها بالقوة بعد إراقة دماء ألوف من المسلمين من الجانبين وبين إخفاقه وأخذ ذلك السيد لها كذلك وأقوى وأثبت أيضاً من خلافة ابنه التى هيئت له وسيق إليها الناس ، وقد بايع جل المسلمين ابن الزبير طائعين مختارين ، فلو قال مسلم: إن ابن الزبير أشجع وأكرم من معاوية لم يكن مخطئاً . ولما قتل رضى الله تعالى عنه كبر أهل الشام فرحاً بقتله فقال ابن عمر رضى الله عنه أنظروا إلى هؤلاء لقد كبر المسلمون فرحاً بولادته وهؤلاء يكبرون فرحاً بقتله . ووقف الأميران الحجاج وطارق عليه وهو صريع فقال طارق ما ولدت النساء أذكر من هذا فقال الحجاج أتمدح مخالف أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا ولولا هذا ماكان لنا عذر إنا محاصروه منذ سبعة أشهر وهو فى غير جند ولا حصن ولا منعة فينتصف منا بل يفضل علينا ، فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقاً ، كان ابن الزبير فى خلافة جده أبى بكر رضى الله عنهما يلعب يوماً مع الصبيان فمر الفاروق فهرب الصبيان لما رأوه وبقى ابن الزبير فلما وصل إليه قال له لم لم تفر مع أصحابك فقال ابن الزبير لم يكن الطريق ضيقاً حتى أوسعه لك ولم أفعل ذنباً حتى أفر منك فقال له الفاروق الحية تلد الحية أبوك الزبير . قال نوف البكالى إنى لأجد فى كتاب الله المنزل : أن ابن الزبير فارس الخلفاء ، وقال عمرو بن دينار ما رأيت مصلياً أحسن صلاة من ابن الزبير وكان يصلى فى الحجر وحجر المنجنيق يصيب طرف ثوبه فما يلتفت اليه ، وقال مجاهد ما كان باب من

العبادة يعجز الناس عنه إلا تكفله ابن الزبير ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل يطوف سباحة وقال عثمان ابن طلحة كان ابن الزبير لا ينازع فى ثلاثة لا شجاعة ولا عبادة ولا بلاغة وكان صيتاً إذا خطب تجاوبه الجبال وكان له مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته ، وكنت إذا نظرت اليه فى أمر دنياه قلت هذا رجل لم يرد الله طرفة عين ، واذا نظرت اليه فى امر آخرته قلت هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين ، وقد شرب دم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما احتجم قال له يا عبد الله اهرقه حيث لا يراك احد فلما رجع قال له ماصنعت به قال جعلته فى اخفى موضع قال لعلك شربته قال نعم قال لا تمسك النار الا تحلة القسم ويل لك من الناس وويل للناس منك أخرجه أبو يعلى فى مسنده والبيهقى فى الدلائل اه.

فكانوا يرون ان القوة التى به من ذلك الدم وبنى الكعبة على قواعد ابرهيم وكساها الديباج، وهو اول من كساها ذلك فى الاسلام، فى صحيح الإمام البخارى فى كتاب الفتن ج١٢ من حديث انس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (لا يأتى عليكم زمان الا الذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) وقد فسر هذا الحديث حديث آخر قال الحافظ ابن حجر فى شرحه له : أخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب قال سمعت عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه يقول (لا يأتى عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذى كان قبله حتى تقوم الساعة لست أعنى رخاء من العيش يصيبه ولا مالا يفيده ولكن لا يأتى عليكم يوم إلا وهو أقل علما من اليوم الذى مضى قبله فاذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون اه).

وقال الحافظ فى كتاب الفتن أيضا : أخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال (لا تقوم

الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيطنا وتفيض الايام فيضا)، وعن أم الضراب مثله وزاد : (ويجترىء الصغير على الكبير واللئيم على الكريم ويخرب عمران الدنيا ويعمر خرابها) اهـ .

وقد انتهى ما كتبته على المهم من أباطيل محاضرات الخضرى فى سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله تبارك وتعالى عليهم ، واستغفر الله مما زل به قلبى ولم يعتقده ضميرى من سوء الأدب فى حقهم ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ؟

تم بحمد الله تعـــالى

فهرست

صحيفة

٤ - تناقضه وتلونه وكذبه على التاريخ فى بيعة أبى بكر وفى بيعة عمر وفى بيعة عثمان وفى بيعة على كرم الله وجهه وإيضاح ذلك .

٨ - الأحاديث والآثار الدالة على خلافة على كرم الله وجهه .

١١ - كلام الإمام الباقلانى فى إمامة على رضى الله عنه من كتابه التمهيد.

١٢ - تلونه وتناقضه أيضاً وتمسكه بالأقوال الباطلة فى بيعة على كرم الله وجهه .

١٣ - تحقيق أصولى للباقلانى فى إمامته كرم الله وجهه أيضاً .

١٤ - إعادة افترائه على حيدرة فى ترجمته وتخبطه فيها وإبطال ذلك مسهبا مبرهنا ونبذة من مناقبه رضى الله عنه وكرم وجهه .

٢١ - تحقيق أصولى مبرهن مطنب للباقلانى فى ذلك أيضاً .

٢٥ - إبطال طعنه فيه من أجل عزل العمال وكذبه على التاريخ وجهله به .

٢٦ - الصحابة كلهم مسددون فى إعتقادهم وأعمالهم بشهادة الله لهم بذلك وشهادة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وبعض الأدلة على ذلك .

٢٧ - كلام العلامة أبى إسحاق الشاطبى فى موافقاته فى ذلك مطولا مبرهنا .

٢٩ - الإمام المجتهد له أن يعزل جميع عمال سابقه إذا رأى المصلحة فى ذلك وقد عزل الشيخان عمالا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعزل الفاروق عمالا للصديق وذو النورين عمال الفاروق .

٠٠ - إن لكل زمان أحوالا وتغيرات تحمل اللاحق على مالا يراه السابق من الاجتهاد وكلهم مصيبون والافاضة فى هذا بسرد الأمثلة .

صحيفة

٣٠ - لم يتحقق عزل حيدرة لعمال عثمان إلا فى معاوية .
٣١ - عزل على لمعاوية مثل عزل عمر لخالد .
٣٢ - إبطال الأسطورة الموضوعة على المغيرة بن شعبة فى إشارته على حيدرة بابقاء عمال عثمان بسبعة أوجه وقد زاد فى باطلها نغمة .
.. - وقاحته وسفاهته وسوء أدبه مع حيدرة فى العمال الذين زعم أنه بادر بعزلهم .
٣٣ - كذبه على التاريخ فى عمال حيدرة الذين بعثهم إلى الأمصار والأسطورة الموضوعة على طليحة بن خويلد الأسدى فى رده عمارة بن شهاب وقد مات طليحة فى خلافة الفاروق .
٣٤ - افتراؤه أيضاً على خلافة على وعليه وعلى معاوية وعلى أهل الشام وإبطاله مسهبا .
٣٧ - المحاضرة التاسعة والعشرون
.. - طعنه فى على وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم وكذبه على التاريخ وتكذيبه له وخيانته فى نقله فى وقعة الجمل وبيان ذلك مبرهنا مسهبا .
٣٩ - كلام القاضى بن العربى والقرطبى على قوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ مطنبا .
٤٢ - إرسال على القعقاع بن عمرو إلى طلحة والزبير وعائشة وتبين الصواب لهم بكلام القعقاع واتفاقهم معه على الصلح وخطبة على فى ذلك ومناداته على من حضر قتل عثمان باعتزال جيشه .
٤٣ - اجتماع رؤساء الثائرين على عثمان وتشاورهم واتفاقهم على انشاب الحرب بين الجيشين ليلا فما يغلب أحدهما الآخر حتى يكل فينسوهم.
٤٤ - جواب أمير المؤمنين على للاعور بن أبان أحد أصحابه عن أسئلته
.. - جوابه أيضاً لمالك بن جندب الفهرى .

صحيفة

٤٥ - ترك الزبير رضى الله عنه جيشه لما تبين له خطؤه ورجوعه إلى المدينة وقتل عمرو بن جرموز له غدرا ومجيئه إلى على بسيفه مبشراً له وتبشير على له بالنار .

٠٠ - إنشاب الثائرين على عثمان الحرب بين الطائفتين سحراً .

٤٦ - كان من رأى الطائفتين جميعا أن لا يقاتلوا حتى يبدأوا وأن لا يقتلوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح .

٠٠ - أمر على مناديه ينادى لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح ولا يؤخذ أسير ومن أغلق بابا آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن .

٠٠ - من سنة حيدرة هذه فى قتال أهل القبلة أخذ أئمة الاجتهاد المتبوعون أحكام البغاة

٤٧ - تلهف على رضى الله عنه على قتلى جيش طلحة وعائشة وخصوصاً على طلحة لما مر به وهو صريع .

٠٠ - صلاته على القتلى من أهل البصرة والكوفة وصلاته على قريش من هؤلاء وهؤلاء .

٠٠ - جمعه ما كان فى عسكر طلحه من شىء وبعثه إلى مسجد البصرة وقوله من عرف شيئاً فليأخذه ورده أم المؤمنين عائشة إلى المدينة مكرمة .

٤٨ - جوابه من سأله عن أهل الجمل المقاتلين له بأنهم إخواننا بغوا علينا .

٠٠ - إبطال حكمه على هؤلاء السادة بأنهم ليسوا بررة فى هذه الحرب مطنبا

٤٩ - إقامة الحدود كلها حق خاص بالسلطان ليس لأحد من الأمة مهما كان قويا أن يأخذ القصاص لقريبه من القاتل دونه باجماع العلماء .

٥٠ - طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم أقرب إلى الصواب من معاوية بخمسة أوجه .

صحيفة

٥٦ - بعض ماورد عنه صلى الله عليه وسلم من التحذير من أذى أصحابه وسبهم .
.. - إخباره صلى الله عليه وسلم أزواجه بأن إحداهن تنبحها كلاب الحوأب.
.. - نبذه من فضائل طلحة والزبير رضى الله عنهما .
٥٨ - تحقيق القرطبي فى تفسير سورة الحجرات لمقام الصحابة رضى الله عنهم وخصوصا طلحة والزبير رضى الله عنهما .
٥٩ - تحقيق مطنب للقاضى ابن العربى فى الحرب بين على ومعاوية من كتابه العواصم من القواصم تلخص منه عشرمسائل مهمة .
٦٢ - إبطال تمسكه بالروايات الباطلة فى المراسلات بين على ومعاوية وإبطال زعمه أن المسلمين لايزالون يعدون وقعة صفين شؤماً إلى الآن .
٦٣ - كلام ابن حزم فى الملل والنحل المتعلق بعلى ومعاوية ومناقشته فى بعضه .
٦٤ - ندم سعد بن أبى وقاص وابن عمر رضى الله عنهما على تركهما قتال الفئة الباغية مع على وكلام الحافظ ابن حجر فى فتحه فى ذلك.
٦٤ - كلام أبى مسلم الخولانى لمعاوية فى على واعتراف معاوية بأن علياً أفضل منه وأحق بالأمر .
٦٥ - جيش على فى صفين سبعون ألفاً فيهم تسعون بدرياً وسبعمائة من أهل بيعة الرضوان وأربعمائة من سائر المهاجرين والأنصار .
.. - جيش معاوية فيها خمسة وثمانون ألفاً ليس فيه من الأنصار إلا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد. وليس فيه صحابى معروف غير المذكورين وعمرو بن العاص وابنه وعقبة بن عامر الجهنى.

صحيفة

٦٥ - قتل فيها من أهل الشام خمسة وأربعون ألفا ومن العراق خمسة وعشرون ألفا .

٠٠ - ظهر بقتل عمار مع على أنه المصيب .

٦٧ المحاضرة الثلاثون

٠٠ - تكذيبه لأمر الله وللعقل وللتاريخ وافتراؤه على على ومعاوية وعلى جميع من معهما وشرحه مطنباً بسبعة أوجه .

٧٠ - الطعن المكرر فى حيدرة بالبهتان والأباطيل ومدح معاوية بما لم يدعه لنفسه وليس فيه وبيان ذلك بإسهاب .

٧١ - اعتناؤه برأى الخوارج وتخليطه فيه ونسبته اليهم مذهب أهل السنة وافتراؤه على الطائفتين .

٨٢ - بهتانه على على ومعاوية ومن معهما أيضا باستحلال بعضهم دماء بعض وإنما تقاتلوا متأولين كل يرى أن الحق معه مع اعتقاده إسلام مقاتله

٠٠ - تهويش أجوف ،

٠٠ - كلام ابن حزم فى كتابه الملل والنحل فى الخوارج بأنهم كانوا أعرابا قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا فى سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء ولا من أصحاب أحد من علماء الصحابة .

٨٣ - خطبة أمير المؤمنين على كرم الله وجهه فى الرد على الخوارج بأنه ما قاتل أهل الشام على التكفير والفراق فى الدين وإنما قاتلهم ليردهم إلى الجماعة قال وانهم لإخواننا فى الدين وتعليق الباقلانى فى تمهيده عليها .

٨٤ - الأحاديث الواردة فى ذم الخوارج .

٠٠ - لا صحة لما اشتهر فى التاريخ من خديعة عمرو بن العاص لأبى موسى فى قضية التحكيم .

صحيفة

٨٦ ـ هذه الأسطورة شبيهة بالأسطورة الموضوعة على المغيرة بن شعبة وابن عباس فان المقصود منها الطعن فى حيدرة ببعده عن الدهاء والسياسة وتبريز المغيرة وابن عباس فيهما عليه والمقصود من هذه إظهار بلاهة حكمه وتبريز حكم معاوية عليه .

٨٧ ـ تخصيص الدهاء ، والرأى بخمسة من العرب وتخصيص التأليف بالمهارة فى الشجاعة وقيادة الجيوش ببعض الصحابة وإن كان لا يستلزم نفى ذلك عن غيرهم قصور كبير مؤثر فى عقيدة الدهماء من الناس بأن غير هؤلاء لا رأى عندهم ولا دهاء ولا شجاعة .

.. ـ شاهد هذا التأثير عكوف العامة فى المقاهى وغيرها على سماع العنترية وغيرها من الخرافات ولو دعوا إلى سماع درس فى الاخلاق أو سماع سيرة بطل من أبطال الإسلام لم ينشطوا لذلك .

.. ـ العرب فى جاهليتهم لا ينقصون عن أرقى الامم فى الذكاء والشجاعة والدهاء والبليد والجبان والأحمق والمغفل فيهم كغيرهم من الامم نادر وقد ازدادوا بالإسلام قوة فى ذلك .

.. ـ الصحابة كلهم سادة أبطال حكماء محنكون مدربون قد بزوا الامم فى ذلك فقادوها إلى الدين صاغرة وإن كانوا متفاوتين فى ذلك .

.. ـ وقوع الاحنف بن قيس أحد دهاة العرب فى محاربتـه للترك فى كرب عظيم وانتصاره برأى جندى عربى مجهول فى جيشه سمعه منه ليلا .

٨٨ ـ هذه الاسطورة باطلة بثمانية أوجه .

.. ـ الطعن فى أبى موسى بالتغفيل طعن فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى ولاه على تهائم اليمن زبيد وعدن وغيرهما وهو مغفل وطعن فى الفاروق الذى ولاه أميراً على البصرة وقائداً لجيشها فافتتح الاهواز وأصبهان وقال فى وصيته لا يقر لى عامل أكثر من سنة

صحيفة

وأقروا الاشعرى أربع سنين (وهو مغفل) .

٨٩ - نبذة من مناقب أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه .

.. - الاحتجاج على خلافة معاوية بقوله تعالى ﴿ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا ﴾ جهل فادح فاسد باوجه .

٩٠ - لو صحت هذه الخديعة ما نقصت من أمير المؤمنين على شيئا وما أفادت معاوية شيئا زائداً عما كان بيده ولم يلزم منها غفلة أبى موسى ولا دهاء عمرو بل دلت على مدح أبى موسى بالصدق والوفاء بالوعد والعهد ووصم عمرو بالخيانة والكذب والغدر صانه الله من ذلك

.. - تحقيق القاضى بن العربى فى العواصم من القواصم فى هذه القضية .

٩١ - التحقيق فيها ما رواه الأئمة الإثبات خليفة بن خياط والدارقطنى وغيرهما انهما عزلاهما معا علياً عن الخلافة ومعاوية عن إمارة الشام إذ لم يجدا طريقا يلائمان به بينهما فى اجتهادهما غيره.

.. - الخلافة قد رتبها وعينها الفاروق فى السابقين إلى الإسلام من قريش فى البدريين ثم فى أهل أحد ثم فى من بعدهم ممن أسلم قبل الفتح ولم يجعل فيها نصيبا لمسلمة الفتح الطلقاء وكلام الحافظ بن حجر فى فتحه فى هذا .

٩٢ - أخذ الفاروق فى الاستخلاف طرفا من فعل النبى صلى الله عليه وسلم وهو ترك التعيين ومن فعل أبى بكر طرفا وهو العقد لأحد الستة وإن لم ينص عليه ،

.. - لم يكن فى أهل الإسلام أحد له من المنزلة فى الدين والهجرة والسابقة والعقل والعلم والمعرفة بالسياسة ما للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم ، ابن جرير الطبرى .

صحيفة

٩٢ - إمامة على انعقدت له مرتين الأولى عقـــدها له الفاروق ورجال شوراه وأهل الحل والعقد بالمدينة قبل بيعة عثمان والثانية منهم ومن الأمة الإسلامية بعد قتل عثمان ومن ثم قال علماء الاصول ، خلافته مجمع عليها .

٩٣ - حديث حذيفة بن اليمان فى أمره أصحابه بلزوم الفرقة التى تدعو إلى أمر على فانها على الحق رواه البزار بسند جيد.

.. - عزل معاوية عن الشام لا يضر مصلحة المسلمين ولا يسقط حقه فى المطالبة بدم عثمان بالوجه المشروع .

.. - أساءة العقاد الأدب فى حق الصحابيين الجليلين أبى موسى وعمرو ابن العاص رضى الله عنهما .

.. - لا معرفة للعقاد وأضرابه بتاريخ الاسلام ورجاله وإنما يكتبون فيه للمادة والشهرة .

٩٥ - المحاضرة الحادية والثلاثون

.. - سؤال فاسد مبنى على باطل وتقويمه والجواب عنه مسهباً .

٩٦ - جواب أمير المؤمنين على كرم الله وجهه عنه من سأله فقال ياأمير المؤمنين كيف اختلف الناس على عثمان وعليك ولم يختلفوا على أبى بكر وعمر فقال له رعية أبى بكر وعمر كانت مثلى ومثل عثمان وسعد وعبد الرحمن وأما رعية عثمان ورعيتى فأشباهك .

٩٨ - أخذه أخلاق على كرم الله وجهه من كتب الرافضة ونسبته أباطيلهم اليـه .

٩٩ - أشجع الخلق كلهم وأنجدهم محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأشجع الناس كلهم بعـد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الصحابة رضوان الله عليهم وأشجع الصحابة وأعلمهم بالله وأحزمهم وأقواهم إيماناً أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

صحيفة

١٠٠ ـ قال الأئمة أحمد بن حنبل والنسأى والقاضى اسماعيل وأبو على النيسابورى لم ينقل لأحد من الصحابة من المناقب ما نقل لعلى ولم يرد فى حق أحد منهم بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء فى على كرم الله وجهه .
١٠١ ـ أمثلة من شجاعة على رضى الله عنـــه وشجاعته متواترة تواتراً معنويا .
١٠٤ ـ مسائل من علم على كرم الله وجهه .
١٠٩ ـ وصيته كرم الله وجهه لـكميل بن زياد النخعى فى العلم .
١١٠ ـ مدح محمد عبده لنهج البلاغة الموضوع على حيدرة وتقليد المحاضر له
. . . ـ محاولة الأستاذ محمد محي الدين عميد كلية اللغة تصحيح نسبة نهج البلاغة لحيدرة تقليدا لمحمد عبده أيضاً ومناقشته فى ذلك مناقشة علمية .
١١١ ـ نسبة أكثر نهج البلاغة لحيدرة كرم الله وجهه باطلة بعشرة أوجه .
١١٤ ـ بعض الحـكم المنثورة من كلام أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ورضى عنه .
١١٦ ـ جوابه رضى الله عنه لمن سأله عن القـدر وأجوبة مسكتة فيـه لبعض التابعين .
١١٧ ـ طعنه فى حيدرة كله مأخوذ من أباطيل الرافضة ومن هواه .
١٢٠ ـ الذى استفاده من أباطيلهم فى وصف حيدرة فسطره فى ترجمته هو الـكبر والاعجاب والاستبداد والطيش والشح وسوء الرأى والتدبير .
١٢١ ـ أبطال كلام من الخطبة الثالثة فى نهج البلاغة المعروفة عندهم بالشقشقية بعشرة أوجه مبرهناً

صحيفة

١٢٤ - الرافضة من أبعد الفرق الإسلامية عن الرواية وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وأجهلهم بها وأعداهم لها ولحملتها .

١٢٥ - أبطال الكلام السادس فى نهج البلاغة بما أبطلت به الخطبة الثالثة

.. - أغتراره بشرح ومدح محمد عبده لأباطيل نهج البلاغة وتمسكه به تمسك الغريق بالغريق .

... - لا غرابة فى كون محمد عبده يشرح ويمدح أباطيل نهج البلاغة إذا كان يتهجم على كتاب الله بالتأويلات الفاسدة النائية عن لغة الضاد ويختلق الرويات ويطعن فى الأحاديث الصحيحه .

١٢٦ - لايلزم من قول خليفة (وليت عليكم ولست بخيركم) وآخر لم يقل هذا الكلام أن يكون هذا الآخر معجباً بنفسه متكبراً إلا فى فهم النواصب .

١٢٦ - تفريعه على أباطيل الرافضة فى حيدرة تسعة أمور فى طعنه كرم الله وجهه وردها مسهباً مبرهناً .

١٤١ - عمر رضى الله عنه كغيره من الخلفاء لا يشتد على عماله بأكثر من عزلهم إذا شكاهم الناس بل يثنى عليهم كما فعل بسعد بن أبى وقاص وغيره.

... - أبطال أسطورة موضوعة على أمير المؤمنين عمر فى أهانته لخالد ابن الوليد رضى الله عنهما رواها ابن جرير .

١٤٢ - ترجمة قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما ونبذة من فضائله.

١٤٣ - ترجمة عبد الله بن العباس رضى الله عنهما ونبذة من فضائله .

... - فذلكة البهتان والأباطيل فى ترجمته لعلى كرم الله وجهه .

١٤٤ - وصفه للخلافة وكذبه على الفاروق فى الشورى أيضا وبهتانه فى على ومعاوية أيضا وافتروه على عمر فى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما .

صحيفة
١٤٥ - بيعة الخليفة على العمل بكتاب الله وسنة رسوله لم تذكرها كتب الإسلام فى بيعة الشيخين وأول من بويع على ذلك وعلى سنة الشيخين عثمان بن عفان رضى الله عنه .
١٤٦ - كلام الحافظ بن حجر فى فتحه فى شرح بيعة عبد الرحمن بن عوف لعثمان .
١٤٧ - تحقيق الباقلانى فى تمهيده فيها راداً على الشيعة .
١٤٨ - إبطال دعواه أن الخلفاء الثلاثه أبا بكر وعمر وعثمان كانوا يستشيرون وأن أكثرهم فى ذلك عمر مفصلا مسهبا .
١٥٠ - إبطال طعنه فى الخلافة أيضا وتلبيسه وتهويشه على حيدرة مسهبا .
١٥٢ - إبطال افترائه على معاوية وعلى من معه بخمسة أوجه .
١٥٣ - لم يكتب المحاضر فى رفع مقام معاوية وحط مقام على رضى الله عنهما من أول بحث الخلافة إلى آخر ما يتعلق بهما إلا الأباطيل والفرى
١٥٤ - إبطال زعمه إحراق الفاروق لباب دار إمارة سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما .
... - لم يكتب فى سيرة الفاروق إلا الأباطيل والفرى يعتقدها له مناقب وهى مثالب والفاروق غنى عن افترائه وأباطيل الوضاعين بمناقبه الثابتة قرآنا وسنة كما أن حيدرة غنى عن أباطيل الرافضة والوضاعين بمناقبه الثابتة قرآنا وسنة .
١٥٤ - لا يحترم هـذا المحاضر أحداً من الصحابة إلا أربعة أبا بكر وعمر وخالداً ومعاوية وهذا عنده فى الدرجة الأولى وبعده الفاروق .
... - أشد أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أربعة عمر وعلى والزبير وسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنهم .
... - كان سعـد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنـه مستجاب الدعوة وأمثلة من ذلك .

صحيفة

١٥٦ - المحاضرة الثانية والثلاثون
... - إبطال زعمه مساواة أمية بن عبد شمس عمه هاشما فى الشرف .
... - ولاية بيت الله بعد إسماعيل لجرهم للخؤولة التى لهم على أولاده وسلط الله تعالى عليهم لما بغوا خزاعة فانتزعوها منهم .
... - جمع قصى بن كلاب قومه ومحاربته لخزاعة وإجلاؤهم عن مكة وإنزاله قومه بها وبظواهرها وسيادته فيهم .
١٥٧ - تخصيصه لما كبر ابنه الأكبر عبد الدار بمكارم قريش دار الندوة وحجابة الكعبة ولواء الحرب ورفادة الحجاج بالطعام وسقايتهم.
... - اتفاق بنى عبد مناف على أخذ ما بأيدى بنى عبد الدار من المكارم التى أعطاها قصى لأبيهم بالقوة وحلف المطيبين .
... - محالفتهم على ذلك أربعة بطون من قريش ومحالفة بنى عبد الدار أربعة بطون منها أيضا واصطلاحهم على اعطاء بنى عبد مناف الرفادة والسقاية وإبقاء الحجابة والندوة واللواء بيد بنى عبدالدار .
١٥٨ - أول من تولى من بنى عبدمناف الرفادة والسقاية هاشم بن عبدمناف وهو أول من أطعم الحجاج الثريد وأول من سن الرحلتين لقريش وتولى ماذكر بعده شقيقه المطلب بن عبد مناف وبعده عبدالمطلب بن هاشم وبعده ابنه العباس إلى مجىء الاسلام .
١٦٠ - اغتصاب نوفل بن عبد مناف أرض ابن أخيه عبد المطلب بن هاشم وإرجاع اخواله بنى النجار لها من نوفل بالقهر ومحالفة نوفل بعد ذلك بنى أخيه عبد شمس على بنى أخويه هاشم والمطلب ومحالفة عبد المطلب بن هاشم خزاعة .
١٦١ - التهويش والتلبيس والكذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى التاريخ لرفعة معاوية رضى الله تعالى عنه .

صحيفة

١٦٤ - ما صار حرب بن أمية قائد قريش فى حرب الفجار إلا لكونه أسن بنى عبد مناف يومئذ وكانوا يقدمون الاسن منهم وكانت بعد وفاة عبد المطلب بإثنتى عشرة سنة .
... - بعد ثلاثة أشهر من حرب الفجار ضم بنو هاشم إلى مجدهم التالد شرفا آخر مؤبدا بجده لهم الى قيام الساعة وهو حلف الفضول ،
١٦٧ - انتفاع أبى سفيان بصداقة العباس بن عبد المطلب أكثر من انتفاع العباس به .
... - ابطال زعمه عدم العداوة بين بنى هاشم وبنى عبد شمس .
١٦٨ - جسام المكارم كانت بيد بنى هاشم كما نطق به التاريخ .
... - تلبيسه وكذبه على التاريخ فى إسلام بنى عبد مناف وفى عداوتهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم .
١٦٩ - اعتصاب بنى هاشم والمطلب مع أبى طالب على حماية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .
١٦٩ - شدة شكيمة أبى طالب على قريش فى حمايتـــه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبعض شعره الحماسي فى ذلك
٧٠ - لم يحضر بدرا الكبرى فى صف المسلمين من بنى عبد شمس غير رجل واحد وحضرها من حلفائهم ستة عشر رجلا ،
١٧١ - غلوه فى تعظيم أبى سفيان وجهله بسيرة النبي صلى الله تعالى عليـه وسلم وكذبه عليه فى سبعة مواضع .
١٧٢ - جهله بطبقات الصحابة ومبالغته فى تقديس مسلمة الفتح وافتراؤه على النبي صلى الله تعالى عليه وسـلم فى جملة واحدة ثلاث مرات لأجل معاوية .
١٧٤ - ترجمة صفوان بن أمية الجمحى أحد مشيخة الفتح .
... - ترجمة الحارث بن هشام المخزومى أحد مشيخة الفتح .

صحيفة

١٧٤ ـ ترجمة سهيل بن عمرو العامرى أحد مشيخة الفتح وخطيب قريش .
... ـ قيامه فى قريش بعد وفاة النبى صلى تعالى عليه وسلم قياماً محموداً .
١٧٥ ـ تفاوت الناس عند أمير المؤمنين عمر فى الدخول عليه بحسب التقدم فى الإسلام .
... ـ غضب أبى سفيان عليه فى ذلك وقوله انه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت الينا ورد سهيل بن عمرو عليه بقوله على أنفسكم فاغضبوا دعى القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم .
... ـ قصة مثل هذه للحارث بن هشام وسهيل بن عمرو مع الفاروق وتأثر الحارث منه وجواب سهيل له وخروجهما بسببها إلى الشام مجاهدين حتى ماتا بها رضى الله عنهما .
... ـ افتراؤه على حيدرة كرم الله وجهه بأنه كان يعير معاوية بأنه من الطلقاء ليس بتعيير لو صح عنه ما ذكر لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سماهم به والفاروق لما رتب الخلافه قال وليس فيها لطليق ولا لمسلمة الفتح شىء .
١٧٦ ـ أبطال كذبه على التاريخ بأن الصديق استعمل مشيخة الفتح فى حروب الردة وسير بهم الى الشام ولم يستعمل منهم أبو بكر إلا عكرمة ويزيد بن أبى سفيان .
١٧٧ ـ ترجمة يزيد بن أبى سفيان وقتال أبيه الروم تحت رايته .
... ـ جل مشيخة الفتح لم يحضروا حروب الردة ولا غيرها بل لم يخرجوا من الحرمين .
... ـ لم يعمل معاوية لعمر رضى الله تعالى عنهما مع وجود أخيه يزيد ولم يوله عمر ابتداء وإنما استخلفه أخوه يزيد للمرض فأقره عمر على ذلك بعد وفاة يزيد .

صحيفة

١٧٨ - وقوعه فيما رمى به المؤرخين من تعصبهم وتحكيمهم فى حوادث التاريخ عواطفهم بل أربى عليهم فى تقديس معاوية بالبهتان كما أربى على الواضعين قديماً فى فضائله أشياء لا أصل لها .
... - قال الأئمة اسحق بن راهويه والنسائى وغيرهما لم يصح فى فضائل معاوية شىء
١٧٩ - إبطال أسطورة ذكرها ابن كثير فى بدايته فى ترجمة معاوية فى فضائله بأوجه كثيرة .
١٨٠ - إبطال أسطورة دالة على ثلب معاوية رضى الله عنه ذكرها ابن جرير أيضاً فى ترجمته رواية ودراية بسبعة عشر وجهاً .
١٨٣ - اغترار أستاذ بهذه الأسطورة وتقريره لتلاميذه فى مدرسة بمكة بأن معاوية كان يدفع فى مدة محاربته لعلى جزية لملك الروم ومراجعة التلاميذ له وتصميمه على رأيه محتجا بها كما قرر هو أو غيره لهم بأن الحسن بن على ما تنازل بالخلافة لمعاوية لحقن دماء المسلمين وإنما تنازل له بها لأنه لا يعرف السياسة ويحب المال والنساء ، لقد اتسع الخرق على الراقع .
١٨٤ - لم يول أبو بكر معاوية قيادة جيش مدداً لاخيه يزيد ولم أقف فى التاريخ على أن صيدا وعرقة وجبيل وبيروت فتحها يزيد بن أبى سفيان وعلى مقدمته أخوه معاوية ولم يوله عمر على الاردن .
١٨٥ - تخبطه وتلونه وتناقضه فى خلافة معاوية وكذبه على التاريخ وحكمه على ضمائر الأمة الإسلامية كعادته .
١٨٧ - المحاضرة الثالثة والثلاثون
... - العهد بالخلافة ليزيد باشارة المغيرة بن شعبة .
١٨٨ - أنا برىء من عهدة كل نقل يمس كرامة الصحابيين الجليلين معاوية والمغيرة بن شعبة والمنقول أن معاوية عهد إلى ابنه باشارة المغيرة .

صحيفة
١٨٨ - اجتماع الوفود فى سنة ٥٦ عنـــد معاوية وقيـام الخطباء بالحث على بيعة يزيد وكلام الاحنف بن قيس لمعاوية وخروج الناس وهم يحكونه إعجاباً به .
١٨٩ - تلبيسه فى العهد إلى يزيد وتخبطه فى الخلافة أيضا وتدليسه فى نقل التاريخ .
١٩١ - جهله المكرر فى الخلافة تقدم إبطاله مراراً وأزيده هنا ابطالا .
١٩٢ - محاورة جارية بن قدامة السعدى مع معاويه .
١٩٣ - حذفه لكثيرمن التاريخ المتعلق ببيعة يزيد من كلام بن الاثير لعدم موافقته لهواه .
... - معاوية صحابى مجتهد وعهده إلى ابنه بالخلافه مقتد فيه فى الجملة بالشيخين رضى الله تعالى عنهما .
١٩٤ - ليست الأمة التى كانت فى عصر الشيخين مثل الأمة التى كانت فى عصره .
... - كان يزيد فى حياة أبيه متظاهراً بالاستقامة
... - إذا كان المستخلف ظاهر الاستقامه فلا تبعة على من ولاه اذا انغمس بعد ذلك فى الشهوات .
١٩٥ - ابطال زعمه ان حصر معاوية الخلافة فى ابنه كان امر حتما .
... - تعليل وقياس فاسدان .
... - طعن مكرر فى الخلافة تقدم ابطاله مراراً .
١٩٦ - كلامه البالغ فى البذاءة والسفاهة والبهتان والوقاحة وسوء الأدب على على ومعاوية رضى الله عنهما الغاية القصوى .
... - من المحال رضى الناس عن واحد فكيف باسرة وهم لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم ومدبرهم .
١٩٧ - لم يخرج ابو هريرة رضى الله عنه من المدينة ولم يحضر حروب الصحابة

صحيفه
فتفكه الناس فى المجالس بعرضه الشريف بانه كان فى أيام الحرب بين على ومعاوية يأكل مع معاوية ويصلى مع على طعن قبيح فيه وفى على ومعاوية ايضاً .
... ـ استجاب الله دعاء ابى هريرة رضى الله عنه فى قوله اللهم انى اعوذ بك من رأس الستين وامارة الصبيان فتوفى سنة ثمان وخمسين وتوفى معاوية رضى الله عنه سنة ستين وتولى ابنه فيها .
... ـ لعن بنى امية لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه لم يثبت عن معاوية .
١٩٨ ـ أول من اعتنى به منهم وبالغ فيه فى كل جمعة وخالف لأجله سنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى صلاة العيد فقدم الخطبة عليها ليحبس الناس للصلاة بسماعها هو مروان بن الحكم .
١٩٩ ـ نهى عامر بن عبد الله بن الزبير ابنه عن العودة الى تنقيص على قائلا ان بنى مروان شتموه ستين سنة فلم يزده الله بذلك الا رفعة وان الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا وان الدنيا لم تبن شيئاً الا عاودت على ما بنت فهدمته .
... ـ حكاية عجيبة فى لعن على ذكرها ابن حجر فى الصواعق المحرقة
٢٠٠ ـ المحاضرة الرابعة والثلاثون
... ـ ما ورد فى ذم يزيد بن معاوية من الاحاديث .
... ـ ضرب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه من نال بحضرته من معاويه رضى الله عنه ثلاثة أسواط وضربه لمن سمى ابنه يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطاً .
٢٠١ ـ كلام ابن حزم فى جمهرة الانساب فى يزيد بن معاوية .
... ـ تدليسه فى نقل حادثة الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وحذفه لكثير من تاريخها وايضاحها .

صحيفه

٢٠٥ - كلام ابن خلدون فى مقدمته فى حادثة الحسين الذى توكأ عليه المحاضر مع ما فيه حجة عليه.
٢٠٦ - مناقشته فى ستة مباحث منه باطناب وابطال زعمه عصبية بنى عبد مناف فى بنى امية باربعة عشر وجها .
٢١٤ - طعنه فى الحسين رضى الله عنه وكذبه على التاريخ وبهته له وابطال ذلك مطنباً .
٢١٦ - الصحيح ان يزيد سره قتل الحسين اولا وحسنت حال ابن زياد عنده مؤيداً من التاريخ بثمانية امور مطنبة ،
... - ابطال كلام يزيد لجلسائه محتجاً على فضله مخطئاً مجهلا للحسين رضى الله عنه حين أتى برأسه ،
٢١٩ - اخبار النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقتل الحسين وبيان قصته مع أهل الكوفة من اولها الى قتله من التاريخ موضحة مبرهنة ،
٢٢٦ - شيعة على رضى الله عنه هم الذبل الشفاة الأخيار الذين يعرفون بالرهبانية من اثر العبادة ،
... - ابن خلدون مع خطئه فى حق الحسين فى العصبية وغيرها عارف بقدر الحسين حسن الأدب معه فى كلامه وعقيدته مفسق ليزيد محظر عليه وعلى أنصاره قتاله .
٢٢٦ - هل كانت قلوب الامة كلها قبل حادثة الحسين متفقة متآلفة ماأشد جهله بالتاريخ ووقاحته وجرأته على الصحابة وآل البيت الكرام،
٢٢٧ - الناس فى الحسين ويزيد ثلاث فرق .
... - حكمه على ضمائر المؤرخين والكاتبين فى حادثة الحسين كعادته وحنقه عليهم .
٢٢٨ - تخرص فاسد ونظرية باطلة اخذها من ابن خلدون وتشبع بها ،
٢٢٩ - عداوة حمقاء ظاهرة لأبى الحسن واولاده وبهتان على التاريخ ،

صحيفه

٢٢٩ - تجويز الامام احمد بن حنبل فى رواية ابنه صالح وجماعة من العلماء بعده لعن يزيد ،
٢٣٠ - تكريره مضغ نظرية ابن خلدون الباطلة وابطالها ايضاً ،
٢٣١ - اشتهار يزيد بالفسق معلوم فى التاريخ وكلام ابن كثير فى بدايته فى ترجمته فى ذلك وكلام ابن الأثير فى حج يزيد فى حياة أبيه وحجبه لابن عباس من أجل الشراب ،
٢٣٢ - كتاب يزيد لابن عباس يشكره على امتناعه من بيعة ابن الزبير وجواب ابن عباس له من ابن الأثير ،
٢٣٣ - امتناع الحسين من بيعة يزيد لا يعد مخالفة عليه ولا يبيح له أذاه على ذلك باى نوع من أنواع الأذى لانه صحابى مجتهد والبحث فى بيعة يزيد علمياً باسهاب ،
٢٣٥ - مابناه الدين لا تهدمه الدنيا ،
... - قتل يزيد ايضاً للحسن بن على رضى الله عنهما بالسم بواسطة امرأته جعده بنت الأشعث بن قيس الكندى
... - عظم شأن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد عند أهل الشام وموته فى حمص مسموماً سنة ست وأربعين للهجرة .
٢٣٦ - غلط القاضى ابن العربى وابن كثير فى قولهما ماقاتل أحد الحسين إلا متأولا وجواب ابن خلدون عن ذلك وجوابى بعده مسهباً مبرهنا.
... - هل كان الجيش الذين قتلوا الحسين ومن معه الا رعاعا أجلافا ليس فيهم صحابى ولا تابعى فقيه .
٢٣٧ - ظهرت خوارق بعد قتل الحسين رواها علماء الأثر قال ابن كثير موضوعة كما رووا فتناً ومصائب اصابت كل من حضر قتله وهذه قال انها صحيحة .
٢٣٨ - من عجيب الاتفاق قتل الحسين يوم عاشوراء سنة احدى وستين

صحيفة

وقتل ابن زياد فيه سنة سبع وستين .
٢٣٩ ـ نبذة من فضائل الحسن والحسين وامهما رضى الله عنهم .
٢٤١ ـ ذكره حادثة المدينة بجملة تقديساً ليزيد وطعناً فى بقية سادات الامة .
٢٤٢ ـ دلالة عبد الملك بن مروان قائد جيش الشام على عورة اهل المدينة وعلى الخطة الحربية التى يسلكها معهم .
٢٤٣ ـ ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم وانما العبادة التفكر فى امر الله والورع عن محارم الله ، سعيد بن المسيب رضى الله عنه.
. . . ـ لخلع اهل المدينة ليزيد سببان الاول اشتهاره بالفسق .
. . . ـ كلام الحافظ ابن حجر فى فتحه فى تصويب الحسين واهل المدينة والقراء الذين خرجوا على الحجاج ج ١٢
٢٤٤ ـ لم يختلف اثنان فى فسق يزيد وظلمه وكلام ابن حجر فى الصواعق المحرقة ،
. . . ـ منَ الأسف الشديد ذم من مدحهم الله فى كتابه العزيز ومدحهم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الحسين وأهل الحرة وابن الزبير.
٢٤٥ ـ قد ترك جادة التاريخ الواضحة كثير من العصريين فطعنوا فيمن مدحهم الله وبررهم التاريخ الحسين وأهل الحرة وابن الزبير وقدسوا من ذمة الرسول ولم يبرره التاريخ يزيد ، منهم محب الدين الخطيب .
. . . ـ تمسك محب الدين فى تعديل يزيد والطعن فى ابن الزبير وابن مطيع وأهل المدينة بأسطورة مفتعلة على ابن الحنفية ذكرها ابن كثير فى بدايته وغفلته عن تجريحه له فى مواضع منها .
٢٤٦ ـ الطعن فى أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الأسطورة بدون استيعاب النظر فى كلام ابن كثير فى يزيد قبيح جداً باطل بسبعة أوجه

صحيفة

٢٤٧ - ابطال هذه الاسطورة بخمسة أوجه
٢٤٨ - هذه الاسطورة شبيهة بأسطورة أخرى ذكرها ابن كثير أيضاً فى ترجمة يزيد عن المدائنى وهذه الثانية باطلة أيضا بأربعة أوجه
٢٤٩ - السبب الثانى فى خلع أهل المدينة له سوء تصرف عاملها محمد بن عثمان ابن أبى سفيان
٢٥٠ - السبب فى هزيمة أهل المدينة وانتهاك حرمتها مروان بن الحكم
٢٥١ - قتل يوم الحرة من وجوه الناس أكثر من سبعمائه من حملة القرآن منهم ثلاثمائة من الصحابه ولم تبق هذه الوقعة من أصحاب الحديبية أحداً وقتل من الموالى والعبيد والنساء والصبيان أكثر من عشرة آلاف وافتض بها ألف عذراء وولدت ألف امرأة بعدها من غير زوج
٢٥٣ - بيعة مسلم بن عقبة لمن بقى منهم على أنهم عبيد ليزيد يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم بما شاء فمن امتنع من ذلك قتله
... - هتف الهاتف عشية ذلك اليوم على أبى قبيس بنعى أهل المدينة
... - توجه الجيش الى مكة لحصار ابن الزبير وهلاك مسلم بن عقبة فى الطريق
٢٥٤ - من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء حديث
٢٥٥ - حديث (اذا مشت أمتى المطيطا وخدمتهم بنات الروم وفارس رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم) رواه الترمذى عن ابن عمر
٢٥٦ - ما ورد من الآثار فى شهادة أهل المدينة وانهم خيار أمته صلى الله عليه وسلم بعد أصحابه
... - طعنه فى أهل المدينة أيضا والجواب عنه مفصلا مطنبا
٢٥٧ - تصريح الحافظ بن حجر فى فتحه بأن الحسين وأهل الحرة وابن الزبير والقراء الذين خرجوا على الحجاج مع ابن الاشعث محقون مظلومون

صحيفه

٢٥١ ـ وقوف المحاضر بجانب اليزيدية الذين يعبدون الشيطان ويقدسون يزيد
٢٥٩ ـ تعوذه من أهل المدينة وجوابه
٢٦٠ ـ حصار مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وطعنه فى ابن الزبير ومدافعته عن يزيد أيضاً
... ـ ابن الزبير فارس من فرسان الإسلام وابن فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحواريه
٢٦١ ـ تسمية السلف لمسلم بن عقبة بمسرف
٢٦٢ ـ هلاك يزيد بن معاوية ورجوع جيشه المحاصر لمكة إلى الشام
٢٦٣ ـ لا يجوز عند الجمهور لعن المعين ولو كان كافراً فى الحال
... ـ كذبه على التاريخ وخيانته فيه
٢٦٤ ـ الخطيب الذى قوم ناقة صالح عليه الصلاة والسلام أخف حماقة من هذا المحاضر
... ـ يزيد عنده خليفة مقدس وعلى بن أبى طالب الذى مدحه الله وأثنى عليه رسوله واجمع المسلمون على بيعته راضين مختارين واجمعوا على انه افضل الصحابة بعد الثلاثة ليس بخليفة .
٢٦٥ ـ الذين لم يبايعوا يزيد والخالعون له ليسوا بقليل لانهم بقايا خيار الامة مجتهدون .
... ـ لا يمكن لمعاوية ولا لغيره أخذ القصاص من قتلة عثمان الا باقامة البينة عليهم عند السلطان باجماع العلماء .
... ـ قتال على لمعاوية انما هو لحيلولته بينه وبين تنفيذ طاعته فى اهل الشام .
... ـ الفرق بين على كرم الله وجهه وبين يزيد يدركه كل سالم العقل والدين .
٢٦٦ ـ ومن اطلق الكلب العقور فقد عقر ، فاى لوم على جنود يزيد فيما فعلوه من الوحشية بأمره وأى فرق بينه وبين هلاكو بن

صحيفة

جنكيزخان ، غير الاسلام وأى فرق بين جنوده وبين الجنود التاتارية فى الوحشية غير الاسلام .

٢٦٧ - المحاضرة الخامسة والثلاثون معاوية الثانى

... - تخبطه فى خلافته وحذفه من كلامه النفيس المذكور فى ابن الاثير وابن كثير مالا يوافق هواه .

.. - ابطال زعمه ضعفه عن الخلافة .

٢٦٨ - كلام ابن حجر فى الصواعق فى يزيد بن معاوية وابنه معاوية .

٢٦٩ - ابطال كذبه على التاريخ بان عصا المسلمين انشقت بعد موت يزيد .

... - خلافة ابن الزبير وبيعة المسلمين له بعد موت معاوية الثانى .

٢٧١ - فراسة عظيمة للفاروق رضى الله تعالى عنه .

٢٧٢ - ابنا زياد سلم وعبيد الله بعد موت يزيد بن معاوية .

٢٧٢ - رجوع سلم بن زياد من خراسان الى العراق هارباً واستيلاء عبدالله ابن خازم السلمى عليها بعد حرب هائلة وبيعته لابن الزبير .

٢٧٤ - بيعة أهل البصرة عبيد الله بن زياد ومسحهم بعد خروجهم من عنده أيديهم بالحيطان وارساله لأهل الكوفة ليبايعوه ورفضهم له .

٢٧٥ - ضعف سلطانه بالبصرة ومجىء سلمة بن ذؤيب اليها وبيعة اهلها له لابن الزبير واستجارة عبيد الله بن زياد بمسعود بن عمرو سيد الأزد .

... - اتفاق ربيعة واليمن على ارجاعه لقصر الامارة بالقوة وقتل مسعود ابن عمرو على المنبر وانهزام الأزد وربيعة وهرب عبيد الله الى الشام .

صحيفة
٢٧٦ - لاصحبة لابيهم زياد وكان سيء السيرة فى البصرتين وهلك بدعاء عبد الله بن عمر واهل الحجاز عليه
... - كذبه على التاريخ فى اهل الشام .
٢٧٧ - عزم مروان بن الحكم على مبايعة ابن الزبير وصد عبيد الله بن زياد له عن ذلك وبيعته .
٢٧٩ - محاورة رؤساء اليمن الاربعة فى البيعة لواحد من بنى أمية وتغلب حصين بن نمير عليهم فى مبايعة مروان والبيعة لمروان ابن الحكم
٢٨٠ - لم يف مروان بشيء مما اشترطه عليه رؤساء اليمن .
٢٨١ - وقعة مرج راهط وغدر مروان وقتل الضحاك بن قيس وثمانين من أشراف الشام .
... - قتل أم خالد بن يزيد لمروان بعد بيعته بتسعة أشهر .
٢٨٢ - حال مروان بن الحكم قال الحافظ ابن حجر فى فتحه قد وردت أحاديث فى لعن الحكم والد مروان وما ولد أخرجها الطبرانى وغيره غالبها فيه مقال وبعضها جيد، وقال الذهبي فى ميزانه مروان بن الحكم الأموى قال البخارى لم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له أعمال موبقة نسأل الله السلامة رمى طلحة بسهم وفعل وفعل .
... - لا يعد مروان فى الخلفاء بل هو باغ خارج على ابن الزبير ولا عهده إلى ابنه بصحيح وإنما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير .
٢٨٣ - قد وقفت على عشرة من أعمال مروان الموبقة :
(١) تهييجه بسوء رأيه وبذاءة لسانه ثوار الأمصار على ابن عمه أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه وإفساده كل ما أصلحه كبار الصحابة بينهم وبينه.

صحيفة

(٢) تزويره الكتاب على لسان عثمان إلى ابن أبي سرح عامل مصر بقتل جماعة .

(٣) قتله للصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .

(٤) لعنه لعلي كرم الله وجهه والتشهير به على المنبر في الجمع والأعياد :

(٥) مخالفته سنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بتقديمه خطبة العيد للعن عليّ

(٦) فحشه على الحسن بن علي رضي الله عنهما بالسب البليغ .

(٧) منعه من دفنه مع جده صلى الله تعالى عليه وسلم مع كون عائشة أم المؤمنين أذنت لهم في ذلك حسداً .

(٨) كان هو وابنه السبب الأعظم في قتل أهل المدينة بالحرة.

(٩) غدره بالضحاك بن قيس وأصحابه بعد اتفاقه معهم على الهدنة وشقه بسببه عصا العرب بالشام بعد أن كانت واحدة بتأسيسه العداوة والعصبية المستمرة بين النزارية واليمنية دهراً .

(١٠) اهانته لأصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتهكمه بهم .

٢٨٨ - فائدة في أربعة من شيوخ قريش من مسلمة الفتح معمرين :

... - التوابون أربعة آلاف من شيعة الكوفة رأسهم الصحابي الشهير سليمان بن صرد الخزاعي استطاعوا مقاومة جيش ابن زياد الجرار ثلاثة أيام ثم قتل أكثرهم وانصرف الباقون .

٢٩٢ - وثوب المختار بن أبي عبيد الثقفي على ابن مطيع عامل ابن الزبير واستيلاؤه على الكوفة بأقل من أربعة آلاف وفيها أكثر من مائة ألف مقاتل فخذلهم الله وتحقق فيهم دعاء الحسين عليهم وفراسته فيهم .

صحيفة

٢٩٢ - إرسال مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد إلى العراق فى جيش جرار وجعله له كل ما غلب عليه فى طريقه من البلدان وأمره بنهب الكوفه ثلاثة أيام واحتباسه بالجزيرة الفراتية نحو سنة توفى فى أثنائها مروان فأقره عبد الملك على ما كان أبوه ولاه وأمره بالجد فى محاربة قيس عيلان الذين هم مع زفر بن الحارث على طاعة ابن الزبير وصعوبة ذلك على ابن زياد وانصرافه عنهم الى العراق .

٢٩٣ - أول جيش بعثه المختار الى ابن زياد لما بلغه أنه دخل أرض الموصل قاصداً الكوفة يزيد بن أنس الأسدى فى ثلاثة آلاف فبعث اليهم ابن زياد ستة آلاف فقضى عليهم الكوفيون ثم مات أميرهم يزيد بن أنس من مرض كان به فرجعوا للكوفة .

... - بعث المختار أيضا ابراهيم بن الأشتر فى سبعة آلاف لمحاربة ابن زياد ووثوب اهل الكوفة على المختار منتهزين فرصة قلة من معه بغياب قائده ابن الأشتر وبعثه رسولا مجدا لابن الأشتر يأمره بالرجوع اليه بجيشه ورجوعه اليه وهزيمة أهل الكوفة وقتل كثيرين منهم ومناداة المختار عليهم من أغلق بابه فهو آمن الا من شرك فى دماء آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واخذه بثار الحسين منهم .

٢٩٤ - رده ابراهيم بن الأشتر لابن زياد بعد الايقاع بأهل الكوفة بيومين والتقاء ابراهيم بابن زياد على شاطىء نهر الخازر من ارض الموصل وهزيمة جيش ابن زياد وقتله مع جميع قواده واحراق جثته وحمل رأسه ورؤس قواده الى المختار .

... - خروج مصعب بن الزبير من البصرة الى الكوفة فى جيش جرار لمحاربة المختار وهزيمة جيش المختار بالمذار وحصره مع سبعة آلاف من اصحابه بقصر الكوفة وخروجه وحده مستقتلا وقتل مصعب لجميع من كان بالقصر صبراً باغراء أشراف الكوفة له عليهم .

صحيفه

٢٩٦ - قتل مصعب لسبعة آلاف نزلوا على حكمه صبراً وقتله لابنة النعمان بن بشير امرأة المختار لطخة سوداء فى تاريخه .

... - ماادركتم بقتلهم ثاراً فليته لا يكون فى الآخرة وبالا ، الا حنف بن قيس .

٢٩٧ - لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً ، ابن عمر .

... - لم يتمتع مصعب بعد هذا بطاعة اهل الكوفة الا فواق ناقة ثم باعوا طاعة أخيه لعبد الملك بن مروان لما كاتبهم فى ذلك سراً بثمن مؤجل وخانوه وخذلوه حين التقى مع عبد الملك ولم يف له منهم الا ابن الاشتر فقتل وقتل بعده مصعب وحيداً .

... - كذبه على تاريخ خـــلافة ابن الزبير وترجمة ابن الزبير رضى الله عنهما .

٢٩٨ - ثناء ابن عمر عليه حين مر به وهو مصلوب وكلام علماء الاسلام الأثبات فى شرحه .

... - قدنسب الاخباريون الى ابن الزبير رضى الله عنهما الأباطيل .

٢٩٩ - ابطال الاسطورة التى رواها البلاذرى فى الطعن فيه وتمسك بها محب الدين الخطيب بأربعة اوجه .

٣٠٠ - لقد كبر المسلمون فرحاً بولادته وهؤلاء يكبرون فرحاً بقتله ابن عمر رضى الله عنهما .

... - وقوف طارق والحجاج عليه وهو صريع وقول طارق ماولدت النساء أذكر من هذا .

٣٠١ - شرب ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما دم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما احتجم وبناؤه الكعبة على قواعد ابراهيم وكسوته لها الديباج وهو اول من كساها ذلك فى الاسلام .

صحيفه

٣٠١ - (لا يأتى عليكم زمان الاالذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) حديث صحيح

٣٠٢ - (لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض الأيام فيضاً ويجترىء الصغير على الكبير واللئيم على الكريم ويخرب عمران الدنيا ويعمر خرابها) حديث اخرجه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ،

والله أعلم